

الثقافة الجديدة

١٢

مجلة التفكير العاظم والثقافة التقدمية

المحتويات

العدد الثاني عشر السبعة السابعة تشرين الاول والثاني ١٩٥٩

صحيفة

- ١ - المؤامرة الكبرى على الجمهورية العراقية : هيئة التحرير
- ٢ - الشعب العراقي : نموّه وتركيبه (١٨٦٧ - ١٩٤٧)
- ٥ الدكتور محمد سلمان حسن
- ٣ - الحياة الحزبية سبيل جمهوريتنا فى التطور الديمقراطى
- ٢٦ عبدالرحيم شريف
- ٤ - ثورة اكتوبر وشعوب الشرق زكى خيرى
- ٣٦
- ٥ - ثورة اكتوبر وشعوب المستعمرات . الرئيس سوكارنو
- ٤٤
- ٦ - بشائر ثورة اكتوبر عبدالقادر اسماعيل
- ٥٧
- ٧ - العلاقات بين الصين والاقطار العربية . محمد مكين الصينى
- ٦٣
- ٨ - البورجوازية الوطنية وحركة التحرر الوطنى
- ٧٦
- ادريس كوكس
- ترجمة : فاضل ثامر وسليم عبدالامير
- ٩ - مجرى الدم (قصة عراقية جديدة) عبدالملك نورى
- ٨٦
- ١٠ - آراء ومناقشات (حول ترجمة كتاب الماركسية والشعر)
- ١٠١
- ١١ - صدر حديثاً (معنى الثورة) الثقافة الجديدة
- ١٠٣
- ١٢ - وثائق ومذكرات
- ١٠٩
- ١٣ - اعلانات رسمية وأهلية
- ١٣١

مع التقدير والاحترام
هدية الثقافة الجديدة
مع التقدير والاحترام

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية عامة

رئيس التحرير
الدكتور صلاح ماضي

مساعد التحرير
محمود شرف الدين

عدد الثاني عشر * السنة السابعة * تشرين الاول والثاني ١٩٥٩

المواصلة للبر
على الجمهورية العراقية

تعرضت جمهوريتنا الفتية منذ قيامها الى محاولات عدوانية جديّة ترمى الى اغتيالها ، وارجاع العراق الى سابق عهده البغيض . تعرضت الى محاولة تسليمها لقمة سائغة عن طريق عبدالسلام عارف الى حكام مصر ، وتعرضت الى محاولة اثارة اضطرابات عشائرية بقيادة الكيلاني ، والى عصيان مسلح دموي بقيادة الشواف ، والى محاولة اشاعة الفوضى عن طريق الاعتداء على مواكب احتفالات الذكرى الاولى للثورة ، والى محاولة اغتيال بطل الثورة عبدالكريم قاسم بأيدي عصابة من الشقاة ، كخطوة أولى للاجهاز على الجمهورية . وقد تخلل هذه المحاولات ، وعلى الاخص بعد سحق عصيان الشواف ، هجوم

منظم شامل على منجزات العهد الجمهوري ونهجه الديمقراطي ، على الحريات العامة ، وعلى التنظيم الديمقراطي . على النقابات والجمعيات الاحية والاتحادات ، على المقاومة الشعبية ، على القوى والعناصر الوطنية ، على وحدة الحركة الوطنية وعلى تضامن الشعب والجيش والحكومة وقيتها الوطنية ؛ على الموظفين والدوائر والمؤسسات الحكومية التي تستيب لروح الثورة ولنهجها الديمقراطي ، على اقتصادنا الوطني ، وعلى مساهمة المعيشة . على سياسة تحرير اقتصادنا وتجارتنا وثقافتنا من التسلط الاستعماري ، وعلى وعى الجماهير وحماستهم واخلاصهم للجمهور ولقيادتها ، على كل ما يعتز به شعب ١٤ تموز . هجوم ساهمت جبهة الاعداء كلها ، مستخدمة كل ما لديها من وسائل ، وصعد سوداء ، وأسلحة ، كل ما لديها من « مثقفين » وموظفين فى الحكم وبعض رجال دين ، وتلامذة مدارس ، وعصابات وشقة وأوباش ...

لقد جرت العادة على تسمية كل من تلك المحاولات (بالمؤامرة) وأصبح لكل منها اسمها وترتيبها ، ويتردد كثيرا ان محاولة اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم هي (المؤامرة الرابعة) .

ان العدو ، فى الداخل ، وعلى النطاقين العربى والدولى ، حاول ويحاول استغلال (تجزئة) تلك السلسلة من محاولات التطويق بجمهوريتنا الديمقراطية والقضاء على منجزاتها ، واعادة العراق الى وراء ، وذلك بالايحاء بان ينظر لكل محاولة على انها حادثة طارئة محدودة مستقلة : باشخاصها وأغراضها واسلوبها ومكانها وزمانها .. ان مثل هذا الايحاء أو التصور ، يساعد على تخدير اليقظة وروح الحذر ازاء الاعداء باعتبارهم جبهة واسعة موحدة ، وازاء محاولاتهم باعتبارها سلسلة واحدة مترابطة الاجزاء ، وازاء تلون الشعارات والاهداف ، باعتبارها واحدة من حيث الاساس ، وازاء تبدل التكتيك باعتبار ذلك جزء من خطة عامة واسعة مستمرة ، وازاء مخاطر المستقبل باعتبارها امتداداً لما جرى فى الماضى ...

لقد أحرز الاعداء بعض النجاح فى ذلك ، حتى بين بعض الاوساط الوطنية . اذ ان البعض ، أصبح تحت هذا التأثير أو غيره ، يدعو الى الركون ، الى الهدوء والسكينة ، الى الاطمئنان ، اثر الانتهاء من تصفية كل محاولة ترمى الى الاطاحة بالجمهورية ، وينتقدون وينددون بمجرد الكلام عن المؤامرات ، باعتبار ان ذلك افتعال وتهويل ، مما يؤدى ،

فى نظريهم ، الى اثاره الاحقاد والحزازات ، وارباك الوضع الاقصادى والانتاج والاخلال بالامن . . وحتى على نطاق الحركة الوطنية ، ومجموع الرأى العام ، يجرى الكلام عن أربع مؤامرات فقط ، وخلال هذه (التجزئة) وهذا (التحديد) تهمل مثلا ، اخطر صفحات المعركة ضد جمهوريتنا واعمقها اثرا واكثرها براعة واشدها حقدا . وقد حقق العدو فيها نجاحات لم يحققها فى ما عداها من جوانب المعركة ، ذلك هو الهجوم على منجزات الثورة ومكاسبها ومؤسساتها الديمقراطية .

وفى رأينا ان بعض الاخطاء التى وقعت فيها مختلف أطراف الحركة الوطنية دون استثناء ، ساعد العدو على احراز تلك النجاحات . وفى رأينا ان أبرز تلك المواقف الخاطئة ، وابعدها اثرا ، هو تقليل بعض الجهات الوطنية من أخطار تأمر المستعمرين والطامعين والرجعيين ، وعدم التمييز جديا ، وبوضوح ، بين الشعب وحركته الجماهيرية وبين اعدائه ونشاطاتهم المريبة التخريبية .

ان أعداء الجمهورية الذين اتت الثورة على نفوذهم ومراكزهم وعلى امتيازاتهم ومصالحهم الضخمة غير المشروعة ، من استعمارين وطامعين واقطاعيين ورجعيين وموتورين وعملاء ، ان هؤلاء يكونون فى الوقت الحاضر جبهة واحدة ، هى جبهة الاعداء ، يجمعهم جامع أساسى ، هو وحدة العمل للقضاء على جمهوريتنا ومنجزاتها لاستعادة فردوسهم المفقود . أما الاسلوب والواجهات ، والشعارات والمكان والزمان ، الخ . . فأمور تخضع للمناورة ولتكتيكات العدو وتقديراته . . انها مؤامرات كبرى ، تمتد فى الزمان من الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ حتى اليوم ، والى ان يصفى الحساب نهائيا مع العدو ، أو يشل وتسد عليه منافذ العمل على الاقل ، وتمتد فى المكان على مجموع رقعة الوطن شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، بل تمتد حتى خارج الحدود يتعهدا ذلك التجمع الاستعمارى الرجعى الحاقدا .

باستطاعة الباحث المدقق ، ان يلمس ، ان ما جابهته جمهوريتنا منذ ميلادها ليست مؤامرة قام بها عبدالسلام عارف ، وأخرى قام بها الكيلانى ، وثالثة الشواف ورابعة العريرى أو الخيزران . . بصفاتهم الشخصية ، ونتيجة لاندفاعاتهم الذاتية وخططهم وتقديراتهم الخاصة ، بل هى ، مؤامرة واحدة كبرى ذات صفحات متعددة ، نقول ذلك رغم الفواصل الزمنية ورغم اختلاف الامكنة وتبدل الوجوه والاساليب والشعارات والتسميات .

ان ادراك مسألة التأمر على جمهوريتنا على هذا الاساس يجنبنا الوقوع فى جملة من الاخطاء ، عبر نضالنا لصيانة الجمهورية ولتوطيد أركانها وتطوير مكاسبها . يجنبنا النظرة الضيقة المحدودة العابرة للعدو وهو يبدى نشاطا معيناً ، يتسم بسمة معينة ويتستر وراء شعار يرمى من ورائه فى فترة ما الى قصد معين

ان الذين يجزؤن المعركة ، وينظرون الى كل جزء أو صفحة منها مستقلة فى عناصرها وغرضها وزمانها . . لا يستطيعون تصور ما يكمن من خطر جسيم على الجمهورية ، حتى بالنسبة للثافة والبسيط من تحركات العدو ونشاطاته الجانبية غير المباشرة . وان مسألة الهجوم على الحريات والمنظمات الديمقراطية وعلى وحدة الحركة الوطنية وتضامن الشعب مع الجيش والحكومة الوطنية من الادلة البارزة على ذلك .

ان استمرار مراقبة العدو ، واستمرار استعدادنا وتأهبنا ويقظتنا ، واستمرار ملاحظته والعمل على سد منافذ العمل أمامه ، كل ذلك يتوقف على مدى عمق وشمول نظرنا لطبيعة المعركة ، يتوقف على مدى ادراكنا ان العدو انما يخوض معركة كبرى واحدة ذات هدف أساسى ، هو القضاء على الجمهورية ، ويجتهد فيها قوى رئيسية معينة . ولا يقلل من شأن هذه الحقيقة كون العدو يواصل معركته هذه فى ميادين مختلفة وفى أوقات متقطعة ويقدم فى الواجهة وفى الخطوط الامامية عناصر تتبدل بين اصطدام وآخر .

ان أساليب المناورة التى اتبعها العدو فى هذا الشأن أوقعت بعض الجهات الوطنية فى أخطاء جعلتها لا تتحسس كثيراً لاجراءات العدو التى يمهّد بها عادة لاعادة الكرة ، لمعارك مكشوفة ذات خطر .

علينا ان نكون أبعد نظراً . علينا ، حكومة وشعباً وجيشاً ، ألا نخلد الى الاطمئنان ، ولا نرمى السلاح قبل ان نصفى الحساب نهائياً مع العدو .

الحسين الحارثي

السبب العراقي نموه وتركيبه

١٨٦٧ - ١٩٤٧

الدكتور محمد سلمان حسن

مقدمة

يلعب الشعب أو السكان ثلاثة أدوار في عملية التطور الاقتصادي .
ينصب الدور الاول على ناحية الطلب ، والذي يتخلص في ان نمو الشعب
أو تزايد السكان يؤدي الى تغير في حجم السوق ، ويفضي التغير في
تركيب السكان (من حيث توزيعه الاجتماعي : البدوي - الريفي -
المدني ، وتوزيعه حسب الاعمار والاجناس) الى تبديل في حاجات الناس
ومن ثم في تركيب السوق .

والدور الثاني يخص ناحية العرض ، والذي ينحصر في ان أية

(*) لقد نشر أصل هذا البحث باللغة الانكليزية في مجلة الاحصاء في جامعة اوكسفورد :
Bulletin of the Oxford University Institute of statistics, Volume 20
No. 4, 1958.

وكان بودي ان اوسع هذه الدراسة توسيعا افقيا بحيث تمتد حتى احصاء السكان لعام
١٩٥٧ ، وتعميقا عموديا بحيث تخرج من احصاء السكان الى دراسة طبقات المجتمع العراقي
ومشكلاته الاقتصادية . الا ان عدم نشر النتائج التفصيلية لاحصاء ١٩٥٧ حتى الآن من
جهة ، وضرورة استقصاء بعض جوانب طبقات المجتمع العراقي التي تستغرق بعض الزمن
من الجهة الاخرى ، وبناء على الحاجة الماسة لنشر هذه الدراسة بأسرع وقت ممكن من الجهة
الثالثة ، فقد نقلتها الى العربية من دون الملحق الفصل الخاص بالمصادر والطرائق الاحصائية
التي اعتمدتها في البحث ، على ان انقح هذه الدراسة واستكمل نقائصها في المستقبل
القريب وابان نشر احصاء السكان لعام ١٩٥٧ .

زيادة في حجم السكان تؤدي الى زيادة في عدد الايدي العاملة ،
بينما يدعو اي تغير في تركيب السكان ، لاسيما توزيع الاعمار ، الى
تغير في نوعية عرض العمل أو الايدي العاملة .

اما الدور الثالث ، فموجزه ان كلا من التغيرات الكمية الناجمة
عن نمو السكان والتغيرات النوعية الناشئة عن تبدل تركيبه تؤثر تأثيرا
حيويا في التناسب بين عوامل أو وسائل الانتاج ، والتناسب بين الايدي
العاملة (وحاجتها) والمرافق الطبيعية (الزراعية والمعدنية) .

يعتبر دور نمو السكان في حجم السوق وتركيبه قضية أساسية
في دراسة مشكلات التطور الاقتصادي . الا ان مدار البحث الحاضر
يقتصر على دراسة الشعب أو السكان من ناحية العرض ، وفي قطر واحد
هو العراق . وعلى وجه التحديد ، يعالج القسم الاول من هذا المقال
النمو الكلي والنمو الاقليمي ، والهجرة الداخلية لسكان العراق .
ويبحث القسم الثاني في التغيرات التي طرأت على تركيب السكان
البدوي - الريفي - المدني خلال فترة ١٨٦٧ - ١٩٤٧ . اما القسم
الثالث فيحلل الجزء الفعال اقتصاديا من الشعب العراقي وتوزيعه
الحرفي . ويخلص القسم الخامس والاخير من هذا البحث الى النتائج
الرئيسية المطلوبة لتكوين سياسة الاعمار الاقتصادي في الجمهورية
العراقية .

(١)

نمو السكان الكلي والاقليمي

على الرغم من ان أول احصاء رسمي حديث لسكان أو شعب
العراق كان قد تم في ١٩٤٧ ، وما تلتها الا النتائج الأولية لاحصاء
السكان الاخير في ١٩٥٧ ، هنالك بعض الارقام عن السكان في التقارير
التجارية للقناصل البريطانيين حوالى ١٨٦٦ - ١٨٦٧ ، والتقديرات
المستمدة من احصاء السكان الجزئي للامبراطورية العثمانية في ١٨٩٠ ،
والتقديرات البريطانية الاخرى لسكان العراق حوالى ١٩٠٠ - ١٩٠٨ ،
و ١٩١٩ ، وهنالك أخيرا المعلومات الاحصائية المستقاة من تعداد السكان
الذي أجرته الحكومة العراقية البائدة لاغراض التجنيد الاجباري والانتخابات
في ١٩٣٤ - ١٩٣٥ . ويمكن ان تبين هذه المعلومات الاتجاه العام

لنمو الشعب العراقي وتركيبه ، على الرغم من تفاوت درجات الخطأ في هذه التقديرات التخمينية ، والتقديرات ، ونتائج احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، والنتائج الاولى لاحصاء ١٩٥٧ ، والتعديلات الناجمة عن تغير الحدود الاقليمية خلال الفترة موضوعة البحث ، والتعديلات التي يستلزمها املاء الفراغات الموجودة في البعض من هذه المعلومات الاحصائية .

الجدول الاول

النمو الكلي والاقليمي لسكان العراق ، ١٨٦٧ - ١٩٤٧
(بالآلاف)

الاقليم	١٨٦٧	١٨٩٠	١٩٠٥	١٩١٩	١٩٣٥	١٩٤٧
المنطقة الشمالية	٢٦٥	٤٠١	٥٤٠	٧٠٣	١٠٤١	١٠٣٤٧
المنطقة الوسطى	٤٩١	٥٧٥	٨٥٥	٩٦٦	١٠٣١٩	٢٠٤٣
المنطقة الجنوبية	٥٢٤	٧٥٠	٨٥٥	١٠١٧٩	١٠٢٤٥	١٠٤٢٦
العراق	١٠٢٨٠	١٠٧٢٦	٢٠٢٥٠	٢٠٨٤٨	٣٠٦٠٥	٤٠٨١٦

يحتوى الجدول الاول على أرقام السكان الكلي والاقليمي من ١٨٦٧ الى احصاء السكان الرسمي الاول في ١٩٤٧ . لقد ازداد سكان العراق ، خلال هذه الاجيال الثلاثة ، أربع مرات تقريبا . وفي أثناء الجيل والنصف الاخير ، من ١٩٠٥ الى ١٩٤٧ ، ارتفع سكان العراق الى الضعف أو أكثر .

كان هذا الاتجاه العام لنمو الشعب العراقي غير موحد بين مناطق أو اقاليم القطر المختلفة . فلقد كان ازدياد السكان الاقليمي متباينا حيث ارتفع خمس مرات في المنطقة الشمالية ، واربع مرات في المنطقة الوسطى ، وثلاث مرات في المنطقة الجنوبية ، خلال فترة ١٨٦٧ - ١٩٤٧ . ومن الجدير بالملاحظة ان هذا النمو المتباين لسكان المناطق أو الاقاليم العراقية المختلفة يميل الى الازدياد على مر الزمن . ففي الفترة الاخيرة ١٩١٩ - ١٩٤٧ ، تضاعف سكان المنطقة الشمالية ، واربى على الضعف سكان المنطقة الوسطى ، بينما كانت الزيادة في المنطقة الجنوبية أقل من الربع .

الجدول الثاني

الزيادات المطلقة ومعدلات الزيادة السنوية لسكان العراق

(بالآلاف) ١٨٦٧ - ١٩٤٧

الإقليم	١٨٩٠-١٨٦٧	الزيادات المطلقة	المعدل	%	١٩٠٠-١٨٩٠	الزيادات المطلقة	المعدل	%	١٩١٩-١٩٠٥	الزيادات المطلقة	المعدل	%	١٩٣٥-١٩١٩	الزيادات المطلقة	المعدل	%	١٩٤٧-١٩٣٥	الزيادات المطلقة	المعدل	%
المنطقة الشمالية	١٣٦	١٥٨	١٣٩	٢٠	١٦٣	١٥٩	٢٣٩	٢٤	٢٠٦	٢٥٧	٢٥٠	٢٠٦	٢٠٦	٢٥٧	٢٥٠	٢٠٦	٢٥٧	٢٥٠	٢٠٦	٢٥٧
المنطقة الوسطى	٨٤	١٠٧	٢٨٠	١١٠	٢٥٧	١٠٩	٣٥٤	٣٥٠	٣٥٤	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠	٣٥٠
المنطقة الجنوبية	٢٢٦	١٥٦	١٠٥	١٠٩	٢٢٥	٢٥٣	٦٥	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١	١٨١
العراق	٤٤٦	١٥٣	٥٢٤	١٥٨	٥٩٨	١٥٧	٧٥٨	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥	١٥٥

وعلى العموم يوضح الجدول الثاني ان معدل زيادة سكان العراق قد ارتفعت حتى ١٩٠٥ ، وحينئذ هبطت قليلا حتى ١٩٣٥ ، ثم ارتفعت كثيرا منذ ذلك الحين . ففي الفترة الاولى ١٨٦٧ - ١٨٩٠ ، كان معدل زيادة سكان العراق يبلغ ١٣٪ سنويا ، الا ان هذا المعدل قد ازداد الى ١٨٪ سنويا ما بين ١٨٩٠ - ١٩٠٥ . ولم يتوقف هذا التزايد في معدل نمو السكان فحسب ، بل انه قد انعكس قليلا خلال فترة ١٩٠٥ - ١٩٣٥ ، حين هبط هذا المعدل الى ١٧٪ سنويا باديء الامر ، والى ١٥٪ سنويا بعدئذ . وعليه ، فمن الواضح ان سكان العراق بدأ ، خلال الفترة منذ ١٩٣٥ فقط ، ينمو بمعدل ٢٤٪ سنويا ، وهذا المعدل يزيد زيادة ملحوظة عما يماثله في أى زمن آخر منذ أواسط القرن التاسع عشر .

لئن كان النمو الكلي للسكان غير موحد في مختلف ارجاء البلد ، فان معدل زيادته السنوية لم يكن متماثلا في الاقاليم المختلفة . ومن الجدير بالملاحظة انه على الرغم من اهمية الفروق في معدلات زيادة السكان الاقليمي خلال الفترة الاولى ١٨٦٧ - ١٨٩٠ ، فانها قد اخذت بالازدياد منذ ذلك الحين . فلقد بلغت معدلات زيادة السكان الاقليمي ١٨٪ سنويا في المنطقة الشمالية ، و ٧٪ سنويا في المنطقة الوسطى ، و ١٦٪ سنويا في المنطقة الجنوبية ، خلال فترة ١٨٦٧ - ١٨٩٠ ، و ٢٢٪ و ٣٧٪ و ١١٪ سنويا على التوالي ، خلال فترة ١٩٣٥ - ١٩٤٧ . وفوق ذلك ، لم تزد أرقام الفروق في نمو السكان الاقليمي على مر الزمن فحسب ، بل اشتد اتجاهها الجغرافي الذي يشير الى هبوط متزايد نسبيا في المنطقة الجنوبية ، وازدياد متصاعد ، لا سيما في المنطقة الوسطى ، وفي المنطقة الشمالية أيضا . كان معدل زيادة السكان السنوى في المنطقتين الوسطى والشمالية قد ارتفع ارتفاعا يبلغ ٣٧٪ و ٢٢٪ على التوالي ، بينما كان هذا المعدل قد بلغ ١١٪ خلال الفترة ما بين ١٩٣٥ - ١٩٤٧ .

الى أى حد يمكن تفسير هذه الفروق الاقليمية في نمو السكان الكلي وفي معدلات الزيادة بالفروق الاقليمية لمعدلات الولادات والوفيات ؟

الجدول الثالث معدلات الولادات والوفيات لمن العراق الرئيسية الثلاثة

١٩٢٧ - ١٩٣٥						١٩٣٥ - ١٩٢٧						المادة
المعدل	البحيرة	الموصل	بغداد	المعدل	البحيرة	الموصل	بغداد	المعدل	البحيرة	الموصل	بغداد	
١٩٥٥٠٠٠	١٠٢٥٠٠٠	١٣٤٥٠٠٠	٣٥٥٠٠٠٠	١٣٠٥٠٠٠	٥٦٥٠٠٠	٨٥٥٠٠٠	٢٥٥٠٠٠٠	سكان المدينة				
٥٨٥٥٦	٢٥١٤٠	٤٥٠٧٤	١١٥٣٧٨	٢٥١٣٤	١٥١٤٥	٢٥١٥٩	٧٥٥٠٠	الولادات المسجلة				
٢٨	٢١	٣٠	٢٣	٢٩	٢٠	٢٧	٣٠	معدل الولادة للاف				
معدل وفيات الاطفال لكل												
١٦٢	٢٤٢	٨٢	١٦٢	٢٩٠	٤٠٣	٢٤٣	٢٤٤	الف مولود حي				
٣٥٦٤٤	١٥٧٨١	١٥٩٠٤	٧٥٢٤٩	٢٥٧٢٥	٢٥١٢٥	١٥٩٥٧	٧٥٠٩٣	الوفيات المسجلة				
١٧	١٧	١٤	٢٠	٢٦	٣٨	٢٣	٢٨	معدل الوفيات للاف				
٧	٤	١٦	١٣	٣	١٨	١٤	٢	معدل الزيادة الطبيعية للاف				

ان المتوفر من الاحصاء الحياتي (Vital Statistics) لا يعطي جوابا دقيقا على هذا السؤال . فالوجود من هذا الاحصاء يشمل ثلاثة مدن رئيسية (داخل حدود بلدياتها) وهي بغداد في المنطقة الوسطى ، والموصل في

المنطقة الشمالية ، والبصرة في المنطقة الجنوبية ، ويبدأ منذ ١٩٢٧ فقط . وينحصر الإحصاء الحياتي لهذه المدن الثلاثة في الولادات والوفيات « المسجلة » ، وعلى الرغم من علمنا بأن هذه الأرقام « المسجلة » هي أقل من الأرقام الحقيقية ، فليس لدينا حتى تخمين عن الفرق بين الأرقام الحقيقية و « المسجلة » . وعليه ، فمن الواضح أنه ليس لدينا إحصاء حياتي وطني ولا معلومات تمثل المناطق البدوية - الريفية - المدنية .

يبدو أن الدليل ، على حد صحته ، يشير إلى أن إحصائيات معدلات الولادات ، والوفيات ووفيات الأطفال ، كما تظهر في الجدول الثالث ، هي أوطأ من المعدلات الوطنية المحتملة . وعليه ، فكون مستوى الصحة والمعيشة أحسن نسبياً في المدن الرئيسية الثلاثة يعني أن معدلات الوفيات ووفيات الأطفال يحتمل أن تكون أوطأ من مثيلاتها السائدة في الأرياف والمدن الصغيرة حيث تكون الأحوال الصحية أكثر رداءة والفقراء أشد ادقاعاً . وعلى العكس من ذلك ، فالمحتمل أن يكون معدل الولادات العام أوطأ في المدن الرئيسية الثلاثة منه في المناطق الأخرى ، نظراً لصغر حجم العائلة في المدن . ثم أن معدلات الولادات والوفيات « المسجلة » تنحاز نحو الانخفاض ، الولادات بسبب الخوف من التجنيد ، والوفيات بسبب رسم (الدفنية) ، على أن التملص من هذه الأخيرة أصعب !

يظهر من الجدول الثالث أن اتجاه معدلات وفيات الأطفال والوفيات الأخرى مال نحو الهبوط خلال العشرين سنة السابقة لإحصاء السكان في عام ١٩٤٧ . فإن معدل وفيات الأطفال (الذين لم يبلغ عمرهم السنة) قد هبط من ٢٩٠ لكل ألف مولود حتى في ١٩٢٧ - ١٩٣٥ إلى ١٦٢ في ١٩٣٥ - ١٩٤٧ . أن هذا الهبوط كان أكثر بروزاً في البصرة والموصل ، حيث بلغ ١٦١ و ١٦٠ لكل ألف على التوالي ، بينما لم يزد هذا الهبوط في بغداد على ٦٢ لكل ألف وذلك لانخفاض معدل وفيات الأطفال في بغداد من قبل ، ولكون سكانها أكبر عدداً وأشد

ازدحاما • اما عن معدل الوفيات ، فقد هبط ، فى المدن الرئيسية الثلاثة ، من ٦٢ الى ١٧ بالالف • وعلى العموم ، فقد كان هذا الهبوط أكثر بروزا فى مدينة البصرة من بغداد والموصل ، وربما يعود ذلك الى اتساع نطاق تسجيل الوفيات فى المدينتين الاخيرتين من جهة ، والى الارتفاع السابق لمعدل الوفيات فى البصرة •

بينما اتجهت معدلات وفيات الاطفال والوفيات الاخرى نحو الهبوط خلال فترة ١٩٢٧ - ١٩٤٧ ، يبدو ان معدل الولادات بقى مستقرا على ٢٨ - ٢٩ بالالف تقريبا • ويظهر ان معدل النمو أو الازدياد الطبيعى (وهو الفرق بين معدلات الولادات والوفيات العامة) كان حوالى ٤ بالالف خلال فترة ١٩٢٧ - ١٩٤٧ • وكان معدل النمو الطبيعى هذا أكثر بروزا فى البصرة ، حيث ارتفع من ١٨ - فى ١٩٢٧ - ١٩٣٥ الى ٤ بالالف فى ١٩٣٥ - ١٩٤٧ ، من بغداد ، حيث ازداد ١١ بالالف ، أو فى الموصل ، حيث ارتفع ٢ بالالف فقط ، خلال نفس الفترة •

واضح ان المعلومات المتوفرة عن معدلات الولادات والوفيات لا تمثل الولادات والوفيات الاقليمية الحقيقية ، مما لا يجعلها ، الى هذا الحد ، مقياسا صحيحا لتفسير اختلاف الاقاليم أو المناطق فى درجات نموها باختلاف معدلات الولادات والوفيات فيها • وقد يبدو ، لاول وهلة ، ان المقارنة بين الجدولين الثانى والثالث مثمرة جدا ، ولكن الفروق بينهما تجعل ، بعد التحميص ، المقارنة الدقيقة غير ممكنة • ان هذين الجدولين يختلفان فى نطاقهما ، حيث يشمل الثانى المناطق كلها ، بينما يقتصر الثالث على عواصم هذه المناطق ، ويختلفان أيضا فى مدى الخطأ الذى يحتويان ، حيث ان هذا الخطأ أكبر فى الجدول الثالث ، ولا يعالج الجدولان نفس الحقبة من الزمن - كل هذه الفروق تجعل المقارنة الدقيقة غير ممكنة •

ولكن على الرغم من ذلك ، فهناك نقطة من نقاط المقارنة التى

لها اهميتها ولو كانت محدودة . وهى المقارنة بين معدلات نمو السكان الاقليمى ومعدلات النمو الطبيعى للمدن الرئيسية الثلاثة فى هذه الاقاليم من ١٩٣٥ - الى ١٩٤٧ . ومن هنا ، كان معدل النمو الطبيعى لمدينة المنطقة الشمالية ، الموصل ، ١٠٦٪ سنويا ومدينة المنطقة الوسطى ، بغداد ، ١٠٣٪ سنويا ومدينة المنطقة الجنوبية ، البصرة ، ٠٤٪ سنويا ، بينما كانت معدلات نمو سكان هذه المناطق ٢٢٪ ، و ٣٧٪ ، و ١٠١٪ سنويا على التوالى ، خلال فترة ١٩٣٥ - ١٩٤٧ . واذا تذكرنا الفروق الجغرافية (بعضها يشمل المنطقة كلها والآخر يقتصر على أكبر مدينة فيها) لهذه الازقام ، فسوف لا نستطيع الا ان نقترح مبدأيا ان الفروق فى معدلات نمو السكان الاقليمى ، لا سيما المنطقة الوسطى ، لا يمكن ان تعزى كلها الى الفروق فى معدلات الولادات والوفيات ، ونظرا لعدم وجود أى هجرة خارجية هامة من أو الى العراق ، فان هذه الفروق الاقليمية بين معدلات النمو الطبيعى والنمو الفعلى فيها لابد ان تعود الى الهجرة الداخلية بين المناطق أو الاقاليم لا سيما الهجرة الى المنطقة الوسطى الاكثر تمدنا ، والهجرة من المنطقة الجنوبية المتأخرة - ويبدو ان هذه نتيجة تؤيدها التغيرات فى مكونات أو تركيب السكان الاقليمى فى العراق .

(٢)

تطور تركيب السكان الاجتماعى

يشير نمو السكان فى الامد الطويل الى مستوى النشاط الاقتصادى العام ، بينما تشير التغيرات فى تركيب السكان فى الامد الطويل الى التغير النسبى فى تركيب الانتاج والاستهلاك . ويلقى الجدول الرابع بعض الضوء على التغيرات الكلية والاقليمية فى التركيب البدوى - الريفى - المدنى لسكان العراق منذ ١٨٦٧ .

اجدول الرابع
تركيب السكان البدوي - الريفي - المدني ، ١٨٦٧ - ١٩٤٧
(بالآلاف)

التاريخ	الاقليم	البدوي	% من	الريفي	% من	المدني	% من	المجموع
١٨٦٧	المنطقة الشمالية	٧٠	٢٦	١٤٠	٥٢	٥٥	٢٢	٢٦٥
	المنطقة الوسطى	١١٥	٢٣	١٧٠	٣٩	٢٠٦	٤١	٤٩١
	المنطقة الجنوبية	٢٦٠	٥٠	٢١٥	٤١	٤٩	٩	٥٢٤
١٩٣٨٠	المسراق	٤٥٠	٢٥	٥٢٥	٤١	٢١٠	٢٤	١٩٣٨٠
١٨٩٠	المنطقة الشمالية	٩٣	٢٣	٢٢٣	٥٥	٨٥	٢٢	٤٠١
	المنطقة الوسطى	٦٥	١٣	٣٤٠	٥٩	٢٧٠	٢٨	١٧٥
	المنطقة الجنوبية	٢٧٥	٢٧	٤٠٠	٥٣	٧٥	١٠	٧٥٠
١٩٠٥	المسراق	٤٣٣	٢٥	٩٦٣	٥٠	٤٣٠	٢٥	١٩٠٣٦
	المنطقة الشمالية	١٥٣	٢٨	٢٥٤	٤٧	١٣٣	٢٥	٥٤٠
	المنطقة الوسطى	٧٠	٧	٤٦٨	٧٨	٣١٧	١٥	٨٥٥
	المنطقة الجنوبية	١٧٠	١٩	٦٠٢	٧٢	٨٣	٩	٨٥٥
١٩٣٠	المسراق	٣٩٣	١٧	١٩٣٤	٥٩١	٥٣٣	٢٤	٢٩٣٠٠
١٩٣٠	المنطقة الشمالية	٨٢	١١	٥١٩	٦٦	١٧٤	٢٣	٧٦٥
	المنطقة الوسطى	٦٤	٤	٨٥٥	٥٦	٥٣١	٢٦	١٩٤٦٠
	المنطقة الجنوبية	٨٨	٨	٨٧٢	٨٣	١٠٣	٩	١٩٠٦٣
١٩٤٧	المسراق	٢٣٤	٧	٢٩٢٤٦	٦٨	٨٠٨	٢٥	٢٩٢٨٨
	المنطقة الشمالية	٧٠	٥	٧٩٤	٥٩	٤٨٢	٣٦	١٩٣٤٧
	المنطقة الوسطى	٢٥	١	١٥٠٧٤	٥٣	٩٤٤	٤٦	٢٩٠٤٣
	المنطقة الجنوبية	١٥٥	١٠	٨٣٣	٥٩	٤٣٨	٣١	١٩٤٢٦
١٩٤٧	المسراق	٢٥٠	٥	٢٩٧٠٢	٥٧	٤١٧٦٤	٧٨	٤٩٨١٦

ان الارقام فى الجدول الرابع لا تصلح للمقارنة الدقيقة ، فانها مستمدة من مصادر مختلفة ذات درجات متفاوتة فى الخطأ ، وهى مصنفة على اساس تختلف بعض الاختلاف . ومع ذلك ، فمن الممكن الركون الى هذه الارقام لايضاح الاتجاه العام فى تركيب السكان البدوى - الريفى - المدنى . وعليه ، ففي أواسط القرن التاسع عشر كان سكان العراق ، الذى لم يزد الا قليلا عن المليون والرربع ، ينقسم الى حوالى النصف مليون من العشائر البدوية التى كانت تعيش على حراسة ونقل البضائع التجارية ، وأكثر قليلا من نصف مليون من السكان الريفى (الزراعى والرعى) الذين كانوا يعتمدون على الارض للزراعة أو الرعى ، وأقل من ثلث مليون من السكان الذين يكتسبون معاشهم ، فى المدن الكبيرة أو الصغيرة ، من الصناعات اليدوية ، التجارة الداخلية والخارجية ، والادارة . ولكن سكان العراق ، فى أواسط القرن العشرين أو فى ١٩٤٧ على الادق ، الذى ازداد الى حوالى الخمسة ملايين ، منهم ربع مليون فقط هم من العشائر البدوية ، و ٢٧ مليون يمثلون السكان الريفى ، بينما حوالى ١٨ مليون يمثل السكان المدنى الذى يكتسب عيشه فى المدن التجارية والصناعية الكبيرة أو فى مدن التسويق التى تحتل مكانا وسطا بين حياة الريف والمدينة .

يظهر من الجدول الرابع التغير فى تركيب السكان البدوى - الريفى - المدنى ظهورا واضحا . فيتضح ، أول ما يتضح ، الهبوط المطلق والنسبى فى القسم البدوى من شعب العراق ، منخفضا انخفاضاً مطلقاً من حوالى نصف المليون فى ١٨٦٧ الى ربع المليون فى ١٩٤٧ ، ونسبياً من ٣٥٪ الى ٥٪ من مجموع السكان .

ويتضح ثانيا ، وحتى عام ١٩٣٠ على أية حال ، حدوث ارتفاع مطلق ونسبى فى السكان الريفى ، الذى ارتفع ارتفاعاً مطلقاً من حوالى نصف مليون فى عام ١٨٦٧ الى ما يقارب المليون والرربع فى سنة ١٩٣٠ ، واستمر السكان الريفى العراقى فى ارتفاعه المطلق هذا

حتى بلغ ٢٧ مليون في ١٩٤٧ ، بينما هبطت نسبته الى ٧٥٪ من مجموع السكان ، نظرا الى نمو السكان المدني .

وأخيرا ، فعلى الرغم من ازدياد السكان المدني ازديادا مطلقا من حوالى ثلث المليون في ١٨٦٧ الى أكثر من مليون وثلاثة أرباع المليون في ١٩٤٧ ، فان مركزه النسبي بقي مستمرا على حوالى ٢٤ - ٢٥٪ من مجموع السكان ، حتى فترة ١٩٣٠ - ١٩٤٧ حين ارتفع الى ٣٨٪ في السنة الاخيرة .

لم تكن هذه الاتجاهات الثلاثة في تركيب سكان العراق موحدة بين اقاليمه المختلفة . فلقد كان الهبوط المطلق والنسبي للسكان البدوى أكثر بروزا في المنطقة الوسطى منه في المنطقتين الجنوبية والشمالية . لقد انخفض السكان البدوى للمنطقة الوسطى انخفاضا مطلقا من حوالى ١١٥٠٠٠ في ١٨٦٧ الى حوالى ٢٥٠٠٠ في ١٩٤٧ ، بينما كان الهبوط المماثل من ٢٦٠٠٠ الى ١٥٥٠٠ في المنطقة الجنوبية ، ولكن بقي السكان البدوى في المنطقة الشمالية ، مع تذبذب صاعد ثم هابط ، مستقرا خلال الفترة نفسها . ونفس القول ينطبق على المركز النسبي للسكان البدوى . ولذا ، كان الهبوط في السكان البدوى النسبي من ٢٣٪ من سكان المنطقة الوسطى في ١٨٦٧ الى ١٪ من سكانها في ١٩٤٧ ، بينما كان الهبوط المماثل في المنطقة الجنوبية من ٥٠٪ الى ١٠٪ ، وفي المنطقة الشمالية من ٢٦٪ الى ٥٪ خلال نفس الفترة .

ويقابل هذا الهبوط في السكان البدوى لاقاليم العراق المختلفة ارتفاع في سكانها الريفي . وعليه ، فقد ارتفع السكان الريفي من حوالى ١٧٠٠٠ في ١٨٦٧ الى ٨٥٥٠٠ في ١٩٣٠ في المنطقة الوسطى ، ومن ٢١٥٠٠ الى ٨٧٢٠٠ في المنطقة الجنوبية ، ومن ١٤٠٠٠ الى ٥١٩٠٠ في المنطقة الشمالية على التوالي . بيد ان الارتفاع النسبي كان أكثر بروزا في المنطقة الجنوبية ، صاعدا من ٤١٪ في ١٨٦٧ الى ٨٣٪ من سكان هذا الاقليم في ١٩٤٧ ، بينما كان ما يماثله أقل بروزا

فى المنطقتين الشمالية والوسطى ، صاعدا من ٥٢٪ الى ٦٦٪ فى الاولى ومن ٣٦٪ الى ٥٦٪ فى الثانية .

وبعد ١٩٣٠ ، استمر ارتفاع السكان الريفى الاقليمى ، ارتفاعا مطلقا هبط مركزه النسبى فى جميع الاقاليم ، وذلك لارتفاع السكان المبنى ارتفاعا ملحوظا . ان هبوط السكان البدوى المبكر والسريع وارتفاع السكان الريفى ، خاصة فى المنطقة الوسطى ، وان هبوط السكان البدوى البطيء والمتأخر وارتفاع السكان المبنى ، خاصة فى المنطقة الجنوبية ، يفسر لنا زيادة هبوط السكان الريفى فى هذه المنطقة من ٨٣٪ فى ١٩٣٠ الى ٥٩٪ فى ١٩٤٧ على هبوطه فى المنطقة الوسطى من ٥٦٪ الى ٥٣٪ على التوالى .

اما عن اوجه الاختلاف الاقليمى للتغير المطلق والنسبى للقسم المبنى من السكان ، فتكفى الاشارة الى انه ، حتى عام ١٩٣٠ ، قد ارتفع الى ثلاث مرات فى المنطقة الشمالية ، واكثر من تضاعف فى المنطقة الجنوبية ، وذلك يعود الى نشوء المدن التسويقية فى هذين الاقليمين ، بينما كان التغير المماثل للقسم المبنى من سكان المنطقة الوسطى وسطا بين المنطقتين الشمالية والجنوبية . الا ان المركز النسبى للسكان المبنى فى المنطقتين الشمالية والجنوبية بقى مستقرا خلال فترة ١٨٦٧ - ١٩٣٠ ، بينما هبط السكان المبنى فى المنطقة الوسطى هبوطا شديدا من ٤١٪ فى عام ١٨٦٧ الى ١٥٪ فى ١٩٠٥ ، نظرا لانقراض الصناعات اليدوية البغدادية تحت ضغط منافسة المستوردات الصناعية الرخيصة ، ثم ارتفع الى ٣٦٪ فى ١٩٣٠ . وخلال فترة ١٩٣٠ - ١٩٤٧ ، ازداد القسم المبنى من السكان الى حوالى الثلث فى المنطقتين الشمالية والجنوبية ، بينما صار السكان المبنى فى المنطقة الوسطى لا يقل الا قليلا عن نصف مجموع سكانها .

(٣)

السكان الفعال وتوزيعه الحرفي

هنالك جانب آخر ؛ على درجة عظيمة الاهمية ، من جوانب تركيب السكان ، وهو توزيعه الجنسى والعمرى (حسب فئات الاعمار) الذى يبين ، أو يجب ان يبين ، كمية الايدى العاملة ونوعيتها . ونظرا لعدم توفر الاحصائيات عن توزيع السكان حسب الجنس والعمر قبل احصاء السكان لسنة ١٩٤٧ ، وعدم ظهور هذه النتائج لاحصاء السكان لعام ١٩٥٧ ، فقد اقتصر هذا القسم من الدراسة على تركيب السكان (الفعال) (وغير الفعال) وتوزيعه الحرفي فى عام ١٩٤٧ .

ويقترض احتساب القسم الفعال اقتصاديا من مجموع السكان حدا أدنى لا يبدأ الانسان العمل قبله وحدا أعلى يقف العمل عنده ، ولا بد ان يحتوى هذا التعريف على عنصر اعتبارى . ويقوم الجدول الخامس على أساس ان جميع الاشخاص من فئات العمر ١٠ - ٤٩ سنة هم أعضاء السكان الفعال اقتصاديا . واعتمدنا هذا التعريف نظرا لانطباقه على الوضع الاقتصادى فى العراق من جهة ، ونظرا لعدم ورود أى حد أدنى أو أعلى لعمر العمل فى قانون العمل لعام ١٩٣٦ (والذى كان نافذ المفعول فى ١٩٤٧) عدا ما حدده بالنسبة للعمل فى بعض الحرف الخطرة . ويظهر من احصاء السكان لعام ١٩٤٧ ان عدد العمال الاطفال ، دون العاشرة من العمر ، كان فى الحقيقة مرتفعا حتى بلغ ٢٠.٠٠٠ طفلا . ثم ان الاحوال الصحية الرديئة ، وظروف العمل المرهقة ، وقصر معدل العمر ، كل هذه العوامل تشير الى ان نشاط الافراد الاقتصادى يتوقف وهم فى عمر الخمسين .

يشبه العراق معظم الاقطار المتخلفة اقتصاديا فى ان سكانه حدث جدا ، فحوالى نصفه دون العشرين سنة من العمر . ولنسبة السكان الفعال (المنتجون/المستهلكون) ونسبة السكان غير الفعال (المستهلكون/غير المنتجين) أهمية عظيمة فى التطور الاقتصادى .

الجدول الخامس
السكان الفعال وغير الفعال في ١٩٤٧
(بالآلاف)

الاقليم	الجنس	مجموع السكان	العمر ١٠ - ٤٩	العمر ٩ - ٥٠
			الفعال	غير الفعال
المنطقة الشمالية	الذكور	٥٨٧٠٧	٢٧٨٠٢	٣٠٩٠٥
	الاناث	٦٨٩٠٣	٣٥١٠٣	٣٣٨٠٠
	المجموع	١٠٢٧٧٠٠	٦٢٩٠٥	٦٤٧٠٥
المنطقة الوسطى	الذكور	٩٢٤٠٠	٤٥٢٠٦	٤٧١٠١
	الاناث	٩٦٧٠٧	٤٩٢٠٨	٤٧٤٠٩
	المجموع	١٠٨٩١٠٧	٩٤٥٠٤	٩٤٦٠٠
المنطقة الجنوبية	الذكور	٦١٤٠٧	٢٩١٠٣	٣٢٣٠٤
	الاناث	٧٨٠٠٧	٣٩٠٠٨	٣٨٩٠٩
	المجموع	١٠٣٩٥٠٤	٦٨٢٠١	٧١٣٠٣
العراق	الذكور	٢٠١٢٦٠٣	١٠٠٢٢٠١	١٠١٠٤٠٢
	الاناث	٢٠٤٣٧٠٨	١٠٢٣٤٠٩	١٠٢٠٢٠٨
المجموع		٤٠٥٦٤٠١	٢٠٢٥٧٠٠	٢٠٣٠٧٠٠

ويبين الجدول الخامس ان مجموع السكان غير اليدوى ، الاربعة والنصف مليون نسمة في ١٩٤٧ ، يتألف من ٢٠٢ مليون من السكان الفعال ومن ٢٠٣ مليون من السكان غير الفعال . ويصبح العبء الاقتصادي للسكان غير الفعال أو التابع أكثر ثقلاً اذا تأملنا التوزيع الجنسى لسكانه الفعال على قدر اختلاف الجنسين في امد النشاط

الاقتصادى ونوعه • وعليه فيتكون السكان الفعال اقتصاديا ، الذى يمثل ٤٩٥٪ من مجموع السكان ، من ٢٢٥٪ من الذكور و ٢٧٪ من الاناث • والباقي ٥ و ٥٠٪ الذى يمثل السكان غير الفعال ، ينقسم الى ٢٤٥٪ من الذكور و ٤ و ٢٦٪ من الاناث • وهذا يعنى ، بالنتيجة ، ان النساء الفعالات فعلا هن أقل بكثير من النساء الفعالات بصورة كامنة • ان نسبة السكان الفعال الى غير الفعال تميظ اللثام عن عائق هام من عوائق التطور الاقتصادى ، الا وهو : حتى يعيش السكان غير الفعال (المستهلك - غير المنتج) ، فينبغى ان يكرس السكان الفعال ما يزيد من الانتاج على عيشه الكفاف ، لا الى تجميع وزيادة راس المال ، بل بالاحرى الى اعاشة السكان التابع أو غير الفعال ، اولئك الذين يقعدهم سنهم ، لصغره أو كبره ، عن العمل • ولكى يزداد الانتاج لكل فرد من الشعب ، فلا بد ان يصبح معدل انتاجية السكان الفعال على درجة من الارتفاع يمكنه من خلق فائض من الانتاج ، الذى لا يكفى لاعاشة السكان الفعال وغير الفعال بل يضيف شيئا الى موجودات راس المال • واذا كانت نسبة السكان الفعال منخفضة ، ونسبة السكان غير الفعال عالية ، فان هذا سيكون عندئذ احد العوامل التى تعين على الجمود الاقتصادى •

ويبدو من الجدول الخامس ان السكان الفعال وغير الفعال اقتصاديا موزع بين الاقاليم المختلفة توزيعا متناسبا • ولكنه من الجدير بالملاحظة ان الذكور من السكان الفعال يكون على أعلاه فى المنطقة الوسطى ، واطأه فى المنطقة الجنوبية ، بين هذا وذاك فى المنطقة الشمالية • ثم ان الارتفاع النسبى للسكان بصورة عامة ، وللسكان الفعال من الذكور بصورة خاصة ، يشير الى وجود الهجرة الداخلية من المنطقتين الجنوبية والشمالية الى المنطقة الوسطى •

اما عن التوزيع الحرفى للسكان ، فان احصائيات النشاط الاقتصادى التى ينطوى عليها الجدول السادس يوضح فقط النمط الاعتيادى للعمالة أو الاستخدام ويبين مراتب الاهمية للحرف المختلفة • وعليه ، فلا تعكس هذه الارقام بصورة دقيقة حجم العمالة أو الاستخدام اذ إنها تشمل غير الصالحين للعمل أو الاستخدام (مثال ذلك المرضى ، والمقعدين والطلاب الخ) والعاطلين عن العمل •

الجدول السادس

الحرف الاولى والثانية والثالثة

الارقام بالآلاف وكل منها كنسبة مئوية من مجموع الايدي العاملة الوطنية

الاولى	النسبة	القطاع الاول	%	القطاع الثاني	%	القطاع الثلاثي	%	المجموع	%
المنطقة الشمالية	الدكور	٢١٩	١٦٥٧	١٧	١٠٢	٧٥٧	٣٣٨	٢٥٦	
الاناث	٢٤	١٥٨	٠٩١	٢	١٣	٠٥٨	٣٨	٢٥٧	
المجموع	٢٤٣	١٨٥٥	١٩	١١٤	٨٥٥	٣٧٦	٢٨٥٣		
المنطقة الوسطى	الدكور	٢٥٠	١٩٥١	٤٨	٢١٧	١٦٥٤	٥١٥	٣٩٥٢	
الاناث	٢٣	١٥٨	٠٥٣	١١	٠٥٨	٠٥٣	٣٨	٢٥٩	
المجموع	٢٧٣	٢٠٥٩	٥٢	٢٢٨	١٧٥٢	٥٥٣	٤٢٩١		
المنطقة الجنوبية	الدكور	٢١٦	١٦٥٤	٢٣	١٢٥	٩٥٧	٣٦٤	٢٨٥٠	
الاناث	١٦	١٥٢	٠٩١	٤	٠٥٣	٠٥٣	٢٢	١٥٦	
المجموع	٢٣٢	١٧٥٦	٢٥	١٢٩	١٠٥٠	٢٨٦	٢٩٥٦		
المنطقة الغربية	الدكور	٦٨٥	٥٢٥٣	٨٨	٤٤٤	٣٣٥٨	١٥٢١٧	٩٢٥٨	
الاناث	٦٣	٤٥٨	٠٥٥	٢٧	١٥٩	٩٨	٧٥٢		
المجموع	٧٤٨	٥٧٥٠	٩٦	٤٧١	٢٥٥٧	١٥٣١٥	١٠٠٥٠		

يظهر من الجدول السادس ان القطاع الاول أكبر قطاع في الاقتصاد العراقي ، الذي يتألف من الحرف الزراعية والحيوانية والصيد وصيد الاسماك ، اذ انه يمثل ٤٥٥ و ٧٤٨ عاملا وعاملة ، أو ٥٧٪ من مجموع السكان المحترف بموجب احصاء السكان لعام ١٩٤٧ . وعلى الرغم من ان هذه الارقام تعكس جيدا عدد الرجال المحترفين فانها تقلل من النساء العاملات في هذا القطاع الزراعي . من هنا كان عدد الرجال العاملين يعادل ٥٢ و ٢٪ من مجموع الايدي العاملة في القطاع الاول ، بينما يمثل النساء العاملات في ٤ و ٨٪ فقط . ويعود هذا الانحياز الهابط في العمالة النسائية ، فيما اعتقد ، الى النظرة الاجتماعية التي تعتبر البيت هو المحل الشريف الوحيد للمرأة .

اما أصغر القطاعات الاقتصادية ، القطاع الثانوي أو الصناعي ، فكان يشغل ٩٣٢ و ٩٥ أو ٧ و ٣٪ من مجموع ذوى الحرف . وفي هذا القطاع ، يمثل عمال النسيج والخياطة حوالى الثلث ، وعمال صناعة النفط والصناعات الخفيفة حوالى الربع ، والباقي يمثل أنواع البناء ، التجارة ، الجلد والصناعات الجلدية ، المرافق العامة (كمشاريع الماء والكهرباء الخ) ، وبعض الصناعات الكيماوية الخفيفة . وتقل أهمية النساء العاملات في القطاع الصناعي حتى عن العاملات في القطاع الزراعي . وهذا يعود الى النظرة الاجتماعية السائدة نحو العمل النسوى من جهة ، والى طبيعة الحرف الثلاثية والطلب على استخدام النساء فيها من جهة أخرى .

ان المركز الذي يحتله القطاع الثلاثي ، أو قطاع الخدمات ، في الاقتصاد العراقي ، شأنه شأن كل الاقطار المتطورة من المرحلة الاولى الى المرحلة الثانوية من الانتاج ، هو مركز القطاع الثانى فيما يشغله من مجموع الايدي العاملة . ويمثل القطاع الثلاثي ، الذي يتألف من التجارة ، الخدمات البيتية والعامة ، النقل ، وجميع الخدمات الادارية والمهنية على هذا الترتيب فى الاهمية ، ٩٧٩ و ٤٧٠ أو ٣٥٪ من مجموع العمال المستخدمين . وان نسبة النساء فى هذا القطاع تعادل ١٩٪ من الايدي العاملة الوطنية . وهذه النسبة أكثر مما يماثلها من النساء العاملات فى القطاع الصناعي ، الا انها أقل من تلك التى هى فى القطاع الزراعي .

يظهر من الجدول السادس ، اذن ، ان القطاع الاول أو الزراعي

هو أكبر قطاعات الاقتصاد العراقي والقطاع الثانوى أو الصناعى هو اصغرها ، والقطاع الثلاثى أو الخدمات بينهما ، استنادا الى توزيع السكان الحرفى فى ١٩٤٧ .

وتنطبق هذه النتيجة على أقاليم أو مناطق العراق كافة . ومع ذلك ، فمن المهم ان نلاحظ الفروق الاقليمية فى التوزيع الحرفى . فبينما تشغل المنطقتان الجنوبية والشمالية ٢٩ و ٦٪ و ٢٨ و ٣٪ من جميع الحرف ، تستوعب المنطقة الوسطى ما يربو على ٤٢ و ١٪ . ثم ان مدى الاستخدام الثانوى أو الصناعى والاستخدام الثلاثى أو التجارى فى المنطقة الوسطى يقارب مجموع استخدام هذين القطاعين فى المنطقتين الشمالية والجنوبية بصورة مجتمعة . وبعبارة أخرى ، بينما نجد العمالة فى القطاعين الصناعى والتجارى تمثلان من نصف الى ثلثى العمال فى القطاع الزراعى فى المنطقتين الشمالية والجنوبية ، تزيد العمالة فى القطاعين الصناعى والتجارى على العمالة فى القطاع الزراعى فى المنطقة الوسطى .

ومن الجدير بالمقارنة نتائج الجدولين الخامس والسادس اللذين تم احتسابهما من احصاء السكان لعام ١٩٤٧ . واستنادا الى الجدول الخامس يبلغ عدد السكان الفعال أو الشعب القادر على العمل حوالى ٢ و ٢ مليون نسمة ، بينما لا يزيد عدد العمال المشتغلين فى حرف معينة عن ١ و ٣ مليون نسمة . وقبل ان نخلص الى أية نتيجة من هذه الارقام ، علينا ان نستدرك بعض الامور . فليس كل السكان الفعال ، على وجه العموم ، متوفرا للعمالة أو الاستخدام الاقتصادى ، لانه يشمل المرضى ، والمقعدين ، والطلبة ، وأفراد القوات المسلحة ، وقسما كبيرا من النساء . كما ليس كل أصحاب الحرف مستخدمين فعلا ، اذ ان تعريف « الحرفة » المعمول به فى احصاء السكان لعام ١٩٤٧ كان على درجة من المرونة بحيث يشمل جميع الاشخاص الذين ينتمون الى صناعة ما . وعلى وجه الخصوص ، فان العمال الاطفال الذين هم دون سن العاشرة والعمال الشيوخ الذين يناهزون الخمسين يدخلون فى عداد أصحاب الحرف أو السكان الحرفى ، ولكنهم خارجون بموجب التعريف عن نطاق السكان الفعال . وحين يتذكر الباحث هذه الاستدراكات لا يسعه الا ان يقترح باحتراس ان نسبة السكان الحرفى الى السكان الفعال نسبة منخفضة جدا .

(٤)

النتائج

قبل ان اخلص الى نتائج البحث أرى من الضروري ان أذكر بان المصادر التي اعتمدتها لا يمكن ان تسفر الا عن تقديرات تشير الى الخطوط العريضة لنمو الشعب العراقي وتركيبه . وعلى العموم ، فان تقديراتي لنمو السكان المطلق يمكن التعويل عليها أكثر من الفروق بين معدلات هذا النمو . وطبيعي ان تكون تقديرات السكان البدوي هي الاقل تعويلا واعتمادا .

ويمكن ان نلاحظ ، بصفة عامة ، ان نمو وتركيب الشعب العراقي خلال الحقبة من ١٨٦٧ - ١٩٤٧ يعكس الاتجاه العام والمراحل المختلفة لتطور الاقتصاد العراقي . فان دخول طرق المواصلات البحرية والنهرية الحديثة استدعى هبوط السكان البدوي ، وانحطاط التجارة الاقليمية التقليدية . وقد اسهم هذا في زيادة السكان الريفي واتساع التجارة العراقية - الاوربية الحديثة . وبينما ساعد هذا على نمو القسم التجاري من السكان المدني ، فان ازدياد المستوردات الاوربية عمل على زوال الصناعات اليدوية والعاملين فيها ، مما جعل السكان المدني مستقرا استقرارا نسبيا حتى اوائل ثلاثينات القرن العشرين وبعدئذ ساعد نمو صناعة النفط ونشوء بعض الصناعات الحديثة على الارتفاع النسبي في السكان المدني والهبوط النسبي في السكان الريفي .

يمكن ، على وجه التحديد ، ان نتوصل ، في ضوء هذا البحث الى النتائج الاربع التالية :-

- ١ - يبدو ان النمو العام لسكان العراق قد مر في ثلاث مراحل . مرحلة النمو السريع ، ١٨٦٧ - ١٩٠٥ حين ارتفع السكان من ١ و٢٥ مليون نسمة ، ارتفاعا متزايدا بمعدل ١ و٣ - ١ و٨٪ سنويا ، ومرحلة أخرى ذات نمو متباطيء ، ١٩٠٥ - ١٩٣٥ ، حين ارتفع السكان الى ٣ و٦ مليون نسمة بمعدل ١ و٧ - ١ و٥٪ سنويا ، ومرحلة ثالثة ذات نمو أسرع ، ارتفع السكان خلالها الى ٤ و٨ مليون نسمة ، بمعدل ٢ و٤٪ سنويا . وربما تضاعف سكان العراق حوالى سنة ١٩٨٠ اذا اطرده نموه على هذا المعدل .

٢ - وان التبدل الطويل الاملد فى التركيب الاجتماعى لسكان العراق ينقسم الى مرحلتين . ففى المرحلة الاولى ، ١٨٦٧ - ١٩٣٠ ، واكب الهبوط المطلق والنسبى فى السكان البدوى ، مما يقل عن نصف المليون الى ما يقل عن ربع المليون ، أو من ٣٥٪ من مجموع سكان العراق ، ارتفاع شديد مقابل فى المستوى المطلق والنسبى للسكان الريفى ، مما يزيده على النصف مليون الى ما يقارب المليونين والربع أو من ٤١٪ الى ٦٨٪ من مجموع السكان ، بينما بقى السكان المدينى مستقرا استقرارا نسبيا على ٢٥٪ من السكان . اما المرحلة الثانية ، ١٩٣٠ - ١٩٤٧ ، فتبين ان السكان المدينى (الذى كان يناهز ثلث المليون فى ١٨٦٧) ، ارتفع ارتفاعا مطلقا من أكثر من ثلاثة أرباع المليون فى ١٩٣٠ الى أكثر من مليون وثلاثة أرباع المليون ، وارتفاعا نسبيا من ٢٥٪ الى ٣٨٪ فى ١٩٤٧ ، بينما هبطت نسبة السكان الريفى الى ٧٥٪ . ولاشك فى ان هذا الفرق يعود الى الهجرة من الريف الى المدينة .

٣ - وربما كانت ابرز ميزة لتركيب سكان العراق فى ١٩٤٧ هى ارتفاع نسبة السكان التابع غير المنتج الى السكان الفعال : - ٢٠٣ الى ٢٠٢ مليون نسمة . وعليه ، فان كل شخص فعال (فى سننى العمل) يقابله شخص غير فعال تعيقه حادثته أو شيخوخته من المساهمة فى الانتاج . فسكان العراق الفعال كان يمثل ٤٩٠٥٪ من مجموع السكان . ان نسبة السكان غير الفعال العالية هذه تستلزم استخدام السكان الفعال استخداما انتاجيا تاما .

٤ - ولكن المقارنة بين الجدول الخامس والسادس تشير الى ان نسبة أصحاب الحرف الى السكان الفعال نسبة واطئة جدا : ١٠٣ الى ٢٠٢ مليون . ومن هنا يأتى تقدير مجموع البطالة التامة والجزئية فى المدن والارياف بحوالى ٤٠٪ من مجموع السكان الفعال فى عام ١٩٤٧ . ان استخدام أو تشغيل هذه الايدى العاملة الكثيرة الكامنة عنصر أساسى فى عملية الاعداد الاقتصادية فى الجمهورية العراقية .

الدكتور محمد سلمان حسن



عبدالرحيم شريف

جمهوريةتنا على عتبة حياة جديدة • منذ عام ونصف عام فقط ، خرجنا من ظلمات حكم شبه استعماري شبه اقطاعي ، حكم ملكي بوروقراطي بغيض ، عانت منه ملايين شعبنا أبشع أنواع الاستغلال والاستعباد ، حتى كان مضرب المثل في الدنيا ، كأسوأ ما يكون عليه نظام • اما بعد ثورة الرابع من تموز التي حطمت ذلك النظام وقبرته ، فقد أصبحنا على عتبة حياة جديدة ، يتطلع شعبنا ان تتيح له هذه الحياة امكانية صيانة الجمهورية وتوطيدها وتطوير منجزاتها ، والانعتاق من التخلف الذين نعاني منه في مختلف ميادين الحياة ، وتوثيق الروابط الاخوية الصميمة مع البلدان العربية الشقيقة ، ومواكبة الانسانية المتحررة ، المجددة في سيرها الى أمام •

فما هو سبيلنا في ذلك ؟

أكدت حكومتنا الوطنية في الدستور المؤقت ، وأعرب قائد الثورة ، غير مرة ، عن ان النهج الديمقراطي هو سبيل جمهوريةتنا في الحياة ، وقد اقترن ذلك فعلا بالتطبيق ، الى مدى غير قليل ، فمنذ الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، ولاول مرة في تاريخ العراق الحديث ، يتسنى لشعبنا بطبقاته الوطنية كافة ، ان تتنسم نسيم الحرية • منذ ذلك اليوم انطلق المارد العراقي الجبار من القمقم الذي ابقاه فيه الحكم البوليسي المباد • ان ذلك اليوم كان يوما فاصلا بين عهدين ، بين نهجين في الحياة • ففي البيان التاريخي الاول ، اعلن قائد الثورة عن اعتماده على الشعب ووضع كامل ثقته به وبمنظماته الجماهيرية ، وكم من مرة أكد على انه لن يسمح للديمقراطية ان تنتكس في جمهوريةتنا الفتية • وقد وفر العهد

الجمهورى وشخص عبدالكريم بالذات ، من الحريات وفرص التنظيم النقابى والاجتماعى ، ومن حرية النشر ، ما لم تتمتع بمثلها جماهير شعبنا فى كل تأريخنا الطويل . وتأكيدا على احترام النهج الديمقراطى حدد عبدالكريم قاسم فترة الانتقال بوقت معين هو السادس من كانون الثانى المقبل . وها ان هذه الفترة توشك ان تنتهى ، ويستعد الآن شعبنا لاستقبال الحياة الحزبية ، كأهم ما يستعد لاستقباله فى الظرف الراهن .

ان النصوص والتأكيدات ، الرسمية على انتهاج الديمقراطية سبيلا لجمهوريتنا ، وان الخطوات والمنجزات التى تمت حتى الآن فى هذا الشأن ، لها اسسها المادية الصلدة فى حياة مجتمعنا ، وفى طبيعة الثورة ذاتها ، مما سيساعد المسؤولين المخلصين والشعب معا على السير فى هذا السبيل بخطوات سريعة ثابتة . ذلك ان ثورة الرابع عشر من تموز ، التى اشعل الجيش قتيلا بقيادة بطلها عبدالكريم قاسم ، انما هى ثورة الشعب العراقى بعربه واكراده وسائر اقلياته ، ثورة جميع طبقاته الوطنية التى لم يكن الجيش الا من ابنائها . ضد الاستعمار والاقطاع والملكية وبقية أعداء الشعب من الحكام والعملاء وغيرهم ويزيد من متانة هذا الاساس المادى ، كون الطبقة العاملة وحلفائها كانت حتى قبل الثورة أكثر وأدق تنظيما وأوسع تعبئة للجماهير مما عداها من الطبقات الاجتماعية الاخرى .

ولهذا يقال - بحق - ان الأفكار التقدمية لها شعبية واسعة فى العراق ، يكاد لا يضارعه فى ذلك أى بلد فى هذه المنطقة . وان هذه الشعبية الواسعة تكاد تسود الى حد غير قليل ، حتى بين أوساط البورجوازية الوطنية وأحزابها .

وفى هذا الظرف الذى تمر به جمهوريتنا ، وفى هذه الفترة الانتقالية التى توشك ان تنتهى ، لينتقل العراق الى الحياة الحزبية التى حرمة منها الطغاة المبادون طويلا ، من المفيد ان نلقى نظرة على بعض المسائل الاساسية التى تتعلق بالحياة الحزبية ، لما فى ذلك من فائدة فى القاء ضوء على السبيل الذى نرجو لجمهوريتنا ان تسلكه .

الطبقات والصراع الطبقي :

منذ ان انقسمت المجتمعات الى طبقات ، متناقضة المصالح ، برز

على مسرح التاريخ الصراع بين الطبقات • صراع يتخذ مظاهر وأساليب وأشكالا مختلفة ، ويعتمد على قوى مختلفة متبدلة ، صراع سافر ومستتر ، سلمى ودموى عنيف ، مباشر وغير مباشر ... ونتيجة لهذا الصراع ، فضلا عن صراع الانسان مع الطبيعة ، سارت البشرية في طريق التطور والرقى ، الى ان بلغت المرحلة التى هى عليها الآن • وخلال ذلك تبدلت أشكال الصراع ، وأساليبه وأغراضه ، تبعاً لتبدل الظروف التى بدورها تؤدى الى تبدل الطبقات نفسها • فالصراع الطبقي بين السادة والعبيد ، يختلف كل الاختلاف عن الصراع الطبقي الناشب في العصر الحاضر بين العمل ورأس المال ، بين الطبقة العاملة والرأسماليين ، من حيث الاسلوب والهدف ، ولكن الجوهر واحد ، وهو صراع بين الظالمين والمظلومين ، بين المستغلين والمستغلين ، بين الحاكمين والمحكومين •

الاحزاب والصراع الطبقي :

عبر مئات من القرون من التقدم البشرى ، وعبر انتصارات لا تعد ولا تحصى على الطبيعة ، تعقدت حياة الانسان فى العصر الحديث : تعقدت حاجاته ومطالبه ، وتعقدت تبعاً لذلك سبل وأساليب تحقيقها ، وبتعبير آخر لنفس المعنى ، تعقدت أساليب الكفاح الطبقي •

وكما أصبحت مسألة التخصص فى مختلف مظاهر نشاط الانسان ضرورة تاريخية فى العصر الحديث وسمة بارزة من سماته ، كذلك أصبح الصراع الطبقي ، فى عصر تتعقد فيه مظاهر الحياة ، بأغراضها وأساليبها ، يستلزم التخصص ، وقد أصبحت الاحزاب السياسية احدى الادوات الاساسية المختصة فى هذا الصراع • أصبح لكل طبقة حزبها ، تنتظم فيه عادة طليعة تلك الطبقة المدركة لمصالحها الطبقية ولاسلوب الدفاع عنها ، حيال الطبقات الاخرى • وقد تنقسم حركة طبقة معينة ، ولكن مصالحها تكون فى الوحدة ، الا فى حالات استثنائية ، كما هى الحالة فى الولايات المتحدة الاميركية • فان الحزبين الحاكمين ، الديمقراطى والجمهورى ، وهما يمثلان طبقة واحدة هى رأسمالية الاحتكارات الكبرى ، يوفران لهذه الطبقة كثيراً من فرص المناورة وامكانيات خدع الرأى العام •

وعليه ، يمكن القول ، ان الاحزاب ، والنضال الحزبى ، ظاهرة تاريخية ، بالنسبة لكل مجتمع يأخذ بأسباب الحياة العصرية وينشد

مواجهة معضلات الحياة على ايدٍ مختصة ، وينشد التقدم والتطور .
ان هذا القول لا يعنى ان الاحزاب قد ظهرت فجأة فى فترة معينة
بالذات . فالاحزاب تمتد جذورها فى تاريخ الصراع الطبقي الذى خاضه
الانسان فى حياته المديدة . الا انها بدأت أجنة ثم ولدت ومرت فى
أدوار من النمو والتكامل ، قبل ان تصبح على ما هى عليه اليوم . وهى
فى الحقيقة ، كآية ظاهرة تأريخية أخرى ، تنشأ وتنمو وتشيع وتتلاشى ،
كالحالة بالقياس الى الملكية وللنظام البرلماني ، وللنظام الجمهورى . الخ ،
فقد نمت بذور كل نظام فى أدوار تأريخية معينة تسبق كثيرا الادوار
التي ازدهر فيها ذلك النظام . يزدهر النظام حينما تقتضيه ظروف
المجتمع التأريخية ، حينما يصبح الاداة الطبيعية السوية لتيسير تطور
المجتمع ، بالتغلب على التناقضات التي يعانى منها ، ويهرم النظام ،
ويتلاشى ، حينما لا يعود المجتمع بحاجة اليه ، حينما يتقدم المجتمع ،
وتظهر على مسرحه معضلات وتناقضات أخرى لم يكن النظام القديم قد
وجد لمجابهتها ، حينما لا يعود الاداة السوية للتغلب على التناقضات
الناشئة التي يعانى منها المجتمع ؛ حينما يصبح معرقلا للتقدم ، أو
لا يعود يقوى على تذليل الصعاب التي تعترض سبل التقدم .

وعليه ، فان حزب طبقة معينة ، ينشأ وينمو ويهرم ويتلاشى ،
مع نمو وهرم واضمحلال تلك الطبقة . ومن هذا نستخلص ان الاحزاب
عموما ليست ظاهرة أزلية . فاذا كانت قد ازدهرت فى العصر الحديث ،
فانها ستهرم وتتلاشى حتما مع تلاشى الصراع الطبقي الذى سيتم بتلاشى
الطبقات نفسها .

الاحزاب طلائع طبقية :

ان الحزب لا يضم جميع جمهور الطبقة التي يمثلها ، ولا يمكن
ان يوجد مثل هذا الحزب ، وانما يضم جزءاً صغيراً منها . وهذا الجزء ،
لا ينضم الى صفوف الحزب بصورة عفوية ، بل بدافع من الوعي الطبقي
والشعور بالمسؤولية والاستعداد لتحملها تجاه مصالح الطبقة . ان
الحزب كهيئة ذات اختصاص فى العمل لخدمة طبقته على ما تقدم بيانه ،
تحتم مصلحة تلك الطبقة ان تقدم لصفوفه ، صفوتها المختارة ، من حيث
الوعي ، من حيث تشخيص وبلورة أهداف تلك الطبقة ، والقدرة على
تحقيقها ، من حيث القدرة على تثقيف جماهير الطبقة بمصالحهم الطبقية

ورفع يفتظتهم ، من حيث القدرة على تعبئة أوسع جماهير الطبقة والمجتمع ، فى الحزب وفى المنظمات والمؤسسات الأخرى التى تخدم من حيث النتيجة أفكار ومصالح تلك الطبقة ، وأخيرا ، من حيث استعدادها للعمل الدؤوب ، والخضوع للضبط ، الذى هو من مقومات العمل الحزبى . لكل ما تقدم ، يعتبر الحزب طليعة طبقة ، وعيا ، وشعورا بالمسؤولية ، واستعدادا لتحملها . ولا يفوتنا ان ننوّه هنا بان الصفات التى نسبناها للحزب ، انما هى خطوط عامة وحسب . ومن المفروض ان هذه الصفات تختلف بين حزب طبقة وحزب طبقة أخرى ، ان مصدر الاختلاف ينبع ، بالدرجة الأولى ، من اختلاف النظرية التى يستهدى بها كل حزب ، التى هى ، من حيث الجوهر ، انعكاس لظروف ومصالح الطبقة التى يمثلها ذلك الحزب ، بالإضافة الى اختلاف الأسلوب ، الذى تلعب النظرية دورا أساسيا فى تقريره .

استقلال الأحزاب والاتحاد بينها :

قلنا ان الأحزاب هى أدوات أساسية ، فى الصراع الطبقي فى العصر الحديث ، وهى فى العادة ، أدوات الصراع السلمى ، باستثناء فترات الأزمات وبلوغ التناقضات الدرجة التى لا يعود عندها بالإمكان الاقتصار على الكفاح السلمى السوى ، وهى مرحلة الثورة .

وإذا كان التناقض الطبقي والصراع الطبقي من الظواهر التاريخية الأساسية الثابتة ، فى أى مجتمع طبقي ، مما يحمل كل طبقة على التوسل بوسيلتها الخاصة (حزبها . الخ) فى الدفاع عن مصالحها الا ان هذه التناقضات ، وهذا الصراع ، لا يفترض ان يكون على درجة واحدة من الحدّة . بل يفترض العكس . فالتناقض والصراع بين العمال والرأسماليين فى المجتمع الرأسمالى الحديث ، يبلغ أشده ، بينما لا يبلغ ذلك المستوى بين العمال والبورجوازية الصغيرة ، مثلا . وان التناقض بين العمال والبورجوازية الوطنية حتى الكبيرة منها لا يبلغ الحدّة التى يبلغها التناقض بين أى من هاتين الطبقتين والرأسمال الاجنبى ، أى الاستعمار . ونظرا لذلك ، فان بعض الطبقات تجد من مصلحتها ، وبإمكانها ، ان تتحد ، ان تتوافق ، ان تتعاون ، وتقف صفا واحدا فى وجه التناقض الأكبر ، رغم التناقضات بين هذه الطبقات . من هذه الوجهة ، تنبعث ضرورة الجبهة الموحدة ، وعلى هذا الأساس التاريخى

فتحقق • وبقدر ما تدرك الاطراف المعنية هذه الحقيقة الموضوعية ، يمهّد الطريق لتكوين الجبهة بين عدد من أحزاب تتفق مصالحها في مجابهة خطر أكثر جسامة ، رغم التناقضات القائمة فيما بينها ، باعتبارها تناقضات ثانوية • واننا نرى ان الاقرار والاعتراف بوجود التناقضات بين أطراف الجبهة ، وتشخيصها بجرأة وصراحة ، ان في الاهداف ، وان في الاساليب ، مما يساعد كثيرا على ترسيخ اسس الوحدة ، خلافا لما يتصوره البعض • ذلك ان التناقض موجود ، وهو حقيقة موضوعية ، خارجة عن ارادة الناس وان السكوت عنه ومحاولة تغطيته ، أمر لا يمكن ان يلغيه ، بل على الضد من ذلك ، يصبح مصدر عدم ثقة ، وريبة وتجرب في التعاون ، بل مصدرا لسوء التفاهم والخلاف • وعلى أية حال ينبغي ان لا يطغى الصراع بين تناقضات ثانوية ، على الصراع الذى ينبعث عن التناقض الاساسى ، الاعمق ، أو ان يوضع وياه على صعيد واحد • اما ، أى الطبقات ، وأى الاحزاب يمكنها ان توحد جهودها في جبهة موحدة ، تجاه طبقة أو طبقات أخرى ، وإلى أى مدى يكون ذلك الاتحاد ، فتلك مسألة تقررهما ظروف المجتمع وطبيعة الطبقات القائمة المتصارعة ، تقررهما بالدرجة الاولى مصالح أكثرية المجتمع حيال الاقلية ، التى قد تكون داخلية فقط ، وقد تكون داخلية وأجنبية في ذات الوقت ، وذلك في حالة كون ذلك البلد مستعمرا أو شبه مستعمر ، أو منطقة نفوذ ••

تعدد الاحزاب بتعدد الطبقات ومسألة الحزب الواحد :

قلنا ان الاحزاب انما هي في الاساس ، من أدوات الصراع بين الطبقات ، وهي طلائعها • وفي ظروف المجتمعات الطبقيّة في العصر الحديث ، لم يعد بميسور طبقة ، وليس من مصلحتها ، ان تستغنى عن اداتها المختصة ، الخاصة بها • وبقدر ما تتمتع به الطبقة من وعى ، وبقدر ما تجد من الخطر يتهدد مصالحها ، تندفع في تكوين حزبها وفي تعبئة وتنظيم أكبر عدد من جمهورها والمجتمع فيه • واذا ما اهملت طبقة ما أدواتها • فذلك اما لتأخر وعيها ، أو لأنها لا تشعر بخطر جدى يتهدها • ان حكام العراق المباديين ، الذين كانوا أعداء الداء للحياة الحزبية ، يترددون حتى في مسألة تكوين حزب أو أحزاب حاكمة ، تمثل المصالح التى هم حمايتها ، وهى مصالح الاستعمار والاقطاع والفئة الحاكمة البوروقراطية ، ظنا منهم ان سياسة القمع ، ومنع الطبقات الاخرى من تكوين أحزابها الخاصة بطرق شرعية ، تغنيهم عن مشقة تكوين حزب أو

أحزاب تدافع عنهم ، ولهذا ارتبكت جبهتهم وانهارت في الرابع عشر من تموز ، بمجرد سحق بضعة رؤوس منهم .

خلاصة ما تقدم ، ان تعدد الطبقات في مجتمع ما ، يفتح الطريق لتعدد الاحزاب . ومع ذلك فقد يسمد الى ما يناقض هذه الظاهرة ، أو الضرورة ، بمحاولة الطبقة الحاكمة ، بصورة قسرية مفتعلة ، حرمان المجتمع من الحياة الحزبية ومنع أى نشاط حزبي بصورة شرعية . كما كان سائدا في العراق في معظم عهود الحكم المباد ، أو ان تحرّم الطبقة المالكة ، التي هي بدورها تكون الطبقة الحاكمة ، تحرّم العمل الحزبي ، على كافة طبقات المجتمع باستثناء طبقتها ، فتقيم حزبها فقط ، وتحاول عبثا ان يعتبره حزب الجميع ، كما تحاول عبثا خدع المجتمع بالمبررات التي تنذر بها . انها بذلك تجرد الطبقات الاخرى من أدوات كفاحها ، وتبقى هي وحدها تحمل السلاح ، ظنا منها انها بذلك تستطيع الغاء الصراع الطبقي ، ومنع الطبقات المحكومة من الدفاع عن مصالحها .

ان الطبقة الحاكمة ، تلجأ عادة الى هذا الاسلوب الدكتاتوري ، ضد ارادة الاكثرية الساحقة من الشعب ، عندما تبلغ التناقضات أشدها بين الحاكمين والمحكومين ، بحيث لا يعود بإمكان الحاكمين مواصلة حكمهم بالاساليب الديمقراطية المألوفة ، فيلجأون الى الفاشية التي من جملة مظاهرها الاساسية ، مصادرة الحرية من الطبقات الاخرى وسيادة حكم الحزب الواحد ، كما يفعل عبدالناصر الآن ، باسم « الاتحاد القومي » وكما فعل من قبله هتلر وموسوليني وفرانكو .

ان الفاشية ، عدوة البشرية ، هي التي لجأت وتلجأ ، الى مثل هذه المحاولات ، التي تتنكر لقوانين التطور التاريخي للمجتمع ، فيسحقها التاريخ دون رحمة ، كما حدث لموسوليني وهتلر وغيرهما من الطغاة وكما يحدث الآن لنظام عبدالناصر . ذلك لان قوانين تطور المجتمع وأهمها الصراع الطبقي ، قوانين موضوعية خارجة عن ارادة الافراد ، وليس بميسور احد ، مهما سخر من قوى ، ان يتصدى لها ، أو يتلاعب بها ، أو ان يحرف وجهتها ، ان هذه الحقيقة أصبحت في عصرنا هذا ، بالنسبة لمئات الملايين من أبناء البشرية ، من البديهيات وخاصة بعد التجارب الفاشية الفاشلة في ألمانيا وإيطاليا واليابان ، و . . الخ . وأصبح التنكب عنها محل استهشاع واستنكار وسخرية الساخرين .

كل ما تقدم الكلام عنه هنا ينطبق على المجتمعات الطبقية ، أى

التي تتكون من طبقات متعددة ذات مصالح متضاربة . اما حيث يزول استغلال الانسان لاخته الانسان وتحكم الانسان بالانسان ، وتزول بذلك الطبقات ، ويصبح المجتمع طبقة واحدة ، كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي ، حيث استطاع الشعب العامل ان يتخلص من مستعبديه ومستغليه الطفيليين ، وأصبح سيد مصيره ، لم يعد مبرر لوجود حزب غير حزب واحد ، هو حزب الطبقة الوحيدة التي يتكون منها المجتمع ، الطبقة العاملة وحلفائها .

ولابد من التنويه هنا بان مهام الحزب في مجتمع لا طبقي كما هي الحالة في الاتحاد السوفيتي ، تختلف كل الاختلاف عن مهامه في مجتمع طبقي . فهو في الحالة الثانية يتولى الدفاع عن مصالح الطبقة التي يمثلها ، اما الاولى فتصبح مهمته ادارة المجتمع وتعبئته وتنظيمه في الصراع ضد الطبيعة ، وضد العدوان الخارجي وعملائهم في الداخل ، وستنتفي حتى هذه المهمة الاخيرة حينما تتخلص البشرية من سبة الاستعمار وخطر الحروب .

ان مرحلة الحزب الواحد لم يبلغها غير الاتحاد السوفيتي ، لأنه لا يزال البلد الوحيد ، في عالم اليوم ، الذي تحرر من نظام الطبقات . اما في بلدان الديمقراطية الشعبية ، حيث لا تزال بقايا الطبقات الاجتماعية موجودة ، فلا تزال ظاهرة تعدد الاحزاب قائمة ، ولم يحرم من حق التنظيم الحزبي ، سوى الطبقات التي تعاونت مع الاعداء ، انها بالدرجة الرئيسية الرأسمالية العميلة للرأسمال الاجنبي التي لا وطن لها غير وطن الرأسمال ، وطن الاحتكار والمضاربة والسوق السوداء والتهريب وكل ما يحقق الارباح بالطرق الغير مشروعة ، فضلا عن الاقطاعية العميلة المتفسخة التي فات أوانها تأريخيا ، وأصبحت مع الرأسمال العميل والاستعمار ، العائق الاساسي لكل اصلاح ولكل تقدم انساني .

بعض الاستنتاجات :

من الحقائق التي تطرقنا اليها في هذا البحث يمكن استخلاص :
أولا : ان أى مجتمع طبقي كمجتمعنا ، ينشب فيه صراع لا مفر منه بين طبقاته ، وبينها أو بين بعضها وبين الاستعمار ، في حالة فقدان الاستقلال أو التعرض للعدوان .

ثانيا : ان هذا الصراع حقيقة موضوعية خارجة عن ارادة الافراد ، وليس باستطاعة احد الغائه ، الا بعد زوال الطبقات .

ثالثا : ان الاحزاب ، أداة رئيسية في هذا الصراع . وان الحياة الحزبية هي أضمن ظرف لتيسير تطور المجتمع تطورا ديمقراطيا سلميا . وبالتالي ، فهي أنسب ظرف لانتعاش ونمو الحياة المادية فضلا عن السياسية لتلك الطبقات .

رابعا : ان تعدد الطبقات يتبعه في الظروف الطبيعية الديمقراطية ، تعدد الاحزاب . اما في حالة قيام طبقة واحدة كما في الاتحاد السوفيتي ، فلا محل آنئذ لتعدد الاحزاب ، بل حزب واحد يمثل الطبقة السائدة . خامسا : ان فكرة الحزب الواحد في أى مجتمع طبقي فكرة فاشية دكتاتورية ، تلجأ اليها الطبقة الحاكمة حينما لا تعود تستطيع مواصلة حكم الشعب بالاساليب الديمقراطية المألوفة . غرضها قمع وسحق مصالح وأفكار الطبقات الاخرى لمصلحة طبقتها هي دون غيرها . ولهذا يعتبر الأخذ بأسلوب الحزب الواحد عملا معاديا لمجموع الشعب ولمصلحه ومطامحه .

سادسا : ان لجوء الطبقات الى تكوين أحزابها الخاصة المتصارعة فيما بينها ، لا ينبغى ، بل يستدعى في كثير من الاحيان ، الوحدة بين تلك الاحزاب أو بعضها ضد عدو رئيسي ، داخلي ، أو خارجي أو كليهما . هذه استنتاجات عامة ، اما فيما يتعلق بجمهوريتنا ، من حيث طبيعتها ، ووجهتها ، وقواها ، فيمكن استخلاص الاستنتاجات التالية :

أولا : انها ليست جمهورية فئة ، أو طبقة ، أو قومية معينة ، بل هي جمهورية الطبقات الوطنية كلها ، جمهورية العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والكبيرة الوطنية ، جمهورية الكادحين والمثقفين الاحرار والكسبة والملاكين الوطنيين وأرباب الاعمال والصناعة الوطنية . جمهورية العرب والاكراد والآتوريين والتركمان والارمن وسائر الاقليات الاخرى . على هذه الاطراف ان تساهم في اعباء الحفاظ على جمهوريتها وتوطيد وتطوير مكاسبها . وينبغى ان يتاح لهذه الجهات ، لمثيلها ، ان يعبروا عن مطامحها وارادتها ، وذلك عن طريق تيسير الظرف الديمقراطي أمامها ، تيسير العمل الحزبي الحر لها .

ثانيا : ان جمهوريتنا هي جمهورية الثورة على الاستعمار والاقطاع والعملاء ، لا على الاشخاص فقط ، بل على المصالح والافكار والاساليب ،

وعلى كل ما يمت لهم بصلة • ولهذا ينبغي سد المنافذ أمام أية امكانية
لأولئك الاعداء تتيح لهم النفوذ من جديد الى عالم جمهوريتنا ، ومهما
حصلوا من شعارات وأسماء •

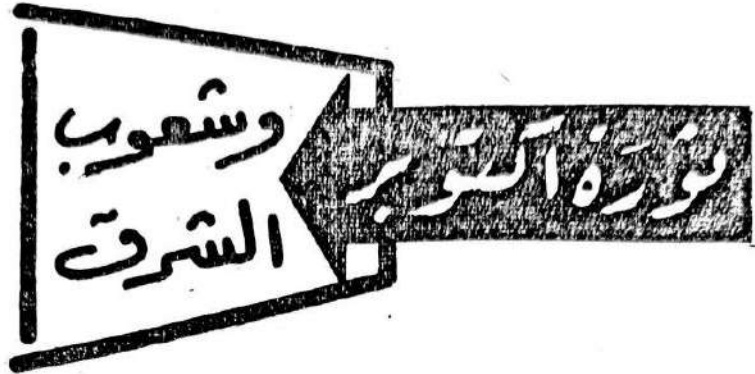
ثالثا : فى هذين الشرطين المتقدمين تكمن روح الديمقراطية الموجهة
ان مصلحة جمهوريتنا ، مصلحة جميع طبقات شعبنا ، لا تحتل تجربة
جديدة أو تساهلا مع أعدائنا • الحرية للجميع ، لجميع المخلصين
للجمهورية ، على اختلاف مصالحهم وعقائدهم ، ومنع أية حرية لكل أعداء
الجمهورية ، من أزمى فى عدائه لها ، ومن هو حديث عهد بالخيانة
والتآمر سواء بسواء •

رابعا : ان المصلحة (الخاصة) لكل طبقة من الطبقات الوطنية
وبالتالى مصلحة مجموع هذه الطبقات ، ومصلحة توطيد الجمهورية وتطوير
منجزاتها ، هى فى ان تتآلف هذه الطبقات ، تتحد فى جبهة موحدة •
وفى رأينا ان أضمن سبيل لقيام الجبهة وتوطيدها على اسس وطيدة ،
هو ، لا فى تغطية التناقضات بين هذه الطبقات وإهمال الفروق فى
الاهداف والاساليب • بل فى الاقرار بها ، فى توضيحها ، ولكن
ليس فى تشديدها على حساب التناقضات الاعمق والخطر بينها جميعا
وبين الاعداء •

خامسا : ان طبيعة ثورة ١٤ تموز ، ومبادئ الدستور الموقت
وجملة من التصريحات ومواقف قائد الثورة وإعلانه عن فترة الانتقال
وتحديد هذه الفترة ، والانجازات الديمقراطية التى تحققت حتى
الآن ، كل ذلك يؤكد على الطبيعة الديمقراطية لجمهوريتنا ، وعلى اننا
ماضون فى هذا السبيل ، مما يتنافى تماما مع اللاحزبية ، أو مع فكرة
الحزب الواحد •

سادسا : ان توطيد الحياة الحزبية ، وإتاحة كامل الحرية لكافة
الطبقات الوطنية ، المخلصة للجمهورية ولمنجزاتها ، وحجب الحرية عن
أعداء الجمهورية ، عن المتآمرين والقوى الرجعية التى تريد إرجاع العراق
الى سابق عهده البغيض ؛ ان هذا هو الاساس الذى يضمن توطيد
جمهوريتنا وصيانة منجزاتها ، وسيرها قدما فى طريق الديمقراطية
السليم ، وهو الاساس الذى يضمن انتعاش الطبقات الوطنية وإزدهار
اقتصادها وثقافتها وكافة مصالحها الوطنية المشروعة •

عبدالرحيم شريف



ذكرى خرى

كانت الامبراطورية الروسية سجنًا كبيرًا للشعوب الشرقية منها والغربية ، فكانت القيصرية تمثل حكمًا ملكيًا مستبدًا اقطاعيًا عسكريًا اندمج فى مراحلہ الاخيرة بحكم قوارين المال الذين أسسوا الاحتكارات الكبرى ورأسمالية التمويل ؛ ولم يكن الشعب الروسى وحده يوزح لبقايا القنانة الاقطاعية والحكم البوليسى والحرمان من الحقوق المدنية والحريات السياسية فان ٥٧ بالمائة من سكان الامبراطورية كانوا من غير الروس ، وكانوا يعانون الاضطهاد القومى بجميع أشكاله ، ويرضخون للاستثمار الاستعمارى والعبودية الاستعمارية . وكانت هذه الشعوب المحكومة شعوب أوربية متقدمة ، كالپولونيين ، محرومة من الاستقلال أو الحكم الذاتى ، وشعوب آسيوية متخلفة فى مراحل متباينة من التطور الاجتماعى ، من الصيادين ومربي الماشية العشائريين الرحل والشعوب التى تعيش فى النظام السابق للرأسمالية ، أو شبه الرأسمالى شبه الاقطاعى ، وتخضع جميع هذه الشعوب للقيصرية المستبدة (الاوتوقراطية) وموظفيها البيروقراطيين ، أى غير الخاضعين للانتخاب والمراقبة والمحاسبة من جانب الشعب ، وهم من طبقة النبلاء الاقطاعيين ، ولم يكن القيصر الا أكبر هؤلاء الاقطاعيين وممثلهم . كما كانت هذه الشعوب تخضع لاستثمارات الرأسمالية الروسية . فكانت الشعوب الآسيوية فى روسيا القيصرية لا تختلف فى شئ عن شعوب المستعمرات والبلدان المتخلفة فى آسيا وأفريقيا . وكانت روسيا نفسها متخلفة اقتصاديا عن سائر الدول الاستعمارية ، فكانت هى بدورها من ميادين

لإستثمار الرأسمال الاحتكاري الدولي وتدرّ عليه من الأرباح المفرطة مئآت الملايين سنويا . ولذا كانت القيصرية كلب حراسة للرأسمال الدولي - الإستعمار العالمي ، ليس على شعوب امبراطوريتها حسب بل على الشعوب المجاورة أيضا في أوربا وآسيا ، وقد غزت الجيوش الروسية والألمانية الروسية منذ أواخر القرن الماضي الصين وإيران وغيرهما من الدول المجاورة ، وأقامت فيها الحاميات والقواعد العسكرية وانتزعت منها الامتيازات . ان شعوب أوربا الشرقية وآسيا المجاورة للروسيا ، وليس في روسيا وحدها ، كانت تجد في القيصرية سجانا وجلادا لحرّياتها لحساب الإستعمار العالمي والرجعية الأهلية . وبالقائه نظرة الى الخريطه يستطيع المرء ان يتصور كم كان هذا السجناء العملاق رهيبا وهو في امبراطوريته المترامية الأطراف التي تشغل قرابة نصف قارتي آسيا وأوربا ، وتمتد من بحر البلطيق الى المحيط الهادى . فكان من الطبيعي ان تهزّ الثورة ، في هذه الامبراطورية التي تشغل سدس الأرض ، العالم جميعا وأن تحرك شعوب آسيا من سباتها التاريخي .

وبالفعل فان الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) قد حرّكت شعوب آسيا ، اذ برهنت لها ان سجانها لم يكن منيعا ، أو « أن الجحيم لم يكن مخيفا كما يصورونه » . فثار الشعب الإيراني من أجل الدستور (المشروطية) في ١٩٠٥ - ١٩٠٦ ، وثار تركيا من أجل الدستور أيضا في ١٩٠٨ ، وثار الصين وأسقطت امبراطوريتها في ١٩١١ . فقال « لينين » ان الثورة الروسية كانت فاتحة الثورات في آسيا . وكما ان الثورة الروسية الاولى انتهت بالفشل فكذلك الثورات الآسيوية الأخرى ، اذ تضافرت ضدها قوى الإستعمار العالمية ، وقمعتها بالحديد والنار والقروض الربوية التي كانت تستخدمها الرجعية في تقوية جهازها البوليسي وقمع شعوبها . ومع ذلك فقد تعلمت الدرس الاول في الثورة ، الفشل الذي لا بد منه للنجاح .

ان الحرب العالمية الاولى اضطرت أقوى الدول الاستعمارية في العالم - بريطانيا والروسيا - الى أن تستنجد بمستعمراتها فتجنّد مواردها ورجالها في حربها للصوصية ، وهذا يعنى تدريب أبناء المستعمرات على فن القتال الحديث والأسلحة الحديثة وافهامهم أن أقوى الدول ، وأكبر اللصوص أيضا ، وليس روسيا وحدها ، لم تكن من القوة الى حد المنعة ، لم تكن قوى لا تغلب ، فاكسب الآسيويون

والافريقيون شجاعة جديدة لمقارعة مستعبدتهم ، كما ان ويلات الحرب وخسائرها جعلت الموت فى سبيل التحرر أمرا هينا فى اعينهم أكثر من ذى قبل .

وفى السنة الثالثة من الحرب ثار الشعب الروسى ، وفى ثلاثة أيام أسقط القيصر واعتقله ، فى ثورة شباط ، حسب التقويم الروسى القديم (آذار ١٩١٧ فى التقويم الغربى) . ولم تضع الثورة العمال والفلاحين وهم الذين حققوا الثورة ، فى دست الحكم ، فان الحزب الشيوعى ، وهو الحزب الوحيد الذى عارض الحرب ودعا الشعب الى الثورة على الحكومة القيصرية ، وقاد الثورة بالفعل ، لم يكسب أكثرية المجالس الثورية (سوفيات مندوبى العمال والجنود) بل أصبحت الاكثرية فى ايدي أحزاب البورجوازية الصغيرة ، الاحزاب الاشتراكية اليمينية التى كانت تؤيد الحرب الاستعمارية ، وقد سلّمت هذه الاحزاب السلطة الى ايدي الحكومة الموقته ، حكومة الرأسماليين والملاكين ، التى كانت أشد حرصا من القيصر على خوض الحرب حتى النهاية فى سبيل الاستيلاء على أراضٍ جديدة وشعوب أخرى . ومن الطبيعى ان حكومة كهذه لم يكن يخطر لها على بال الاعتراف لاي شعب بحقه فى تقرير مصيره بنفسه ، بل استخدمت القوة المسلحة لقمع أية محاولة للانفصال من جانب الشعوب المضطهدة (بفتح الهاء) .

ولكن امتناع البورجوازية الاستعمارية الروسية عن انهاء الحرب ، وما تجره وراءها من جوع ودمار وشقاء ، وعن توزيع الارض على الفلاحين ، وعن الاعتراف بحق تقرير المصير للشعوب المضطهدة ، قد كشف ، أكثر فأكثر ، للعمال والفلاحين الطابع اللصوصى للحرب وخيانة الحكومة البورجوازية الاستعمارية التى كانت ذبلا للاستعمار ، واقتنعت الجماهير ان المخرج الوحيد هو الثورة الاشتراكية التى تسقط حكم الاستعمار وتعطى السلطة لمجالس العمال والفلاحين الثورية ، بقيادة الحزب الشيوعى . ان أهوال الحرب وتضحياتها الجسام اقنعت الجماهير بضلال شعار « الدفاع عن الوطن » الذى كانت أحزاب البورجوازية الصغيرة تستر به الطبيعة الاستعمارية التوسعية للحرب ، هذه الطبيعة التى كشفها الحزب الشيوعى وعلى رأسه لينين منذ بداية الحرب ، ولم ينفك لحظة واحدة عن ترسيخ هذه الحقيقة فى رؤوس العمال والفلاحين . وكانت الروح الاممية التى رستها الحزب الشيوعى لدى الطبقة العاملة

الروسية مصدر قوتها الذى خلصها من حمى الحرب الاستعمارية ،
وبالتالى من العبودية الرأسمالية .

وبقيادة الحزب الشيوعى تمكنت الطبقة العاملة الروسية ، ومن
ورائها كل الشعب ، من اسقاط البورجوازية فى ثورة اكتوبر الاشتراكية
العظمى . وكان من بين القوى الدافعة لهذه الثورة حركة الشعوب
المضطهدة ، فى الامبراطورية الروسية ، فى سبيل التحرر الوطنى .
لقد كسبت الطبقة العاملة الروسية ثقة هذه الشعوب وحققت التحالف
معها ضد الاستعمار بفضل منهاج الحزب الشيوعى وسياسته فى المسألة
الوطنية . لقد اعترف المنهاج صراحة بحق جميع الشعوب فى تقرير
مصيرها بنفسها بما فيه حق الانفصال فى دولة مستقلة . لقد ناضل
لنين بثبات من أجل تثبيت هذا الحق فى منهاج الحزب منذ تأسيسه
وكافح التعصب القومى بجميع أشكاله ، ومهما كانت الاثواب التى تستر
بها سواء لدى الاشتراكيين الروس أو لدى القوميات الصغيرة ، وناضل فى
سبيل المساواة والسلم بين الامم . ويزعم أعداء الشيوعية ان اللينينية
ضد القومية ، ويدعمون مزاعمهم بمقتطفات من مؤلفات لنين يرد فيها على
« القومية البورجوازية » ويفسرونها حسب أهوائهم كما لو كانت ضد
القومية اطلاقا ، كما لو كانت اللينينية تدعو للعالمية (الكوزموبوليتية)
التي تعنى التحلل من القومية مهما كان شكلها ومحتواها ، هذه
الكوزموبوليتية التي يبشر بها الاستعمار الأمريكى اليوم ويدعو جميع
الامم الى التنازل عن سيادتها ، جزئيا أو كليا ، لأمريكا ، فى سبيل
« عالم واحد » تسوده الاحتكارات الأمريكية . فى حين كان لنين أشد
وأثبت المناضلين فى سبيل حق الامم فى تقرير مصيرها بنفسها وبضمنه
حقها فى اقامة دولها المستقلة . ان لنين يشجب « القومية البورجوازية »
لان البورجوازية لا تعترف بالمساواة القومية لكل الامم فهى تريد حق
تقرير المصير لنفسها ، ولا تكتفى بهذا الحق بل تريد امتيازات على حساب
الامم الاخرى وعلى حساب السلم بين الامم . فى حين أن البروليتاريا
تعترف بالمساواة بين الامم فى حق تقرير مصيرها بنفسها وبمحض
اختيارها ، بما فيه حق الانفصال عن غيرها من الامم ، أو الاتحاد مع
غيرها . ان اللينينية تعلم الامة ، بخلاف القومية البورجوازية ، لا بروح
الانفصال بل بروح الاتحاد الاختيارى ، فى حين انها لا تضع عقبات فى
طريق الانفصال . اما القومية البورجوازية فهى تغرز فى اماتها روح
الانفصال عن غيرها ، فى حين انها تضع كل العراقيل والعقبات فى

طريق الأمم الأخرى نحو الانفصال أو الاستقلال • والقومية البورجوازية ترى فى انفصال أمته عن غيرها غاية بحد ذاتها ، فى حين أن اللينينية ترى فى الاعتراف بحق الانفصال لجميع الأمم على السواء وسيلة لغاية ، الطريق الوحيد للاتحاد الاختيارى بين الأمم • أن القومية البورجوازية تتشدد فى مطالبتها القومية لامتها حتى على حساب الأمم الأخرى ، أما اللينينية فإنها تتمسك بالمساواة بين الأمم وتكافح ضد وضع العقبات فى طريق الأمة نحو تحقيق حقوقها القومية بما فيها حق الانفصال ، أن لم يكن هذا الحق مضادا لحقوق الأمم الأخرى ومصلحة النضال المشترك بين الأمم ضد الاستعمار • أن شعار القومى البورجوازي هو : فليكن من بعدى الطوفان ، الانفصال وأن يكن من ورائه تدمير العالم ، ولا يكتفى بهذا بل يريد امتيازات لامته على حساب الأمم الأخرى ، وهو مستعد حتى لتقديم « البراهين » على أن الأمم أو القوميات الأخرى ليست سوى أجزاء من أمته أو قوميته إذا اقتضت الضرورة لمثل هذا الادعاء ، والافانه لن يتورع عن احتقار الأمم والقوميات والأقليات القومية الأخرى باعتبارها من جنس منحط ، إذا لم يجد ضرورة للتملق لها ، مقتديا بهتلر • ضد هذه الأشكال من القومية البورجوازية كافح لينين ، وغرس الأممية البروليتارية فى نفوس العمال الروس ، وحرر أقطارهم من القومية البورجوازية والمفاهيم الاستعمارية فانتصروا وحرروا أنفسهم وشعبهم وشعوب روسيا جميعا • وفى الثورة الروسية انفصل بعض هذه الشعوب بقيادة البورجوازيات القومية ، ولكن هذه البروجوازيات لم تستطع الحفاظ على حكمها على شعوبها فاستعانت بالاستعمار ، أى باعت استقلال أمتها لقاء بقائها فى الحكم والحفاظ على امتيازاتها ، فاستدعت جيوش الاحتلال الاستعمارية الأجنبية لتدافع عن نفسها ، ولكن الشعوب أبنت أن تستبدل استعمارا باستعمار بل ثارت على بورجوازياتها التى خانته وطنها وعلى جيوش الاحتلال الأجنبى ، واستعانت على طرد هذه الجيوش بالجيش الأحمر الروسى ، وأسست جمهوريات اشتراكية مستقلة متحالفة مع الجمهورية الروسية الاشتراكية السوفياتية • وفى عام ١٩٢٢ أى بعد خمس سنوات من ثورة أكتوبر توحدت جميع الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية • وتحققت نبوءات لينين فى أن حق الانفصال هو طريق الاتحاد ، الاتحاد الوطيد الثابت لأنه قائم على أساس المساواة والاختيار • وقد يرهن هذا الاتحاد على مدى متانته وثباته وتوطئه

وازداد رسوخا خلال أربعين سنة اجتاز خلالها أقسى امتحان مرت به أية دولة كبرى فى التاريخ ، وهو الحرب العالمية الثانية • هذا فى حين ان الامبراطورية الروسية تمزقت وسقط حكم القيصرية والبورجوازية الاستعمارية تحت وطأة الحرب العالمية الاولى التى كانت أقل فداحة من الحرب العالمية الثانية ، لان تلك الامبراطورية كانت اتحادا قسريا وليس اختياريا ، تسيطر فيه الأمة الروسية على الامم الاخرى ، وليس قائما على أساس المساواة بين جميع الامم • ولتعويض الامم أو القوميات المتخلفة عن النهب الاستعماري الذى تعرضت له فى ظل القيصرية والبورجوازية ، تنازل الشعب الروسى عن كثير من المساعدات للشعوب المتخلفة لصالح تلك الشعوب •

وكان أول مرسوم للحكومة السوفياتية التى وضعتها ثورة اكتوبر فى دست الحكم هو مرسوم السلم الذى وضعه لينين فى ٨ تشرين الثانى ١٩١٧ فى مؤتمر السوفيات • وقد وضع شروط سلم ديمقراطى عادل بين جميع الدول المتحاربة • والشرط الاساسى فى السلم الديمقراطى أو العادل الذى نص عليه الدستور ، هو عدم ضم أو الحاق أى شعب من الشعوب بأية دولة خلافا لرغبته ، سواء عبّر عن رغبته « فى الصحافة أو الاجتماعات الشعبية أو قرارات الاحزاب أو بالتمرد أو الانتفاضات ضد الاضطهاد القومى » •

وقد نشرت الحكومة السوفياتية بعد هذا المرسوم نصوص المعاهدات السرية التى عقدها القيصر وصادقت عليها الحكومة البورجوازية الاستعمارية مع الحلفاء الغربيين لاقتسام تركيا والبلدان العربية • وبذلك كشفت للشعوب الطبيعة اللصوصية للحرب العالمية الاولى وخداع الحلفاء للعرب بعد ان وعدوهم بالاستقلال لقاء ثورتهم على تركيا • ولكن العائلة الهاشمية - الملك حسين وأولاده - لم يعر اهتماما لهذا التنبيه الصارخ فوضعوا مصير الأمة العربية بيد الاستعمار ، وواصلوا الحرب ضد تركيا دون ضمانات جدية •

ومع ذلك فان شعوب آسيا وافريقيا وجدت فى ثورة اكتوبر مدرسة كبرى لتحررها من الاستعمار وأصبحت ثوراتها التحررية مضمونة النجاح وليس عملا يائسا كما كان شأن الثورات فى آسيا قبل اكتوبر • فان ثورة اكتوبر حولت الامبراطورية الروسية من معقل للرجعية وحارس للاستعمار العالمى الى حصن للسلم وللتحرر من الاستعمار والعبودية •

ففى ثورة ١٩١١ - ١٩١٣ الصينية تضافرت قوى جميع الدول الكبرى ، قوى الاستعمار العالمى ، لسحق الثورة • اما بعد ثورة اكتوبر التى شطرت جبهة الاستعمار العالمى فى سدس الكرة الارضية فقد أصبحت إحدى الدول الكبرى روسيا السوفياتية ظهيرا لآسيا فى حربها التحررية ضد الاستعمار الذى لم يعد عالميا بكل معنى الكلمة ، كما كان قبل اكتوبر ، فلم يعد شاملا لجميع العالم بعد قيام الاتحاد السوفياتى • ولاول مرة فى التاريخ أصبح تحرر شعوب آسيا شيئا ممكنا وعمليا من وجهة النظر الاستراتيجية العالمية ، وبالاخص تحرر الشعوب المجاورة للاتحاد السوفياتى ، ومن بينها الصين والهند وفيهما نحو ثمانين بالمائة من سكان آسيا •

وبالفعل انطلقت بعد ثورة اكتوبر قوى الثورة التحررية فى الصين والهند وايران وتركيا والعراق ومصر وغيرها من بلدان آسيا وافريقيا ، ولم يعد بإمكان الاستعمار رد العفريت الى القمقم ، لم يعد بإمكانه القضاء نهائيا على حركة التحرر الوطنى لدى شعوب الشرق ، وأصبح ظفرها بالتحرر قضية وقت ، قضية تنظيم قوة الثورة وتعبئتها داخل بلدانها •

وقد أمدّ الاتحاد السوفياتى بالمساعدات الفعلية الامم الشرقية المجاورة فى نضالها ضد الاحتلال الاجنبى اذ قدّم الامدادات للثورة التركية الكمالية (١٩١٩ - ١٩٢٣) ضد الاحتلال الاجنبى ، وخرج الجيش الاحمر السوفياتى القوات البريطانية المحتلة من شمال ايران ، وأعان افغانستان ضد الانكليز • وتحالف مع صن ياتسن فى الثورة الصينية ضد الاستعمار والاقطاع • وأصبحت جمهوريات آسيا السوفياتية مثالا ملهما لجميع شعوب الشرق •

ان وجود أول دولة اشتراكية فى العالم جعل بإمكان شعوب الشرق السوفياتى ، التى لم تمر بمرحلة التطور الرأسمالى ، أن تباشر التحول الاشتراكى رأسا بفضل المساعدة السوفياتية النزيهة المادية والثقافية من دون ان تعانى ما عانى التطور الرأسمالى فى الغرب وما جرته على الكادحين من شقاء وتعاسة وكدح واستثمار وحشى دام مئات السنين • ولقد سار الشعب الصينى العظيم أيضا ، وهو بقدر نصف نفوس القارة الآسيوية ، فى طريق ثورة اكتوبر فتخلص من الاستعمار والاقطاع والرأسمال العميل البيرقراطى ، فى آن واحد ، وبأشهر التحول الاشتراكى

رأساً ، وبمساعدة الاتحاد السوفياتى الاخوية أخذ يبنى الاشتراكية ،
بدلاً من الرأسمالية ، فى ظل جمهورية شعبية •
ومنذ الحرب العالمية الثانية لم يعد الاتحاد السوفياتى ، وليد
اكتوبر ، الدولة الاشتراكية الوحيدة فى العالم ، بل أصبح هنالك عالم
من الدول الاشتراكية فى شرقى اوربا وآسيا • وبفضل قوة هذا
المعسكر العالمى الاشتراكى ، امكن لعدة شعوب آسيوية وافريقية ان
تتحرر من الاستعمار فى طريق آخر ، اذ اسست جمهوريات بوجوازية
وطنية ، بإمكانها ان تطبق سياسة خارجية مستقلة حيادية ، وان تتلقى
العون النزيه بجميع أشكاله من المعسكر الاشتراكى وعلى رأسه الاتحاد
السوفياتى •

لقد كانت ثورة اكتوبر الجرح المميت فى كيان الاستعمار ولن
ينقذه من الفناء أى علاج • وبالنسبة لشعوب الشرق فقد هدّت مدافع
ثورة اكتوبر أسوار سجنها التاريخى واناوت لها سبل الخلاص •
وقد شهد بذلك أيضاً خيرة ممثلى البورجوازية الوطنية الآسيوية
من امثال صن ياتسن وسوكارنو ونهرو •

ذكرى خرى

« ان ثورة اكتوبر تقدمت بالمجتمع البشرى خطوات
عظيمة الى الامام وأوقدت شعلة مضيئة لا يسهل اطفائها »

نهرو

فى كتابه « لمحات من تاريخ العالم »

* * *

« ان الحزب الثورى الصينى يعرب عن عميق احترامه
للنضال الفائق المثل الذى يخوضه الحزب الثورى فى بلادكم ،
كما ان حزبنا يتوق الى توطيد نضال الحزبين فى الصين وروسيا
كى يخوضا المعركة جنباً الى جنب »

سن ياتسن

من برقية التحية التى وجهها

الى لنين عام ١٩١٨ •

مركز وثورة اكتوبر

« ثورة اكتوبر وشعوب المستعمرات »

عندما قامت ثورة اكتوبر كانت آسيا كلها - اذا استثنينا الحالة الخاصة المهمة لليابان - واقعة تحت نير الاستعمار بمختلف صوره ومن مختلف دوله . وآسيا قارة كبيرة جدا تحتوى على أهم وشعوب عديدة . وكان للمستعمرين - على اختلافهم - نظريات وسياسات استعمارية مختلفة . لذلك - كان من الطبيعى أن تظهر آثار ثورة اكتوبر بأشكال متباينة فى دول آسيا . ومع كل ، فقد تأثرت الحركات الوطنية فى كل مستعمرة بشكل أو آخر . اذ كيف يمكن ألا تتأثر هذه البلاد بحدث على هذه الدرجة من الضخامة والاهمية التاريخية ؟

والتفكير فى هذا السؤال يفضى الى نتيجة معينة وهى انه على الرغم من أهمية الاثر الذى تركته ثورة اكتوبر الا أن قيام الاتحاد السوفييتى كدولة كان هو العنصر الأكثر أهمية . ان ثورة اكتوبر اضافت حافزا جديدا دافعا للحركات الوطنية وكان لها الاثر المستمر الدائم ، الاثر الذى ما يزال قويا متعظما .

ان حقيقة تبنى الدول الاستعمارية لمختلف النظريات والسياسات الاستعمارية فى مختلف البلاد الآسيوية يعنى ان البناء الاجتماعى فى هذه البلاد كان متفاوتا فى درجة تطوره . كان للاستعمارين أهداف متباينة : جاء البعض بحثا عن المواد الخام الرخيصة والبعض الآخر عن أسواق المنتجات الصناعية وآخرون جاءوا ليستثمروا رؤوس أموالهم . وكل هذا كان على حساب البناء الاجتماعى فى البلاد المستعمرة (بفتح

الهاء) ، الذى عانى تغيرات أساسية عنيفة وظل على درجة كبيرة من الضعف .

واذ تحقق الاستعماريون من خطورة هذا الوضع عملوا على تشجيع خلق أشكال جديدة للبناء الاجتماعى أكثر ملاءمة لاهدافهم الخاصة . وسار المستعمرون شوطا بعيدا فى تطبيق هذه الفكرة فى بعض المستعمرات ، أما فى البعض الآخر - كالصين التى كانت مسرحا للتنافس الاستعماري - فقد ظل البناء الاجتماعى كما هو دون تغيير يذكر . وفى مثل هذه البلاد التى كانت تعاني نوعا من الفراغ الاجتماعى وجدت اخصب تربة لنمو الزرع الذى القت بذوره ثورة اكتوبر . وفى بعض المستعمرات الاخرى - كالهند - فان نوعا جديدا من البناء الاجتماعى اخذ فى التكوين وظهرت اثار ثورة اكتوبر بأشكال أخرى . وكان مركز اندونيسيا وسطا بين هذين الطرفين . لقد ظل المستعمرون يحافظون باصرار على البناء الاجتماعى القديم كقلعة اقطاعية يتحصنون فيها - هذا من ناحية ، ولكنهم من ناحية أخرى ، سمحوا بقيام مراكز كبيرة للتكتلات البروليتارية (العمالية) التى كانت غالبا ما تنشأ الى جوار القرى التقليدية . وعلى ذلك فلم تكن اندونيسيا هى الارض البور كما كانت حال الصين أو أنام - ولا كانت هى الارض المعتنى بزراعتها وحصادها كما كانت حال الهند مثلا .

ومن المفهوم طبعا ان ثورة اكتوبر لم تكن هى الحدث الوحيد الذى اصطدمت به آسيا فى هذه الفترة . كانت آسيا قد بدأت تتحرك منذ جيل كامل قبل عام ١٩١٧ ، اذ كانت الحركة الوطنية فى المستعمرات قد بدأت بدافع من العوامل الذاتية فى هذه البلاد نفسها بغض النظر عن التأثيرات الخارجية المختلفة التى انعكست على القارة الآسيوية . كانت عناصر الاضطراب والغليان قد بدأت ، ولم تكن ثمة قوة قادرة على ايقافها .

ان العوامل الخارجية يمكن ان تؤثر على مجرى الحركة والتغير ، وقد أثرت بالفعل ؛ ولكن هذه التغيرات لها بذورها التاريخية فى البناء الاجتماعى للبلاد المستعمرة ، كما ان لها جذورها فى طبيعة النظام الاستعماري نفسه .

نشأت القومية الآسيوية ، كما نشأت القومية الاوروبية ، كرد فعل للحكم الاجنبى وفى الصراع ضده . لقد نشأت القومية الاوروبية

كأضى سلاح لمقاومة فتوحات نابليون وحكمه . كذلك نشأت القومية الآسيوية كحافز لمقاومة العدوان الاستعماري . وكل من القوميتين كانت لها نظرة متخلفة الى حد ما . فلم يكن لاي منهما فى البداية تعاليم ايجابية سواء فى النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . وبلورة هذه التعاليم وتطويرها استغرق سنوات عديدة وتطلبت كفاحا طويلا ، ولكن ما ان تطورت هذه التعاليم وتبلورت بشكل حاسم حتى أصبح القضاء على النظام الاستعماري وزوال عصر الاستعمار أمرا محتوما .

ما هي العوامل الخارجية التى أثرت على آسيا خلال الجيل السابق

عام ١٩١٧ ؟

كانت الحرب الروسية اليابانية من أهم هذه العوامل ، وفى هذا الصدد يجب ان نتذكر ان القومية الغامضة الوليدة فى ذلك الحين كانت بالنسبة لنا نحن الآسيويين ممتزجة الى درجة كبيرة بالشعور العنصرى . كنا نحس بوطأة استعمار الرجل الابيض . ولما كنا لم نتعمق بعد فى طبيعة المشكلة فقد طابقنا بين الرجل الابيض وهذا الاستعمار البغيض . وكانت روسيا القيصرية بالنسبة الينا هي الرجل الابيض . كذلك لم نكن قد تبينا فى ذلك الحين الطبيعة العدوانية المتفجرة للقومية والرأسمالية اليابانية . كانت اليابان بالنسبة لنا هي آسيا . ورأينا فى الحرب اليابانية الروسية ان الرجل الابيض قد هزم فى اللعبة التى يتقنها - وهى لعبة الحرب - وان آسيا هي التى هزمت . لذلك كان انتصار اليابان حافزا ومنتبها للشعور القومى فى آسيا كلها .

ولم تكن اندونيسيا فى ذلك الحين قد خضعت كلها للسيطرة الاجنبية . كانت هناك اجزاء لا تزال تكافح من أجل المحافظة على استقلالها التقليدى الذى لا يقدر بثمن . وكان اقليم « أدجه » من بين هذه الاجزاء . وقد وصف المؤرخ الاستعماري (فليك) اثر الحرب الروسية اليابانية على « أدجه » بالعبارة التالية :

« جمع الحزب المناوىء للهولنديين فى « أدجه » كل قواه فى معركة أخيرة ضدهم عندما وصلتته أخبار انتصارات اليابانيين على الروس وتحققوا من أن أحد الاجناس الشرقية يمكن أن تتاح له الفرصة لاحتراز نصر فى حزب ضد مقاتلين من الغرب » . وهذا الحافز الذى قوى من عزائم رجال « أدجه » فى معركتهم الباسلة الاخيرة ضد جحافل

المستعمرين هو بعينه الذى حفز جميع الآسيويين الذين كانوا ينظرون الى المستقبل، من خلال النظرة القومية .

كذلك كان للشورة التركية أهمية كبيرة . كان لتحطيم الامبراطورية العثمانية وانتقال تركيا بسرعة الى دولة حديثة أثر عظيم ، وبخاصة على الاجزاء الاسلامية من آسيا وافريقيا .

وكان للحرب العالمية الاولى نتائجها العملية والمعنوية البالغة الاهمية . واعتبر المثقفون الآسيويون وهم الفئة الوحيدة التى كانت على وعى بهذه النتائج - اعتبروا أن هذه الحرب كانت الى درجة كبيرة - لا تعدو ان تكون نوعا من الحرب الاهلية بين فريقين من المتحاربين بينهما تشابه أصيل . أما عواطفهم فكانت - على الأرجح الى جانب دول الوسط (١) ، لان ألمانيا لم تكن دولة استعمارية فى آسيا ولانها اتخذت من تركيا حليفا فى الحرب . وكانت تركيا لا تزال تمثل قطبا يجذب نحوه وطنيو هذه الفترة ممن كانت تعوزهم النظرة العلمية .

كذلك اشترك آلاف الآسيويين اشتراكا مباشرا فى القتال ، وكان أثر الحرب عليهم عميقا . لقد تجرد الرجل الابيض أمامهم من المهابة والرومانتيكية التى كانت تحيط به ، ورأوا أن الرجل الابيض ليس أكثر حصانة ضد الرصاص والقنابل من الرجل الآسيوى . وعلاوة على ذلك اكتشفوا ان الدول الغربية لم يكن أهلها من نوع « صاحب » و « التوان » (٢) . وخلقت أشكال من الزمالة والرفاقية فى وقت الخطر والمتاعب حطمت كثيرا من الحواجز والحدود بين مختلف القوميات وأدت الى مزيد من أسباب التفاهم والتعاطف .

ومن الخطأ ان نتغافل عن التغيرات التى طرأت على اخلاقيات الغرب أثناء الجيل السابق للحرب . كان كتاب الغرب ومفكروه وباحثوه قد اعتادوا على تقبل وممارسة اخلاقيات النظام الاستعماري ، وكان مثقفو آسيا على وعى بهذه الحقيقة وتأثروا بها ، ولذلك أخذوا يميلون شيئا فشيئا نحو أفكار القومية البورجوازية فى أوروبا وأصبحت الليبرالية (٣)

(١) دول الوسط هي ألمانيا وحليفاتها فى الحرب العالمية الاولى « تركيا والامبراطورية النمساوية المجرية وبلغاريا » .

(٢) لقبان للاجنى الذى كان يعيش فى الهند وقت سيادة الاستعمار ، وهما لقبان ينطويان لدى هنود ذلك الوقت على كثير من التبجيل والاحترام .

(٣) الليبرالية هي الحرية للمعنى البورجوازية « الراسمالى » .

شيئا محترما حتى في المستعمرات •

ومما يدعو الى الدهشة حقا ان الماركسية لم تلعب الا دورا ضئيلا في غمار هذه الثورة الفكرية في الفترة التي سبقت ثورة اكتوبر • والسبب في هذا يرجع الى حقيقة بسيطة وهي ان الماركسية لم تكن معروفة بيننا • وكانت تبذل الجهود المتواصلة النشيطة لحجبها عنا • كان قادة القومية البورجوازية في ذلك الحين من المثقفين ، وكانت لهم ارتباطات ثقافية عديدة في أوروبا • ولم تكن الماركسية في هذه الاوساط مقبولة من القادة البورجوازيين المثقفين الذين كانت تصلهم وأظن أنني لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت ان الكفاح الوطني لشعب إرلندة كان له أثر أعمق من تعاليم الماركسية • وعلاوة على كل هذا لم تكن الماركسية قد صاغت موقفا واضحا من مشكلات الاستعمار والمستعمرات ، وبدأت كما لو كانت مجرد نظرية سياسية جديدة تستمد بذورها من الواقع الاوربي •

من المفهوم طبعا ان الحركات الوطنية في آسيا قامت منذ فترة طويلة قبل الحرب العالمية الاولى وكانت هذه الحركات قوية صلبة العود في بعض البلاد وكانت ما تزال ضعيفة صغيرة السن في بلاد أخرى ، ولكنها كانت جميعا وبلا استثناء تقريبا من النوع الذي صورته على انه بورجوازي وليبرالي • كان بعضها ينادى بالتخلص من السيطرة الاجنبية ، ولكنها جميعا كانت تفتقر الى وضوح الاهداف الاقتصادية والاجتماعية • ولذلك ظلت هذه الحركة غير عميقة الجذور بين الجماهير الشعبية المضطهدة • ولذلك أيضا ظلت لا تتعدى كونها حلقات دراسة أو أماكن لاجتماع جماعات من المثقفين الذين تملكهم الاحساس بالكبت والحرمان الذي يفرضه الاستعمار على حقهم الطبيعي في حرية الفكر • كانت الظروف الموضوعية التي يعيشون فيها تجعلهم عاجزين عن علاج المشكلة علاجا ثوريا حقيقيا •

وفي هذا الاطار انفجرت الثورة الروسية كقوس من ضوء الشمس • جاءت ثورة كيرنسكي في غمرة الصراع الرهيب الناشب من أجل السيطرة بين عدد من الدول الاوربية والامريكية فكانت بشيرا بإمكان انهيئار نظام الدولة الغربي • ان هذه الثورة كانت كافية لجعل القارة الآسيوية كلها تتجه نحو روسيا • ثم جاءت ثورة اكتوبر ، واعتقد ان جميع قادة القومية الآسيوية تقريبا أعلنوا تأييدهم الاجماعي لهذه الثورة • ولكن

هذا التأييد كان يقوم على دوافع سلبية . فقد كانت الدولة السوفيتية ينظر اليها على انها نوع من التهديد الموجه ضد الغاصبين أكثر مما ينظر اليها كشيء ايجابي وبناء . ومن السهل ان نتبين اليوم ان ثورة اكتوبر نالت التقدير والترحيب فى البداية بفضل طاقتها المدمرة « المدمرة لوحدة الدول الغربية الاستعمارية » . ولم تتضح جوانبها الايجابية البنائية الا فيما بعد .

وهناك أمران أساسيان ساعدا على ادراك حقيقة ثورة اكتوبر : الاول هو التحقق من انها كانت ثورة بروتيتارية « عمالية » وهى لذلك ذات طبيعة تختلف عن أية ثورة سبقتها ؛ والثانى هو اعلان حقوق شعوب الاتحاد السوفييتى - هذه الوثيقة التى وقعها لينين وستالين والتى تعلن المساواة بين شعوب الاتحاد السوفييتى وسيادتها وحرية الاقليات القومية فى تنمية وتطوير نفسها .

وأيا كانت التطبيقات العملية لهذه الوثيقة الا ان اثرها العاطفى والمعنوى كان عظيما .

« المساواة بين شعوب الاتحاد السوفييتى وسيادتها وحققها فى التطور المستقل » . ان هذا المبدأ صالح للتطبيق على شعوب آسيا كما هو صالح للتطبيق على شعوب اوربا . واخذت آسيا ترقب بناء دولة قائمة على هذا المبدأ . هل كان الامر مجرد اعلان منمق الالفاظ والعبارات أو انه كان جديا ؟

ومن الطبيعى الا يكون قادة القومية الآسيوية على وعى كامل لما يتضمنه هذا البرنامج . وقد كان السهل الاوراسى العظيم مصدرا لمشاكل سياسية واجتماعية هائلة ، كان هذا السهل بما يحتويه من تباين كبير فى الاجناس واللغات والثقافات والمدنيات والديانات والتقاليد يعتبر تحديا دائما ومضحكا لاي نظرية سياسية . وكان من المسائل المسلّم بها أيضا انه على الرغم من اتصال اقاليم هذا السهل وتجاورها - فان روسيا القيصرية التى قامت عليه باجيال طويلة لم تكن الا امبراطورية استعمارية لا تختلف طبيعتها كثيرا عن الامبراطورية البريطانية أو الهولندية ، كان النظام السائد هو صبغ كل الاقاليم بالصبغة الروسية عن طريق القهر والاضطهاد ، وكان القلق والاضطراب هما النتيجة الطبيعية لهذه السياسة .

وكان هذا البرنامج من ناحية أخرى امتحانا جديدا للماركسية

كان البعض يظن ان هناك هوة بين ما تقول به الشيوعية فى النظرية وما تلتزم به فى التطبيق العملى .

يشير البيان الشيوعى - فيما يتعلق بالمسألة القومية الى ان الثورة البروليتارية ستؤدى الى زوال الفوارق القومية . علاوة على ذلك اثبت تطور اوربا انه من الافضل خلق نوع من الاتحاد بين الدول ذات القوميات المختلفة . كذلك كان القرار الذى اصّر لينين على استصداره من المؤتمر الثانى للحزب الاشتراكى الروسى « لندن ١٩٠٣ » والذى ينص على الاعتراف بحق جميع الامم فى تقرير مصيرها بنفسها - كان هذا القرار لا يزال عالقا بالاذهان وكان على الثورة الروسية ، ان قدر لها ان تؤتى ثمارها كاملة فى آسيا ، ان تثبت سلامة هذا المبدأ فى التطبيق العلمى .

وادت النظرية السوفيتية عن القوميات الى مراجعة الافكار الاساسية عن تنظيم جهاز الدولة ، وعلن البلاشفة عن ايمانهم العميق بالمساواة الحقيقية بين جميع المواطنين بغض النظر عن الجنسية أو اللغة أو اللون أو الدين . وكان لمجرد اعلانهم هذا آثاره العميقة فى المستعمرات . وهذا رد فعل طبيعى لما كان دعاة الاستعمار يروجونه من فكرة « الرسالة المقدسة » للاستعمار - التى ظلوا يتشبثون بها على الرغم من وضوح زيفها .

وظهر عامل آخر كانت له بعض الاهمية فى ذلك الوقت وهو اعلان مبادئ الرئيس الأمريكى ولسن الاربعة عشر التى كان من بينها مبدأ « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » وبدا كما لو ان عصر الاستعمار قد أوشك على النهاية . ولكن المشكلة ظلت هى : « ما حظ هذه المبادئ فى التطبيق ؟ » . وجاء الرد سريعا فيما يتعلق بمستعمرات دول اوربا الغربية : « لا مانع من الاعتراف فى حق تقرير المصير ولكن كهدف غامض بعيد التحقيق » ! . وعلاوة على هذا لم يعد مجرد حق تقرير المصير أمرا كبير الاهمية . فقد يمارس بلد معين حق تقرير المصير ولكن تظل السيطرة الاقتصادية للاستعمار سائدة مستخدمة فئات بعينها من داخل البلد نفسه كأداة لتنفيذ أغراضها ؛ وهكذا توجهت اعين آسيا ثانية - وقد تفتحت تماما على حقائق العصر - نحو روسيا السوفيتية ترقب تطبيق النظرية السوفيتية للقوميات .

ان اعلان ثورة اكتوبر لمبادئها تجاه القوميات كان له اثار عميقة على الحركات الوطنية . ولكن ثورة اكتوبر عملت شيئا أكبر من هذا

— هو أنها حددت الاهداف السياسية للحركات القومية الآسيوية التي كانت قائمة بالفعل — حددت لها أهدافها الاقتصادية والسياسية .

وكانت الحركات الوطنية فى هذا الوقت قد حددت الهدف بشكل حاسم فى تحقيق الاستقلال والسيادة القومية . وحين وصلت الى هذا الحد من الوضوح لم تتلق أى تأييد من جانب أولئك الذين كانوا يتحدثون عن « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » ، ولكنها وجدت أن التأييد الجدى يأتيها من جانب الاتحاد السوفيتى الذى يرى فى الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية . وهكذا أضيف الى الحركات الوطنية التى أنضجتها تجاربها الذاتية ، حافز جديد هو ثورة أكتوبر . وأفضى هذا الى التطور الحديث للحركة الوطنية فأصبحت حركة مسلحة بوضوح الاهداف فى كافة الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن الطبيعى ان يتطلع قادة القومية الآسيوية الى الاعمال وليس الى الاقوال فحسب . وجاءت خبرة الصين لتعطى المثل الحى . فقد أرسل الاتحاد السوفيتى ممثله — ادولف جوف — الذى أصدر بيانا مشتركا مع سان يات سن جاء فيه : « ان أهم مشكلات الصين وأكثرها حيوية هى تحقيق وحدة الصين واستقلالها الكامل » . ومضت الدولة السوفيتية فى بذل التأييد الجدى للقومية الآسيوية .

وكان تأثير هذا على سان يات سن — مثلا — تأثيرا عظيما ، كان يات سن على وعى تام بموقف الغرب من جمهورية صينية موحدة وقوية ، ولذلك لم يتردد فى اعلان : « اننا لا نتطلع الى الغرب ، ولكن أنظارنا اليوم متجهة الى روسيا » . وقال فى البيان الذى اذاعه على الشعب الصينى فى ٢٥ تموز سنة ١٩١٩ : « ان الشعب الروسى هو الاخ والحليف الوحيد للشعب الصينى فى كفاحه من أجل الحرية » .

وعلى الرغم من أن قادة القومية الآسيوية الآخرين لم يذهبوا الى ما ذهب اليه سان يات سن من الوضوح والتطرف الا أن أثر هذا الموقف من جانب السوفييت كان عظيما ، ما فى ذلك شك . وكان من بين آثاره أنه شجع على دراسة الماركسية ومحاولة تفهمها .

وفى اندونيسيا اعتقل احد الشيوعيين الهولنديين وكان اسمه « سنيفلت » وفى المحاكمة اجرى مقارنة رائعة بين حالة الشعب الكادح فى كل من روسيا « قبل الثورة » واندونيسيا فى ذلك الحين . وكان

دفاعه المجيد فى المحكمة شرحا لمبادئ الماركسية والوطنية ، وكان لهذا أثره على أولئك الذين كانوا يبحثون عن مخرج من قيود الوطنية الليبرالية وبين - بصفة خاصة - الضرورة الملحة لوجود برنامج اقتصادى للحركة الوطنية .

وجاءت « المبادئ الثلاثة العظيمة » التى نادى بها سان يات سن لتلقى ضوءاً فى هذا السبيل ، وأحد هذه المبادئ ينص بشكل محدد على أن « الأرض لمن يفلحها » كانت صيغة مبسطة لأهداف الحركة التحريرية ولكنها كانت ذات اثر هائل وسريع وبخاصة فى جذب الجماهير الشعبية العريضة الى الحركة . لقد كان من الحقائق الثابتة قبل ذلك أن الغالبية العظمى من الجماهير المتخلفة لسكان آسيا كانت منصرفة عن فكرة الوطنية . كان الصراع من أجل الحياة ومن أجل الارز يشغل الناس بما فيه الكفاية . ولم تكن هناك رابطة واضحة بين نظام الحكم وبين هذا الصراع اليومى من أجل القوت . وما ان أعطيت الحركة التحريرية هذا المضمون الاقتصادى حتى أصبحت قادرة على جذب الجماهير الشعبية العريضة . وسرعان ما وجدت العناصر الاقطاعية والعناصر البورجوازية الوطنية نفسها وجها لوجه أمام سيل يجرف البلاد كلها . وكانت النتيجة ان غرق البعض اما البعض الآخر - الذى تمكن من تغيير اتجاهه مع تغير الظروف - فقد تمكن من قيادة الحركة الوطنية فى طريق النصر النهائى .

لم يكن أثر ثورة اكتوبر أثرا مؤقتا اضاء ثم انطفأ كما كانت الحال مع المبادئ الاربعة عشر التى أعلنها الرئيس ولسن . لا ، فقد استمر تأييد السوفييت والكومنترن لحركات التحرر الوطنى . فمثلا : أعلن المؤتمر الخامس للكومنترن عام « ١٩٢٤ » : « الحق المطلق لجميع الأمم فى تقرير مصيرها بنفسها على اختلاف أجناسها » . وكان السوفييت يشيرون دائما الى تمسكهم بهذا المبدأ فى العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والحركات الاستقلالية فهل ثمة غرابة فى ان ينظر الى ثورة اكتوبر على انها السند الاساسى للحركات الوطنية ؟ . .

ان تطور الحركات الوطنية أمر محتوم والنصر مكتوب لها حتى ولو لم تحدث ثورة اكتوبر . ولكنها كانت ستنتصر بأساليب مختلفة وفى عالم مختلف . ولكن لاشك فى ان الكفاح كان سيستغرق سنوات

طاول وكان سيتخذ طريقا أكثر مرارة ودموية . ولاشك فى أن النصر كان سيتأخر كثيرا .

ولدينا مثل من اندونيسيا يبين الثورة التى حدثت فى التفكير الوطنى خلال السنوات التى شغلت تأسيس الدولة السوفيتية وتطورها . فى ١٩١٦ أعلنت جمعية « ساركات اسلام » التى كانت التنظيم الوطنى القيادى فى ذلك الوقت أن أهدافها تتلخص فى « التعاون مع الحكومة لخير السكان الهنود » . ولكننا فى ١٩٢٧ نجد رئيس هذه الجماعة نفسها يتحدث بكلام دى مغزى ونتائج كبيرة اذ يقول : « لقد وقع الملك جون على الماگناكارتا(٤) بقلمه ولكنه لم يفعل ذلك الا عندما امتشق رعاياه السيف » .

وشهدت هذه السنوات أيضا أفول نجم سيطرة الغرب الفكرية والثقافية ، اذ نشأ جيل جديد من الكتاب والشعراء والموسيقين الوطنيين الواعين بقوميتهم والفخورين بوطنيتهم والذين لا يدينون للغرب الا بالقليل ، والباحثين عن مصادر الوحي والالهام فى شعوبهم . والقى هؤلاء بثقلهم فى ميزان القوى الوطنية . وهكذا نمت الحركة فى جميع الميادين مدعمة بقوات كبيرة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتى تساند وتكمل بعضها البعض .

ومن المهم هنا ان أوضح نقطة هامة بشكل لا يحتمل اللبس . وهى ان تأثير ثورة اكتوبر لا يستتبع بالضرورة قوة الاحزاب الشيوعية ، لا يعنى تقبل الايديولوجية الشيوعية وتبنى النظرية الماركسية . وقد سبق ان قلت ان ثورة اكتوبر كانت حافزا جديدا للحركات الوطنية ، ولكن لم ينظر اليها بالضرورة على أنها مثل يحتذى . والحق أنه من الصعب تصور كيف ان ثورة طبقية (تحدث فى داخل الحدود القومية لبلد معين) يمكن أن تكون مثلا لثورة قومية حيث يدور الصراع ضد نظام أجنبى للحكم ، وضد قوى استبدادية أجنبية . ويدور الصراع - جزئيا - ضد جنس معاد . حقيقة ان الاحزاب الشيوعية ازدهرت فى كثير من البلاد وبذلت تأييدا وتضحيات عظيمة فى سبيل الاستقلال

(٤) « الماگناكارتا » او « العهد الاعظم » هو اول وثيقة وقعتها ملك فى العصور الوسطى « القرن الثالث عشر » فى انجلترا يتعهد فيها امام رعاياه بالتزامات معينة وأعمها حق هؤلاء الرعايا فى ابداء وجهة نظرهم وفى التمثيل النيابى اذا كانوا من دافعى الضرائب .

الوطني ولكن ليس من المقبول عموما اعتبار الطريق الى الاستقلال
الوطني هو نفس النوع الذي سلكته شعوب الاتحاد السوفيتي .

واذا كان لي أن أخص أثر ثورة أكتوبر في كلمات فأنني أقول :
ان القومية الآسيوية تعرضت لكثير من المؤثرات من مختلف الاتجاهات
قبل ١٩١٧ ، كان للثورات الانجليزية والامريكية والفرنسية والكفاح
من أجل الوحدة الإيطالية والكفاح الوطني في أيرلنده - كان لها جميعا
آثارها على الحدود الآسيوية ؛ كان لكل من الثورة التركية والحرب الروسية
اليابانية آثارهما الاكيدة . ولكن كل هذه الثورات والاحداث كانت
لها آثارها العاطفية والنفسية فحسب . لقد استثارت حماسنا ولكنها
لم تعطنا التوجيه ولم نجد فيها المرشد لحل مشكلاتنا الخاصة . وجاءت
ثورة أكتوبر لتقوم بهذه المهمة وحتى فيما يتعلق بثورة أكتوبر فأننا لم
نندفع الى التقليد وان كنا قد تعلمنا الكثير . لقد تعلمنا منهجا علميا
جديدا يساعدنا على علاج مشكلاتنا . لقد تمثلنا النظرية الماركسية
واستخدمنا منهجها في تحليل وتفهم مشكلاتنا الخاصة .

كانت مشكلاتنا فريدة في نوعها ومن ثم كائت الحلول التي توصلنا
اليها فريدة في نوعها أيضا ؛ لقد تعلمنا أسلوبا ومنهجيا ولكننا لم نردد
أو ننقل شعارات معينة . وكان من بين ما تعلمناه ان نفصل بين ما يفيدنا
وينفعنا وبين ما لا حاجة بنا الى محاكاته .

ان كل بلد آسيوي اختط لنفسه طريقا خاصا لتحقيق استقلاله
الوطني ، طريقا مستمدا من تاريخه وثقافته القومية . ففي الصين - مثلا
- كانت المبادئ الثلاثة العظيمة التي وضعها سان يات سن هي الطريق .
وفي الهند كان الطريق هو (سايتاجراها) وفي اندونيسيا كان هو
(المارهارنية) (٥) .

لقد اختط كل بلد طريقه الخاص مستعينا بالمنهج العلمي وليس
ذلك - في الغالب - عن طريق ثورة من نوع ثورة أكتوبر ، ولكن
عن طريق ثورات تفرضها المشكلات الخاصة في كل بلد على حدة .
فمن المعروف مثلا - ان اندونيسيا - بلاد يغلب في تكوينها

(٥) مارهاين - كلمة اندونيسية معناها الناس العاديون من الكادحين . والمارهانية
هي المذهب السياسي الذي ينادى بان يقوم هؤلاء الناس العاديون بتوجيه الحياة السياسية
للدفاع عن مصالحهم .

الاجتماعى عنصر صغار الفلاحين وصغار التجار وعمال الزراعة وعمال الورش والمصانع الصغيرة . فكيف يمكن ان تنتصر البروليتاريا ان لم يكن هناك بروليتاريا بالمعنى الحقيقى للكلمة ؟ وعلاوة على ذلك فاننا نجد الفرد فى القرية الاندونيسية الدقيقة النسج - نجد ان الفرد له دور أكبر مما يؤهله له دوره فى الاقتصاد . وهناك أثر كبير للفرد فى المجتمع وهناك آثار عكسية لا تقل أهمية . وعلاوة على ذلك فان المصالح غير المادية « الدين - والثقافة والتقاليد والولاء الشخصى وغيرها » لها أهمية كبيرة فى اندونيسيا تفوق كثيرا مثيلاتها فى البلاد الصناعية التى تغلب فيها الروح الفردية .

وهناك تداخل بين ما هو مادية وما هو غير مادية وهذا مصدر لمشكلات ذات طبيعة خاصة بالوطنيين الاندونيسيين .

من الواضح اذن - دون الدخول فى التفاصيل - ان الآراء والتحليلات الماركسية التقليدية القائمة على دراسة الواقع الاوروبى لا تنطبق على آسيا . ولكن المنهج الماركسى كان وما يزال صالحا للتطبيق على واقعنا - هذا الواقع الذى يقظ الحركة الوطنية والذى أدى الى استقلال آسيا .

وان الدولة الاندونيسية ولدت فى غمار الثورة ، وكانت حياتها بعيدة عن ان تكون سهلة لينة وعلى الرغم من اقتناعها بحتمية التغير الاجتماعى وحتمية تعديل نظم الحكم فى بلادنا الا أننا نرى ان هذا يمكن ألا يتخذ طريق الثورات الدامية . ان الثورات الدامية هى نتيجة لانفجار أوضاع غير محتملة . وفى اندونيسيا تجرى التغيرات فى نظام الدولة وفى الأمة وفى المجتمع بسرعة كبيرة الى درجة انها لن تصل يوما الى درجة تصبح فيها الاحوال غير محتملة . اننا نتطلع الى مستقبل حافل بالتطورات السريعة ، التطورات السريعة جدا ، بل التطورات التى تصل الى سرعة الانفجارات . ولكننا لا نتوقع الثورة الدامية . ويصدق هذا على معظم بلاد آسيا كما يصدق على معظم بلاد افريقيا وبديهي أن تغير الطبيعة للاستعمار هو من بين أسباب ذلك ، فالاستعمار أصبح يسعى من أجل التوسع الاقتصادى أكثر مما يسعى الى وضع يده على أقاليم شاسعة .

والخلاصة هى ان ثورة اكتوبر كان لها أعمق الاثر ، وان هذا الاثر لم يقتصر على مجرد خلق رغبة عامة فى اقتفاء أثرها او تعقب

خطاها • لا ، وانما كان هو تحويل الوطنية الى عقيدة قادرة على احتواء
أمم وجذب قوميات بأسرها ، وتسليح الحركات القومية بمنهج علمي
يساعدها على تفهم الحقائق وتحليلها ، وكان هو اثبات ان آسيا - وقد
تمكنت من تحقيق استقلالها القومي - قادرة على ان تقفز في مدارج
التقدم بخطوات أسرع من الامم التي سارت في طريق الرأسمالية
القومية •

« عن مجلة نيو تايمز السوفيتية العدد (٤٤) »

« ونشر في مجلة الشرق المصرية بعددها الاول

الصادر في كانون الثاني ١٩٥٨ »

« ان لنين هو الموجد الرئيسي للحرية في الشرق ••• ان
ورود أصفهان ونرجس شيراز سوف تفتح براعمها في سنا
ثورة اكتوبر الشمس »

من رسالة التحية التي وجهتها
الحكومة الايرانية الى الحكومة
السوفياتية عام ١٩١٨ •

* * *

« ان سياستنا ازاء بلدان الشرق تظل هي وسياسة
البلدان الاستعمارية على طرفي نقيض • فسياستنا تتجه شطر
التطوير الاقتصادي والسياسي المستقل للشعوب الشرقية ،
وستدعم سياستنا هذه الشعوب في هذا الميدان بجميع
الوسائل • ان دورنا ورسالتنا بنحصران في ان نكون
الاصدقاء الطبيعيين والمجردين عن الغرض ، كما نكون حلفاء
للشعوب المناضلة في سبيل تطورها السياسي والاقتصادي
تطورا تاما مستقلا »

مفوض الشعب للشعوب الخارجية
في الحكومة السوفيتية
٩ كانون الثاني ١٩٢٢

بشائر ثورة أكتوبر

عبدالقادر اسماعيل

لشد ما ترتسم بعض الاحداث عميقة مكيئة فى الضمائر والصدور ! ... وكلما عنت الذكرى تبدت جلية كأنها حدثت فى مغرب الامس أو مشرق اليوم ، ولم تكرر عليها السنون . بل وقد تبين معالم منها كانت مبهمة ، يومئذ ، فى الفكر ، فتتوهج وضاءة وتتسع فى الادراك اتساع حقيقتها النامية الباسقة .

واراك تود ، فى اشتياق ، ان احدثك عن هذا الامر العظيم . فاستمع افضى اليك منه خبرا ...

كان ذلك فى عالم تذكره اليوم كل الدنيا ، عام ١٩١٧ ، وكنت ، آنئذ ، أدرج جيدا . فمنذ ٤١ سنة خلت ، عاد والدى ، مساءً ، الى بيتنا من عمله ، مشرق الوجه ، لا كعادته ، فما اعتدناه رضيا فى الدقائق الاولى من جيئاته ، وبدا عليه ما يبدو على من هو طرب من شىء يبعث فرحا وعزة وعجبا . وقعد على فراش فوق بساط مبسوط على اديم غرفتنا . واقبلت عليه أُمى تحمل طاولة خشبية مربعة صغيرة علوها نصف ذراع . بقيت عليها آثار صبغة زرقاء تنأى بها الزمن ، ووضعت عليها صينية نحاسية فيها صحن احتوى مرقا خفيفا ، لا ريب ان اليد أمّا جالت فى قعره تعثر على بعض باذنجانة وربما مضغة من لحم ، أيضا ، ربما . لا أتذكر ، واستقر الى جانب الصحن رغيف داكن احترقت جوانب من قشرته واسودت بقاع من قفاه ، وأصبحت بعضها فحمة أو تكاد ، والى ذلك يحتاج الى انياب ذئب حتى تنهش منه قطعة ورحى ثور حتى تهرسه ببعض السهولة . وتحس وأنت تلوكه فى فمك المجهد بصريير ومرارة فما تدرى أأكل خبزا أم خليطا من طحين عفن ورمل وسحيق حجارة !

كان ذلك ، يومئذ ، خبزنا فى الحرب العالمية الاولى • تحصل عليه
بكثير من العسر •

مضى أبى يطعم وما يبرح يسيطر عليه ما حرك مشاعره وأخذ عليه
جماح نفسه ••• وفرغ من طعامه ولم يدل لنا بخافيته ، ••• واسند
ظهره الى الحائط ، وهو صامت • ولاح لنا امره عجباً • فهو فى ثوران
داخلى : يفكر ويتحرك ويرسل نظره من النافذة ، بعيداً ، كأنه يرتقب
نبأ من وراء الافق الشرقى ••••

وكان يغير أوضاع جلساته بين فينات متقاربة ، وتصدر ، كذلك ،
منه حركات تدل على انه يهم بشئ ان يفعله ، أو ان يسهم فى فعله ،
أو يتخذ قراراً ذا شأن ، وعندئذ يعتدل جذعه ويعتوره هدوء وجد •
ثم يعود فيسترخى طافحة على وجهه بارقة من بهجة ، وطائف من مسرة
فيهما أمل منير ، ويحك بسبابته أرتبة أنفه التى رقصت « حبة الاخت »
جانبا منها ••• ثم تسارع أصابعه فى تخلل شعر رأسه من الامام الى
وراء ومن وراء الى امام ••

وكانت أمى ما تفتأ تروح وتجيء تتم عملها البيتى ، الكثير ،
والكثير جداً ، والمتعب جداً أيضاً ••• ، واقتعد أخ لى مقعداً على يسار
أبى ، وجلست أمى قبالتها فى اعياء ، وظل اخوتى الصغار يلعبون فى
ركن من الغرفة خلف أمى • وكدت الصق بيمين والدى وانا مفتون
بمشاهدة حركاته ••• فيما كان قنديلنا الزجاجى مليء نصفه الاسفل
ماء وعاليه سيرجا ، يرسل للاء رقيقاً مضطرباً • اذ اقلقت ذبائله
النسمات •

وكانت موجات الضوء الخافتة المتقطعة تزيد فى شحوب وجوهنا ،
وجوهنا المرهقة ايامئذ بنوازل الحرب •

وكنت بسبب لألة النور أرى أبى تارة واضحاً وأخرى شبحاً ،
ويتجلى لى عند بهر الضوء مليئاً : فهو متين العضل مديد ذو ناصية
واسعة • وأدريت النظر فيه وفى أنفه الذى كان يلوح لى ، أكبر من
حقيقته تارة ثم يصغر ••• ، والتفت عيناي عينيهِ الوسيعتين البارزتين
قليلاً ، فسرى من لونهما فى كيانى شعاع شديد الالتماع ، وابتسم
لى ••• فيما كانت أمى ترمقه من خلال جفنيها المغمضتين نصف اغماضة ،
وتتأهب مرة وثانية ، ونحن سكوت نتساءل فى سراءنا عما يشغل
أبى •••• !

واحسب ان امي ملئت تلکم الحال ، ولكنها لم تجد الشجاعة
لتسأله مباشرة ، فقالت توجه السؤال اليها ، دون ان تتطلع فينا :
« شبي أبوكم اليوم .. ساكت ويحجي وي نفسه ... ومرة
يضحك ومرة يضرب دالغه ؟ » .

فرفع حاجبه الايسر ، ونظر اليها نظرا خاطفا ، وتململ ، وغشيتة
ظلال ابتسامة ثم رجع مستغرقا فيما كان فيه .

فاشتد فضولنا واحتد تطلعنا اليه ، فلما خاب رجاؤنا في ان
يفضي لنا بسر . حولنا أبصارنا الى أمي متسائلين ... فيما كانت
هي محتفظة بهدوئها ، ولا يبدو عليها فضول يغلي كفضولنا ، فقد كانت
بسمتها لا تزال تموج على شفيتها في رغبة خفيفة غير ملحاحة تروم لو
انه يخرج من سكتته ... ، وكان ذلك دأبها اذا ما رأته منصرفا الى
نفسه ، توجه اليه سؤالا عابرا في رفق ولين ، فان أجاب فيها ونعمت ،
وان لم يجب لا تنفر ولا تثور ... ، ولكنها لما الفتنا متلهفين استجابات
لنا فقالت : « اشصاير بهلدنيا ... جايتك مراكب محملة بالبحر حتى
غايب بسبع بحار ؟ »

فالتفت اليها التفاتة كاملة وواجهتني منه صفحته وجانبه الايمن
وقسم من ظهره العريض وبانت حذبتة الصغيرة من وراء قميصه
الابيض ... ولحظت ان فكه الاسفل يتحرك فمددت رأسي وفتحت عيني
ما وسعت ، احدث في فمه ...

وتكلم والدي من غير مقدمات في لهجة زاخرة بالعواطف وبالاعزاز
والفخر :

تحدث قائلا : « ثار العمال والفلاحون في روسيا على القيصر
وخلعوه وساوا بين الناس فلا فقراء ولا أغنياء ... » . وسكت أبي بعض
الوقت ، ونظر كل منا في وجه الآخر ... فبينما كانت أبصارنا
واذهاننا قد توهجت ... وحملت في أبي وأنا استشعر هزة عنيفة ،
وغمرات من المسرة والفرح ... ولم اعد أرى غير أبي ولا يدور في ذهني
غير كلامه ... ودنوت منه قصاراى ، وتألفت إحساساتي واحسست
بدفعة ضياء ، قوي وباهر ... انطلقت في ظلماتنا الحالكة فبددتها
وابدلتها سناءً بهيا .

ولاح في عيني كأن كل ما في غرفتنا ، خالطه ، على غير انتظار ،
جمال وجدة ، وانه يكبر ويزهو ، بعد ضيق وبؤس . وشعرنا ، لأول

مرة ، باندحار شقائنا وشقاء الناس الذين نعيشهم ، وتطل سعادة صافية موفورة .

وظهر لى من لمعان عيوننا ، ايما كرامة واعتزاز تنبثقان فى نفوسنا ، كأن لنا يدا فيما حدث ، أو انه حدث فينا ومنا ، وانه ليس بعيدا عن ذواتنا وعنا ، وفعلنا انه لم يكن قصيا عن مشاعرنا ، فكنا نحن من اعماقنا الى شىء من هذا الذى حدث فى روسيا ، الى ما يرفع عنا العسف والمذلة والتعاسة والجوع .

ولم يخامرنا شك فيما قاله ابى ، وان استعظمناه ، فقد كان فى نفوسنا حقيقة واقعة ، لا تصديق لابى فحسب ، بل وان ضمائرنا ، كانت تهجس بما يشبهه ، تؤمن به ، ولو بصورة مبهمه ، بآت وضاء ، حدث ينكشف فيه عنا الضر والعذاب والبؤس ، ذلك ما كانت تصبو اليه قلوبنا ويتراءى لنا آمالا ، أو حلما يمت بصلة ما الى هذا الذى جرى فى روسيا ، صلة مما تجمع بين افئدة المعذبين فى الارض وما ينهضون فى سبيله ، مما تعكسه حاجاتهم الملحة الآنية والبعيدة ، وما يستهدون اليه بالعلم والمعرفة وبالنضال .

فلما قال ابى ان الكادحين فى روسيا حققوه صدقناه تصديقا قريرا واشرقت نفوسنا به ، وانسكبت فيه أمانينا .

فى الماضى ، قبل هذا الذى جاءنا ابى بنبيئه ، كنت شديد الشوق الى « الميقات الموعود » الى الامل الذى كانت تنطوى عليه اقاصيص جدتى وأمى .

كانتا تقصان على : « ان يوما سيأتى يزول فيه من على الارض الظلم ، كل أنواع الظلم ، وكذلك البغضاء والفقر ويتساوى الناس فيه ، ويشيع فيه العدل والسلم والمودة ، وتكون معاش الناس ، يومئذ ، سهلة موفورة » . وكان فكرى يعج فيما يحوى هذا القصص من أمل حلو ، بيد ان هذا الامل المنشود ، كانت تتحدث عنه الاقاصيص : ان السماء ستنشق عنه فينهمر ، أو ان ميلاده سيكون فى الغمام ، أو من وراء الغيب ، أو تنفتح عنه القبور فينتشر منها من يسبغه ،

كانت الاقاصيص تجعل مصادره قوى ، بعيدة عنا كل البعد ، تمنح المعذبين فى الارض ، وغريبة عنا تمام الغربة !

اما هذا الذى أدلى لنا به ابى : فهو امر بسيط مفهوم لم يخرج

عن قوى ذواتنا ولا عن نطاقنا ، نحن اولى الكون العظيم ، نحن العانون ،
عمالا وفلاحين ومثقفين واعين ، وكل الاخيار الطيبين •

ولعل هذا ، وان لم نبلغ فى ادراكه ، يومئذ ، هذا الوضوح ، انما
احسنت به بعض الاحساس ، فى شىء من الغموض ، أقول ، لعل هذا
هو كما جعلنى استشعر زهوا وكثيرا من النشوة ، زهوا وانتشاء من
كان يستعطى ليطعم فأصبح يمينه يحصل بكرامة على قوته ورغده •
احساس من كان لا يحسب ان فيه طاقة ليدفع عنه البؤس وعار الاذلال ،
فكشف بغتة ان فيه طاقات جبارة ليست بقادرة على رفع الاذى ودفع
البؤس والمذلة فحسب بل وجعل الحياة الانسانية كلها سعيدة مكرمة •

وكان الليل ينقضى ساعات من امده ، وضوء القنديل يزداد لمعانا
فى غرفتنا المستطيلة وترتمى اضواءه على وجوهنا وتتساقط ، فى
رخاوة ، على الجدران المصبوغة بلون برتقالى •

وامرّ ابى علينا بصره ، كرة أخرى ، وهو يرسل الينا لحاظا نفاذة ،
يستشف وقع فعل ما انبأنا به • ولما استجلى فرحتنا ودهشتنا الطافحتين
على ملامحنا قال فى اناة وفى بيان فخم مبين : « سيمحى الفقر والجوع
والمذلة ... »

وبتنا ليلتئذ فى غمرات من الفرح العظيم •

* * *

وتتابع السنون ، على وطننا العزيز ، طوالا ثقالا أثقل من
الرصاص ، وأقدام المستعمرين تطأ قلوبنا ، أرض بلادنا المقدسة
متغطرة متجبرة ، والسجون والمعتقلات والمنافى تكتض بالمواطنين
الابرار ، ودماء ابناء وطنى تسفك هدرا ... وشعبنا الابى يكابد فى
نضاله الشاق العنيد عذابا مريرا ... ، والفقر والجوع والعبودية
يشتد عمقا وايغالا وضراوة ، وكنوز وطننا وخيراته تنهب فى
شراهة ... وتسلب اللقمة من فم الام والشيخ والطفل ... والارهاب
الاسود يتفاقم غلظة •

وتنأى بى الدار قسرا : وابصارى تشخص دوما الى وطنى الحبيب
وأهله الطيبين ... والامل والثقة فى الغد ، فى المستقبل يعمران ويغديان
الحياة ويمدان فى العمر الصعب •
وكانت أنغام حزينة ، اغان ثكلى ، ترددها شفاه مرهقة من الأرياف •

والحدائق ، التى تنطلق فى الاثير منبعثة من أعماق اعماق شغاف شعبي
يهتز لها كياني وتفتح بها نفسى .
فأردد يومئذ ، فى الانهار والامسيات وفى حلك الليالى : ايه شعبي
ايما آلام عظام موجعات من استعمار وحشى وعبيد له اخساء تكابد
وتعاني ؟! ايما شقاء موحش عميم يدمى فؤادك الجريح النبيل السامى ؟!
وعلى فراش المرض الذى حطّ بجسمى فى مصح بين أيدي بيضاء ،
أصدقاء شرفاء أطهار مقومات وجودهم حب الانسانية ، هنالك ، وبعد
٤٠ عاما من ثورة اكتوبر العظمى ، هزجت البشرى غردة صداحة : إنها
الفرحة الكبرى ، تمجدت ثورة ١٤ تموز الخالدة فى وطنى بتضامن
وثيق بين الجيش والشعب بقيادة الزعيم عبدالكريم ، واكتحلت عيناى
برؤية قومية ، برؤية وطنى ، والافراح والاغاريد والانشاد يتعالى ويملا
بلادى ، والمسرات والامل فى المستقبل يتفجر وضاءاً مشرقاً من ثغور
وعيون أبناء شعبي ...

عبدالقادر اسماعيل

« ... ينبغي ان تكونوا سادة بلادكم ، وان تنظموها
حياتكم كما تشاؤون ، ولكم الحق فى ذلك ، لان مصيركم بين
أيديكم »

من الرسالة التى وجهتها الحكومة
السوفيتية فى ٢٠ تشرين الثانى
١٩١٧ الى « جميع المسلمين
الشغيلة فى روسيا والشرق » .

* * *

« ان حكومة لنين وصحبه ، وثورة اكتوبر التى حققوها
من أجل تحرير الشرق من نير الطغاة الاوربيين ، انما يعتبرها
العرب بمثابة قوة عظمى من شأنها ان توفر لهم السعادة
والازدهار »

من وثيقة نشرتها « رابطة وحدة العرب »
التي تكونت فى سوريا عام ١٩١٧

المعارف

بين الصين والقطار العربي

« كاتب المقال من كبار المستعربين ومن الشخصيات الاسلامية البارزة في الصين الشعبية ويشغل مركزا ثقافيا هاما في جامعة بكين حيث يشرف على قسم الدراسات العربية فيها ، وقد كتب هذه الدراسة باللغة العربية خصيصا لـ « مجلة الثقافة الجديدة » .

محمد مكين الصيني

اتطورت تطورا جديدا العلاقة الودية بين الصين والقطار العربية منذ مؤتمر دول آسيا وافريقيا في باندونغ في ابريل ١٩٥٥ ، وأصبحت هذه العلاقة الودية تزداد متانة على مرور الايام ، بعد اقامة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الصين وبين الاقطار العربية ، من مصر وسوريا واليمن والعراق والحكومة الموقته للجمهورية الجزائرية والمغرب الاقصى والسودان ، ولقد ايد الشعب الصيني الشعوب العربية كل التأييد في الاعتداء الثلاثي على مصر والضغط العسكري على سوريا والاعتداء المسلح على لبنان والاردن ، كما ايدت الشعوب العربية الصين الشعبية في نضالها ضد الاحتلال الاميركي لجزيرة تايوان وتدخل اميركا في شؤونها الداخلية ، والمثقفون في الصين والقطار العربية يعرفون حق المعرفة ان للصلات بين الصين والبلدان العربية تاريخا مديدا ، والاستعمار الغربي هو الذي قطع تلك الصلات التاريخية ، ومنعنا من الاتصال ، وقد عادت تلك الصلات الى سيرتها الاولى ، بل تطورت وازدهرت ، بعد ان تحررت الشعوب العربية واحدا اثر آخر ، ولا سيما بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وانتصرت الجمهورية العراقية على المؤامرات الاستعمارية .

الصلات القديمة

كانت بين الصين وبلاد العرب صلات سياسية واقتصادية وثقافية في قديم الزمان ، اذ كانت وسائل المواصلات بدائية ، وكانت الشقة بين الشرقين الاقصى والادنى بعيدة جدا ، فكانت سفن الصين ترد الى ملوك

الحيرة ، اذ كان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت ، والدليل على ذلك ما قاله عبدالمسيح بن عمرو ابن بقلية الفسائي ، حين خاطب خالد بن الوليد في أيام ابي بكر بن ابي قحافة رضى الله عنه حين قال له : « ما تذكر ؟ » قال : « اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون » (١) فكانت مراكب الصين تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل البحرين والأبلة والبصرة ، وكذلك كانت المراكب تختلف من هذه المواضع الى خانفو (كانتون الآن) ، في جنوب الصين (٢) ، فكانت الأبلة مرفأ السفن من الصين وما دونها (٣) ، وكانت عدن المركز التجارى الكبير بين افريقيا وبلاد العرب ونقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر ، فيسميها المقدسى مثلاً « دهليز الصين » (٤) ، وكانت سيراف هي الفرضة (٥) التي تمر بها صادرات فارس ووارداتها (٥) وكانت على الخليج الفارسى ، تقصدها المراكب من جميع البلاد ، وكانت فرضة لبضائع الصين خاصة ، بل كانت بضائع اليمن المرسلة الى الصين تحمل على المراكب بسيراف (٦) ، وكذلك كانت بضائع الصين المرسلة الى الغرب تحمل الى اليمن بالمراكب ، ثم تحمل الى الشام بالقافلة التي اشتركت فيها قريش في رحلة الشتاء والصيف ، فكانت الصين معروفة عند العرب ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو في الصين » (٧) .

وفود العرب الى الصين

ورد في تاريخ الصين ان ملك (تاشى) أمير المؤمنين بعث لأول مرة سفيره الى الصين سنة ٦٥١ م ، وقال السفير ان دولة (تاشى) تأسست منذ أربع وثلاثين سنة ، وقد انقضى ثلاثة ملوك على هذه الدولة الحديثة ، ويقصد من دولة (تاشى) دولة الخلفاء الراشدين ، ومن الملوك الثلاثة النبي صلى الله عليه وسلم وخليفاه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، اذ

(١) مروج الذهب للمسعودى طبعة مصر ١٩٤٨ ج ١ ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٤ .

(٣) تاريخ الطبرى طبعة مصر ج ٤ ص ١٥٠ .

(٤) المقدسى ص ٣٤ .

(٥) الميناء (المجلة) .

(٥) الاصطخرى ص ٣٤ .

(٦) سلسلة التواريخ طبعة باريس سنة ١٨١١ ص ٥١ .

(٧) هذا الحديث مشهور ، رواه ابن عدى فى الكامل ، والبيهقى فى شعب الايمان والمدخل ، وابن عبد البر فى كتاب العلم ، والخطيب فى الرحلة ، والديلمى فى مسند الفردوس وغيرهم ؛ وله طرق كثيرة يقوى بعضها بعضها .

كان أهل الفرس يسمون العرب (تازا) ، فملك (تاشي) الذي بعث لأول مرة سفيره الى الصين ، كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ وذكر تاريخ الصين ان الدولة العربية اوفدت وفودها الى الصين ثلاثين مرة في مدة سبع وأربعين ومائة سنة (٦٥١ - ٧٩٨ م) (٨) ، ومن بينهم سفير يدعى سليمان ، اوفده الخليفة هشام سنة ٧٢٥ م . وورد في مروج الذهب للمسعودي ان وفد الصين وصل الى الخليفة العباسي المهدي (٩) ، وذكر في تاريخ الصين ان ملكاً من ملوك الصين من اسرة (تانغ) طلب النجدة من الخليفة العباسي المنصور ، واجابه الخليفة الى هذا الطلب بأن ارسل اليه قوة من الجيوش العربية سنة ٧٥٧ م ، ونجح ملك الصين بمساعدتهم في استرجاع العاصمتين الغربية والشرقية من ايدي الثوار ، وهما مدينة شانغان (سيغان الآن) ومدينة (لويان) ، وفي نهاية الحرب الداخلية لم ترجع هذه القوات العربية الى بلادها ، بل تزوجت من بنات الصين واستقرت في الصين (١٠) .

كانت السفن الاجنبية ترد بموانئ بلاد الصين في زمن اسرة (تانغ) كثيرا ، معظمها من الدول العربية واشتهرت ميناء (كانتون) على ضفة نهو جو كيانغ (نهر اللؤلؤ) بكثرة تلك السفن الاجنبية ، فقد وصفها المسعودي وقال : « وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب في بحر الصين ، وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة ، تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز ، وتقرب الى مدينة خانفو (كانتون) ، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين ، واحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس فكانوا مائتي ألف » (١١) . وكذلك اشتهرت مدينة (يانشو) على ضفة النهر الطويل (نهر يانغ تسي) بكثرة الجالية الاسلامية ، وكان التجار من العرب والفرس يعدون بالآلاف (١٢) ، ويتبين مما ذكر ان المسلمين في أنحاء الصين كانوا كثيرين جدا .

(٨) ترجمة العرب في كتاب (تانغ شو) وهو التاريخ الرسمي لأسرة (تانغ)

(سنة ٦١٨ - ٩٠٧ م) .

(٩) مروج الذهب .

(١٠) ترجمة العرب في كتاب (تانغ شو) .

(١١) مروج الذهب ج ١ ص ١٣٨ .

(١٢) تاريخ اسرة (تانغ) .

كان العرب يأتون الصين فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩م)
افواجا ، فقد اوفدت بلاد العرب وفودها الى الصين تسعا وأربعين مرة فى
مدة مائتى سنة (٩٠٨ - ١١٦٨م) ، وما كانت كل هذه الوفود رسمية ،
بل كان بعضهم من قبل الخلفاء والامراء ، وكان بعضهم كبار التجار
وأصحاب السفن وشيوخ القبائل ، وكانت الوفود تقدم الى عاهل الصين
هدايا ، فيقبلها قبولا حسنا ، ويرد على الوفود هدايا تساوى هداياها ،
بل أكبر منها قيمة .

فكان تقديم الهدايا الى عاهل الصين طريقة من طرق التجارة
والكسب ، وفى بعض الاحيان كان عاهل الصين يتفضل فيخلع على
رؤساء الوفود خلعاً ، ويمنحهم منحا ثمينة والقباء عسكرية على سبيل
الاکرام والتشريف ، وكانت الهدايا والمنح تعفى من الرسوم والضرائب
فى مراحل الطريق من الميناء الى العاصمة ، وتعفى من نصف الرسوم
والضرائب فى بعض الاحيان بضائع الوفود التى يسافرون بها ، وكان
أعضاء الوفود يتمتعون بضيافة الدوائر الحكومية المحلية فى جميع المراحل ،
فكان لهم الاكل والشرب والسكن وتقدم اليهم وسائل النقل من الخيل
والمراكب والمحفات وكل ذلك بالمجان ، وكان فى استقبالهم وتوديعهم
جوقة موسيقى من القيان(*) ، وكان الحكام والقضاة والمراقبون يعاملونهم
معاملة الند للند ، فكان التجار العرب يبيعون سلعهم لأهل الصين
وينقلون ما منحوا من المنح والهدايا وما اشترؤا من السلع الصينية الى
بلاد العرب ، فيكسبون فوائد كثيرة ولذلك يأتون الصين دائما برّاً
وبحرا باسم الوفود ، وكانوا يقدمون الهدايا الى عاهل الصين فى كل
سنة مرة أو مرتين ، وبهذه الطريقة يربحون ربحا عظيما ، ونعلم من
رواية التاجر العربى العراقى سليمان ومواطنه ابى زيد الحسن فى كتاب
« سلسلة التواريخ » ان نفوس التجار العرب كانت مملوءة بالموودة والصداقة
لحكومة الصين وللشعب الصينى ، وكانت لهم معرفة صحيحة الى حد
كبير بأحوال المجتمع الصينى ، ومما كان يسترعى انتباههم من عادات
الصين وتقاليدها الخاصة التى تخالف عادات العرب وتقاليدهم .

مجيء المسلمين الى الصين

لما فتح المغول بلاد الصين وبلاد ما وراء النهر الاسلامية وقضوا على
الخلافة العباسية زادت الصلات بين الشعب الصينى والشعب العربى ،

(*) المغنيات (الجلة) .

ققد تمخضت فتوح المغول عن حركة هجرة واسعة النطاق ، هاجر خلالها المسلمون على اختلاف قومياتهم من عرب و فرس و اترك وغيرهم الى الامبراطورية الصينية ، فجاء بعضهم الى الصين تجارا أو صناعا أو علماء وبعضهم جنودا ، ورحل من طبقة الحكام والاشراف مستسلمين لرئاسة المغول ، وجيء بآخرين اسرى حرب ، واستقر عدد كبير منهم فى هذه البلاد بصفة دائمة وتطوروا الى طائفة كبيرة مزدهرة ، فقدت خصائص جنسهم الاول شيئا فشيئا باختلاط أهل الصين وبالزواج من صينيّات مع المحافظة على عقائدهم وعاداتهم الدينية ، وقد تقلد كثير من المسلمين مناصب رفيعة تحت امرة حكام المغول ، مثال ذلك عبدالرحمن الذى اختير سنة ١٢٤٠م رئيسا على بيت مال الدولة ، وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين ، وخلقه أحمد فى هذا المنصب الخطير ، وكذلك شمس الدين عمر المشهور بالسيد الاجل ، وكان من الاشراف فى بخارى ، عهد اليه قوبلاى خان عندما اعتلى عرش الصين سنة ١٢٦٠م ، ادارة بيت مال الدولة ، ثم عين حاكما لمقاطعة (يونان) فى جنوب الصين الغربى بعد ان فتحت هذه المقاطعة وضمّت الى الامبراطورية الصينية ، وتوفى السيد الاجل سنة ١٢٧٩م ، وترك بعد وفاته شهرة بأنه كان حاكما فطنا عادلا ، اذ بنى فى مدينة (كونمينغ) حاضرة مقاطعة (يونان) معبدا لاتباع كونفوشيوس ، كما بنى مسجدا للمسلمين ، وانشأ مدارس وابتكر نظاما حسنا للرى ، وكانت القرابين تقدم فى مولده الى نصبه فى هيكل عظماء الوطن فى مدينة (كونمينغ) فى عهد اسرة المغول واسرة (مينغ) واسرة (منشو) أى (من سنة ١٢٨١ الى سنة ١٩١١م) وليس ذلك بالصدفة .

دخول العلوم العربية

دخل المسلمون بلاد الصين بدخول الدين الاسلامى ، وبما ازدهر فى الدولة العربية من العلوم ، ونقل الى الصين علم الفلك والزيج العربى (*) ، فآثر تأثيرا يذكر فى علم الفلك والزيج الصينى ، ومن كتب علم الفلك التى نقلت الى الصين كتاب الازياج فى ثمانية وأربعين جزءا ، واستعملت فى عهد اسرة (مينغ) (١٣٦٨ - ١٦٤٨م) ، فى حساب الكسوف والخسوف الطريقة الصينية أولا ، ثم الطريقة العربية ثانيا ، ثم الطريقة الغربية أخيرا ، واستعمل الزيج العربى فى عهد اسرة المغول ثم اسرة

(*) شىء يتعلق بعلم الفلك (الجلة) .

(مينغ) ثم اسرة (منشو) فى مدة أربعة قرون ، ثم نقل من الصين الى اليابان واستعمل هناك مدة طويلة ، وقد سجلت التفاصيل الدقيقة للزيج العربى فى كتاب الازياج المختلفة فى التاريخ الرسمى لاسرة (مينغ) .

علم الرياضيات أساس علم الفلك والزيج ، فلا يمكن بأى حال من الاحوال ان يفرق بين هذين العلمين ، ولذلك دخل علم الرياضيات العربى الى الصين ، اذ دخل اليها علم الفلك والزيج العربى ، والدليل على ذلك قائمة الكتب الرياضية العربية التى ذكرت فى بعض المصادر التاريخية مثل (سفينة الهندسة) ١٤ جزءا ، و (اقليدس) ١٥ جزءا ، (والحسابية) ٨ أجزاء ، وتقدمت الرياضيات الصينية فى عهد اسرة المغول فجأة ، فربما كان لدخول علم الرياضيات العربى فى بلاد الصين بعض التأثير .

يتعلم اليوم الاطفال فى الصين فى رياضهم الارقام العربية العشرة ، ويستعملها الرجال والنساء والشيوخ والشبان ، وخاصة الذين يدرسون علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، والذين يشتغلون بشؤون المال والاقتصاد وكتابة الحسابات التجارية والاحصاءات فأنهم يتصلون بهذه الارقام كل يوم ، ولذلك يحس الشعب الصينى بالانس واللفة خاصة ، اذا ذكرت الدول العربية والشعوب العربية .

وساهم الطب العربى فى الطب الصينى بقسط وافر ، فما دخل العرب بلاد الصين بأنواع التوابل والافاويه والعطور والطيوب والعقاقير فحسب ، بل دخلوها بالطب العربى أيضا ، واستعمل فى الاغراض الطبية فى نطاق واسع ، ما استورده التجار العرب من أنواع التوابل والعطور والطيوب والعقاقير ، مثل العود والصندل واللبان والمر والصبر وكبش القرنفل والعنبر واللبان الجاوى والميعة اليابسة والحاذ والبسباسة وجوز الطيب والافيون والحلتيت والجندبيدستر (خصية كلب الماء) والبورق وقرن الكركدن والحلبة وماء الورد وغير ذلك ، واستعمل كثير من هذه الادوية بأسمائها العربية مثل المر والحلبة والافيون والترياق ، ونقل بعض الكتب الطبية العربية الى الصين وذكر فى التاريخ (كتاب الطب) بهذا الاسم العربى بدون ذكر مؤلفه ، وبقي خمسة أجزاء من كتاب الوصفات الطبية المجربة للطبيب المسلم الشهير زاده ميشه ، واعيد

طبعه مؤخرا ، وبقيت أربعة أجزاء مخطوطة للوصفات الطبية الإسلامية محفوظة في خزانة المخطوطات النادرة في مكتبة بكين .
انشأت في عهد اسرة المغول ادارة الاحسان العام في المستشفى الملكي وكان مديرها بالدرجة الثالثة ، وكان اختصاصها تجهيز العقاقير والادوية المركبة على الطريقة العربية ، تلك الادوية التي يحتاج اليها الخاقان وحرسه واليتامي والفقراء في العاصمة (١٣) ثم انشئ في المستشفى الملكي المستوصف العربي مستقلا والصيدلية العربية مستقلة (١٤) .

انتشر الطب العربي بين الشعب ، واشتهر كثير من الجراحين المسلمين بجراحتهم الفائقة ، ومصدق ذلك ما رواه بعض المؤرخين الصينيين فيما يأتي :-

« كنت مقيما في العاصمة وفي ذات يوم اصيب والد جاري بصداق شديد ، ولا يصبر عليه ، ففتح له جراح مسلم جبينه واخرج منه شيئا يشبه سرطانا صغيرا صلبا كالحجر ، فزال الالم حالا ، فطلبت من جاري السرطان الصغير ، وحفظته الى يومنا هذا .

ورأيت في مدينة (شانغ مين) مسافرا على حصان ، فأصيب الحصان بمرض ، فأنتفخ بطنه ، ووقع على الارض ، وبالصدفة كان في الفندق شيخ مسلم رأى ذلك ، فشق جلد قائمة الحصان اليسرى بالمبضع ، واخرج منها قطعة صغيرة لا أدرى ما هي ، فنهض الحصان قائما ، وانطلق المسافر راكبا عليه ، وقد صدق من قال ان فنون البلاد الإسلامية كثيرة عجيبة « (١٥) .

أصبح علم الكيمياء علما صحيحا بفضل جهود العرب ، فقد درسوه وتوسعوا في بعض بحوثه ، و اضافوا اليه اضافات هامة ، جعلت الغربيين يعتبرونه علما عربيا . لقد عرف العرب عمليات التقطير والترشيح والتصعيد والتدوير والتبلور والتكليس ، واكتشفوا بعض الحوامض ، كما كانوا أول من استحضر الكثير من المركبات ، وقد نقل الى الصين كتاب عربى في علم الكيمياء ، يسمى كتاب الاكسير في ثمانية أجزاء . تعلم أهل الصين طريقة التقطير بوساطة الافرنج ،

(١٣) كتاب الوظائف في تاريخ الدولة المغولية ج ٨٨ .

(١٤) مذكرات (تاوتسونغاي) ج ٢١ .

(١٥) نفس المصدر ج ٢٢ .

فأستعملوها فى تقطير النبيذ الذى يصنع من الارز(١٦) .
روى ان رجلا من مدينة بابل يون (Babylona) بمصر علم اهل
مدينة (اونكين) فى مقاطعة فركيان طريقة جديدة لصنع السكر ،
فتقدمت صناعة السكر تقدا محسوسا(١٧) .

الاسلام فى الصين

كان مجيء أول سفير من الدولة العربية سنة ٦٥١م الى بلاد الصين
فاتحة مباركة لدخول الاسلام فى الشرق الاقصى ، فجاء التجار العرب
بدين الاسلام الى موانئ الصين مثل خانفو (كانتون) ومدينة زيتون
(جيان شو) وتوطنوها وتزوجوا من الصينيات وتوالدوا ، وكثر عددهم
حتى أصبحوا جالية اسلامية ، وبنوا لانفسهم مساجد ومقابر ، ومن
بين تلك المساجد الاثرية المسجد القديم المشهور بمسجد الشوق الى
النبي فى مدينة (كانتون) ، والمسجد القديم المشهور بمسجد الصفاء
والهدوء فى مدينة (زيتون) ، والمسجد القديم المشهور بمسجد العنقاء
فى مدينة (هانغ جو) وما استخرج أخيرا من تحت التراب فى مدينة
(زيتون) من المكتوبات العربية المنقوشة على الصفائح يدل دلالة
واضحة على وجود كثير من المسلمين هناك فى عهد اسرة (سونغ)
ومعظمهم من العراق .

ومن سجايا أهل الصين الحلم والكرم والجود وحب الضيوف ،
فلقى المسلمون الذين جاؤا بلاد الصين فى العصور الوسطى الحفاوة من
الحكومة الصينية والشعب الصينى ، وكانت لهم الحرية الكاملة فى
العقائد الدينية وفى اقامة شعائر الدين ، ولا احد يتدخل فى شؤون
دينهم ، ومصادق ذلك ما قاله التاجر العربى سليمان :-

« ان فى خانفو (كانتون) وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه
صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية ،
يتوخى ملك الصين ذلك ، واذا كان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا
لسلطان المسلمين ، وان التجار المسلمين لا ينكرون من ولايته شيئا فى
احكامه وعمله بالحق وبما فى كتاب الله عز وجل واحكام الاسلام (١٨) » .

(١٦) تكملة الافراباذين لجاو هسومين .

(١٧) رحلة ماركوبولو .

(١٨) سلسلة التواريخ طبعة باريس سنة ١٨١١ ص ١٨٤ .

كما شاهده الرحالة المغربى ابن بطوطة اذ زار عدة مدن ساحلية بالصين فى منتصف القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) وتحدث عن حسن لقاء المسلمين فيها ، وذكر ان « فى كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناهم ، ولهم فيها المساجد ، لاقامة الجمعيات وسواها ، وهم معظمون محترمون (١٩) » .

كان المسلمون فى الصين فى مدة الف سنة يتمتعون باحترام حكومة الصين وشعبها بدون استثناء ، وما تغير حالهم الا فى عهد اسرة (منشو) (سنة ١٥٨٣ - ١٩١١م) ، فأصابهم التقتيل والتشريد ، كما أصابهم التمييز العنصرى والاضطهاد تحت حكم الطائفة الرجعية من حزب الكومينتانغ ، وقد بلغ ظلمهم وطغيانهم ما لا يتحمله المسلمون ، فقد هدم مسجدان بأيدى جنود الطاغية اللعين تشانغ كاي شيك قبل التحرر بسنة واحدة ، وهما المسجد فى خارج بوابة (جاويانغ) لمدينة بكين والمسجد فى قرية (موجيا جونغ تسي) فى مدينة (تيان تسينغ) ، ورد فى دستور جمهورية الصين الشعبية النص الآتى :-

« لمواطنى جمهورية الصين الشعبية حرية الاعتقاد الدينى » • هذا مطابق لتقاليد الشعب الصينى فى حرية العقائد الدينية منذ قديم الزمان فمسلمو الصين البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة من القوميات العشر لم يحرزوا حق المساواة السياسية فحسب ، بل يتمتعون أيضا بالحرية التامة فى الاعتقاد الدينى •

كم عدد المسلمين فى الصين ؟ ما كان لاحد ان يجيب عن هذا السؤال اجابة علمية صحيحة ، لعدم توفر التحقيق العلمى والاحصاء الدقيق ، فكانت الاجابة كلها على طريقة الحدس والتخمين ، فمن المبشرين الاجانب من يقول ان المسلمين فى الصين أربعة ملايين (٢٠) ، ومنهم من يقول خمسة ملايين على الاقل وعشرة ملايين عن الاكثر (٢١) ، ومنهم من يقول

(١٩) رحلة ابن بطوطة (الطبعة المصرية ١٩٣٨) ج ٢ ص ١٦٠ •

(٢٠) Islam in western China, Written by Capt. D'allame of the French Scientific Mission, and reviewed by Dr. Dwemer in the October Recorder.

(٢١) Broamhall, Islam in China, p: 216.

أنهم سبعة ملايين (٢٢) ، ولم تقم حكومة تشانغ كاي شيك قط
باحصاء لتعداد الصين فكل ما ورد فى التقويم الرسمى فيما بين سنة
١٩٢٨م وسنة ١٩٣٦م بالحدس والتخمين أيضا •

لقد اجرت حكومة الصين الشعبية فى آخر يونيو سنة ١٩٥٣م ،
احصاءا دقيقا لتعداد الصين من أجل الانتخاب العام ، وبناء على هذا
الاحصاء يمكننا ان نقول بالتأكيد ان المسلمين فى الصين عشرة
ملايين وأكثر •

اللغة العربية فى الصين

ما دخل التجار العرب بلاد الصين فى عهد اسرة (تانغ) واسرة
(سونغ) بالاسلام وحدهم ، بل جاؤا الى الصين باللغة العربية أيضا ،
فكانت احدى اللغات المستعملة بين المسلمين فى الصين ، فقدماء المسلمين
سواء كانوا عربا أو فرسا من رعية الدولة العربية ، يستطيعون ان
يتفاهموا باللغة العربية ، ومن اعتنق الاسلام من أهل الصين تعلم شيئا
من العربية ، لحاجة الحياة الدينية ، ولابد ان يحفظ ما تيسر من القرآن ،
ليتلوه فى صلواته الخمس ، ومن أراد ان يتفقه فى الدين وجب عليه ان
يتعمق فى لسان العرب ، فانه لغة القرآن ، والدليل على ذلك ان الامير
المغولى « آئندا » كان يجيد تلاوة القرآن ويحسن الخط العربى ، وكانت
القوانين والاحكام والاوامر والاشارات فى عهد اسرة المغول تصدر فى
كثير من الاحيان بست لغات ، وهى المغولية والعربية والفارسية والصينية
والويغورية والتنكوتية (٢٣) ، واتخذت القوميات الاقلية فى غرب الصين
الشمالية بعد اعتناقها الاسلام الحروف العربية لكتابة لغاتها منذ
قرون ، والمكتوب على شمال الظهر لاوراق نقد الشعب الصينى هو
بلغة الويغور المكتوبة بالحروف العربية ، وكل فرد من أفراد الشعب
الصينى بل كل فرد من أفراد الجاليات الاجنبية فى الصين يباشر هذه
الحروف العربية كل يوم عدة مرات • وفى جميع المساجد فى ارجاء
الصين الوف من المسلمين يرتلون كل يوم القرآن العربى فى صلواتهم ،
ويخطب ائمة المساجد باللغة العربية فى يوم الجمعة ويوم عيد الفطر

Encyclopaedia of the Social Science, Vol. 8, p: 343. (٢٢)

(٢٣) رحلة ماركوبولو •

ويوم عيد الاضحى ، ويوجد فى معظم الجوامع فى أنحاء الصين طلاب يتعلمون أصول الدين وفروعه من الكتب العربية ، ليؤهلوا انفسهم لوظيفة ائمة المساجد ، وهكذا يتوارث المسلمون فى الصين اللغة العربية مع العلوم الشرعية كابرأ عن كابر بعدما دخل آباؤهم وأجدادهم بلاد الصين منذ قرون ، وأصبحت اللغة العربية من اللغات الشرقية التى تدرس فى أشهر جامعة فى الصين ، اذ انشأ قسم اللغات الشرقية فى جامعة بكين سنة ١٩٤٦م ، ويدرس الآن زهاء سبعين طالبا وطالبة هذه اللغة الدولية الجميلة مقبلين عليها ، استعدادا لأداء خدمتهم مدى الحياة فى توثيق اواصر الصداقة المتوارثة بين الشعب الصينى والشعوب العربية منذ ثلاثة عشر قرنا ، وفى تنمية التبادل الثقافى والتعاون الاقتصادى بين الصين والبلاد العربية ، وفى اجراء البحوث العلمية لتاريخ العرب وحضارتهم والحالة الراهنة للشعوب العربية ، وتدرس اللغة العربية فى المعهد الاسلامى الصينى ومعهد التجارة الخارجية فى بكين ومعهد العلاقات الاجنبية لاعداد رجال الدين والاختصاصيين فى التجارة الخارجية والشؤون الخارجية .

لاشك ان الدائرة التى تستعمل فيها اللغة العربية سوف تتسع فى بلادنا يوما بعد يوم ، كلما تطورت مبادلة التزاور الودى بين شعبنا والشعوب العربية والتبادل الثقافى والعلاقات الاقتصادية والسياسية .

والقرآن الذى يتلوه المسلمون فى الصين كل يوم كان مخطوطا ، وظهر القرآن المطبوع على الخشب المحفور سنة ١٨٢٦م ، فى ثلاثين جزءا ، وكان ذلك على نفقة السيد سليمان (دووين سيو) وكان قائد جيوش المسلمين فى الثورة فى مقاطعة (يونان) ضد حكم اسرة (منشو) ، وكان يطبع نسخا كثيرة لسد حاجة المسلمين الملحة فكان أول قرآن عربى مطبوع فى الصين ، وطبع القرآن سنة ١٥٩٥م ، فى بكين على ورق صقيل طبعا أنيقا على نفقة الجمعية الاسلامية الصينية ، وهو احدث طبعة صينية للقرآن الكريم .

نقل الى اللغة الصينية كتاب الف ليلة وليلة عن اللغة الانكليزية وانتشر فى الصين واشتهر ، والناس لا يعلمون ان العلامة المسلم صالح (ليوجى) ألف فى أواخر القرن السابع عشر باللغة الصينية ثلاثة كتب قيّمة ، وهى كتاب الطبيعة العربية فى الفلسفة العربية فى خمسة أجزاء ، وكتاب الآداب العربية فى الاحكام الشرعية فى عشرين جزءا ،

وكتاب سيرة خاتم الانبياء النبي صلى الله عليه وسلم فى عشرين جزءا ونقل العالم المسلم (ما انلى) سنة ١٨٩٠م ، قصيدة البردة للشاعر المصرى شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى (١٢١٢ - ١٢٩٦م) من اللغة العربية الى اللغة الصينية بأسلوب القصائد الصينية القديمة ، وسميت بالقصيدة العربية ، طبعت على الخشب المحفور مع شرح واضح باللغة الصينية تحت النص العربى للقصيدة ، وقد أعيد طبعها سنة ١٩٥٧م ، بالتصوير الشمسى ، مع مقدمة لكاتب هذه السطور .

آثار الحضارة الصينية فى البلاد العربية

للحضارة الصينية آثار فى البلاد العربية مثل صناعة الورق وأبرة الملاحين (البوصلة) وصناعة الخزف الصينى ، فقد تعلم العرب صناعة الورق على ايدي صناع من الصين حين فتحوا مدينة سمرقند فى نهاية القرن الاول بعد الهجرة (بداية القرن الثامن الميلادى) ، واقتبس العرب ابرة الملاحين عن البحارة الصينيين ، فقد عرف أهل الصين خاصية الابرة المغناطيسية فى أواخر القرن الحادى عشر ، اذ وصف العالم المشهور شين كوا (١٠٣٠ - ١٠٩٣م) ابرة الملاحين بأنها تميل الى الجنوب الشرقى قليلا ، وذكر (كجويو) فيما كتبه فى سنة ١١١٩م ، ان الربان يرصد النجوم فى الليل ويرصد الشمس فى النهار وينظر الى ابرة الملاحين فى الايام الغائمة ، وذكر صاحب كنز التجار انه رأى رؤساء البحر الشامى يستعملون الابرة المغناطيسية فى تحديد الجهات الاربع اذا لم يروا من النجوم ما يهتدون به ، وذلك فى سنة أربعين وستمائة (١٢٤٢م) ، أى بعد اكتشاف الصين بـ ١٤٩ سنة على أقل تقدير . وأقبل الفنانون فى الشرق الاسلامى على تقليد التحف الصينية ، ولا ريب ان بدء هذا التقليد يرجع الى فجر الاسلام ، وقد ظل قائما حتى القرن الثانى عشر الهجرى (١٨م) فقد دلت تلك القطع الخزفية التى عثر عليها فى اطلال مدينة سامراء فى العراق وفى خفائر الفسطاط فى القاهرة (٢٤) .

ادخل الأراجوز الصينى بوساطة المغول والأتراك الى مصر وسائر البلدان العربية فى القرن الثانى عشر ، فلقى اقبالا عظيما لدى جماهير الشعب المصرى وخاصة الاطفال . وكان الأراجوز قبل اختراع السينما ينتشر فى البلاد العربية كثيرا ، والناس يحبون ان يشاهدوا ما يمثل

(٢٤) الصين وفنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن ص ٣٣ .

فى الأراجوز من الروايات الشعبية ، ولا يزال ينتشر بعد اختراع
السينما هناك ولا سيما فى الأرياف المصرية ، ولا شك ان الشعوب
العربية يبتهجون كثيرا وهم يشاهدون الآن اوبرا بكين والافلام الصينية
التي تعرض فى مصر وسائر البلدان العربية .
نقلت من اللغة الصينية الى اللغة العربية كتاب الحوار لفيلسوف
الصين كونفوشيوس اذ كنت أتعلم العربية وآدابها فى مصر ، ونقل
فى السنين الاخيرة الى لسان العرب كثير من مؤلفات الرئيس (ماوتسى
تونغ) ونشر فى مصر وسوريا ولبنان والعراق ولقى اقبالا عظيما من
التقدميين .

خاتمة

كانت بين الشعب الصينى والشعوب العربية صداقة متوارثة
عريقة منذ القرن السادس الميلادى الى العصر الحديث ، كما كان لنا عدو
مشارك ومصير مشترك منذ اعتداء الاستعمار الغربى على الشرق الاقصى
والشرق الادنى .

لقد قام الشعب الصينى اذ حرروا انفسهم وبلادهم من الاستعباد
والاستعمار ، والدول العربية وشعوبها فى آسيا وافريقيا احرزت بعضها
اثر بعض استقلالها أو لا تزال تناضل فى سبيل استقلالها ، ونحن
الصينيين نعطف كثيرا على جميع الحركات القومية التحررية والنضال
العادل فى سبيل الاستقلال والحقوق الوطنية تلك الحركات التى تقوم
بها شعوب الشرق ولا سيما الشعوب العربية ، ونؤيد كل التأييد
نضالها ، ونحب ان نساعدهم ونتعاون معهم فى تنمية اقتصادياتهم
وتطوير ثقافتهم ، ونحن فى جبهة واحدة فى النضال ضد الاستعمار
فيجب علينا جميعا ان نتعاون ونتضامن ونبذل قصارى جهودنا لنقضى
على الاستعمار الانكليزى والفرنساوى ، والاستعمار الابشع الأمريكى
وبذلك يمكننا نحن الشعوب فى آسيا وافريقيا ان نحرر استقلالنا الحقيقى
فى السياسة والاقتصاد والثقافة وان نحرر انفسنا من الاستعمار
والاستعباد .

ولقد صرحت حكومتنا وشعبنا بالتأييد التام للشعوب العربية فى
نضالها من أجل الحرية والاستقلال ضد الاستعمار ولقد استردت الصداقة
القديمة بين الشعب الصينى والشعوب العربية عنفوان شبابها وسوف
تنمو وتزدهر على مر الايام .

محمد مكين الصينى

بكين



ومركة التحرر الوطني

« هذا هو القسم الثاني من سلسلة الآراء التي طرحتها مجلة (World Marxist Review) وهو يتضمن مقالين نشر الاول منهما في عدد آب من المجلة المذكورة والثاني في عدد ايلول » .

ادريس كوكس
(بريطانيا)

(١) دراسة خصائص كل قطر

ان تجارب السنوات العشر الماضية قد اظهرت ان دور البورجوازية الوطنية في معركة التحرر هو الآن أهم من أى وقت مضى ، وان تغيرات كبيرة قد حدثت في العلاقات الطبقية للقوى المشتركة في النضال ضد الاستعمار .

يتزايد في بريطانيا الاعتراف بصحة الرأى القائل بأن تصفية الاستعمار تعتمد على وحدة العمال البريطانيين مع حركة التحرر الوطني ، وان النضال ضد الاستعمار هو نضال موحد ضد العدو المشترك . وهذا هو السبب في أن وضوح هذا الرأى ضرورى أيضا لتقدم الحركة الثورية في بريطانيا .

لقد كان الرفيق « كيا نورى » صارما في نقده لبعض النواقص في الصيغة التي أقرها المؤتمر السادس للكونغرس حول دور البورجوازية الوطنية . ولكن حتى لو كانت تلك الصيغة صحيحة ١٠٠٪ بالنسبة للموقف في عام ١٩٢٨ ، فانها ما تزال غير وافية بالنسبة للموقف الحاضر .

وقد قام الرفيق « كيا نورى » بمحاولة جدية لتقديم تحليلات

دقيقة لمختلف الفئات والاتجاهات لدى البورجوازية الوطنية(*) . وفى الوقت الذى ميّز فيه العوامل التى تسبب التباين ، فقد حاول فى نفس الوقت ان يستخلص الملامح العامة للبورجوازية الوطنية فى مختلف الاقطار . وعلى كل حال ، فهو لم يأخذ بنظر الاعتبار العوامل السياسية الموجودة فى الاقطار الآسيوية بالنسبة للدول العربية ، والعوامل الاساسية للاقطار الافريقية بالنسبة للاقطار الآسيوية والعربية معا .

وفى المؤتمر السادس للكونغرس فى سنة ١٩٢٨ كان الرأى هو أن المستعمرات سوف تنال الاستقلال السياسى عندما تكون الطبقة العاملة - بالتحالف الوثيق مع الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والفئات التقدمية من البورجوازية الوطنية - على رأس حركة التحرر الوطنى .

وفى مجال التطبيق ، فقد أعلن - منذ الحرب العالمية الثانية عن حصول كل من الهند واندونيسيا وغانا وأقطار أخرى ، على الاستقلال السياسى تحت قيادة البورجوازية الوطنية . وقد تحققت هذه الامكانية الجديدة بصورة رئيسية نظرا لنمو العالم الاشتراكى والتقدم السريع لحركة التحرر الوطنى على الصعيد الدولى .

يجب ان ندخل فى حسابنا التمييز بين الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى . فبينما نرى أن الهند واندونيسيا وغانا قد تحررت من السيطرة السياسية المباشرة للاستعمار الاجنبى ، نرى المراكز الاقتصادية للاستعمار قد بقيت على ما كانت عليه من القوة . فقد أكد كل من نهرو وسوكارنو على ان النضال من أجل التحرر الاقتصادى انما هو اعنف من النضال فى سبيل الاستقلال السياسى .

ولا نستطيع ان نتجاهل تأثير المعونة الاقتصادية الاشتراكية للمساعدة على تحويل اقتصاديات المستعمرات المتأخرة ، اذ ان لها مكانة مهمة فى العلاقات الطبقية داخل حركة التحرر الوطنى . وهناك ناحية مهمة أخرى ، وهى الزخم الذى تعطيه الشعوب المستقلة حديثا للصراع فى سبيل الاستقلال فى البلدان التى ما تزال مستعمرة . وهذا ما يتضح فى تأثير استقلال الهند على الاقطار الآسيوية والعربية ، واستقلال غانا على القارة الافريقية كلها .

(*) راجع مقال كيا نورى المنشور فى العدد السابق من المجلة .

وفى رأيي ان الرفيق « كيا نوري » مصيب فى انتقاده لصيغة المؤتمر السادس ، التى تضع كل البورجوازية التجارية ، فى المستعمرات فى صف المعسكر الاستعماري .

وسوف يكون من المفيد لنا أن نستخلص بعض العبر من تجربة الثورة الصينية الطافرة ، بما فيها التعريف الدقيق لاصطلاحى « كومبرادورية » و « بورجوازية وطنية » . ان الرفاق الصينيين يستعملون اصطلاح « بورجوازية وطنية » ليعبروا عن اولئك الذين تركز مصالحهم على نمو الاقتصاد الوطنى ، واصطلاح « كومبرادورية » ليعبروا عن عملاء الاستعمار الاجنبى الذين تتجه فعاليتهم ضد مصالح الاقتصاد الوطنى .

وهنا أحب ان أأتى الى نواح أكثر تحديدا للمشكلة فى آسيا . اننى لست أهلا لمعرفة آسيا ككل ، ولكننا - فى بريطانيا - قد انتبهنا نوعا ما الى الوضع فى الهند . وأظن انه من الواضح ان الهند قد نالت استقلالها السياسى عام ١٩٤٧ تحت قيادة البورجوازية الوطنية على العموم ، بما فيها البورجوازية الكبيرة . صحيح ان القوة الرئيسية كانت ضغط العمال والفلاحين . ولكن البورجوازية الوطنية هى التى حصلت على السلطة السياسية - على العكس من الصين حيث كانت قيادة الطبقة العاملة بالتحالف الوثيق مع الفلاحين ، قد طورت الثورة الصينية الى ثورة اشتراكية .

وان الهند لتختلف أيضا عن اندونيسيا ، حيث شكلت البورجوازية الوطنية المنتصرة نظامها الخاص . ففي الهند ، ظهر النظام الجديد الى الوجود كنتيجة للاتفاق مع الاستعماريين البريطانيين - مع ان هؤلاء قد تراجعوا أمام نضال الشعب الهندى عامة . وكانت نتيجة هذا الاتفاق : تجزئة الهند وبقاء الارتباط الوثيق بالكومنولث .

وبناءً على ذلك فليس من الغريب ان لا تبذل جهود جدية للمباشرة باصلاح الاراضى على نطاق واسع ، ورفع مستوى المعيشة . وقد أظهر مشروع السنوات الخمس الاول الوتيرة المتخلفة للاقتصاد الهندى . وقد ظهر تضارب المصالح بين مراتب البورجوازية الوطنية مع مشروع السنوات الخمس الثانى ، الذى ركز على الصناعة الثقيلة ، وتوسيع قطاع الدولة من الانتاج . وظهور تضارب المصالح هذا يعود بدرجة

كبيرة الى المعونة السوفيتية الاقتصادية السخية النزيهة ، التى طورت هذا المشروع فى مراحله الاولى ، وبعد ذلك تقدم الاستعماريون البريطانيون بالمعونة للمساعدة فى تطوير صناعة الفولاذ الهندية - خوفا من المضاعفات السياسية .

وبالرغم من هذا ، فان مشروع السنوات الخمس الثانى قد واجه أزمة عنيفة خلال العام الفائت . وذلك بسبب هبوط أسعار المواد الاولية فى السوق العالمية ، وتخفيض رصيد الهند من الاسترلينى فى بريطانيا ، وعدم تمكن الهند من امداد الاستثمار الضرورى لرأس المال من مصادرها الخاصة . ان مشروع السنوات الخمس الثانى قد عدل الآن بعد ارشاد من الهيئة المالية الانكلو اميركية - كندية ، التى كان ثمن معونتها تخفيض الانتاج فى الصناعة الثقيلة وتوسيع القطاع الخاص من الانتاج .

وفى هذه الايام ، يمكن الحصول على الاستقلال السياسى ليس فقط تحت قيادة البورجوازية الوطنية ، ففى الملايو ، كان جيش التحرير - وقيادته الرئيسية من الحزب الشيوعى - هو الذى يقود النضال من أجل الاستقلال خلال وبعد الحرب . وفى الصراع العسكرى ضد الاستعمار البريطانى منذ عام ١٩٤٨ كانت القوى الطبقة الرئيسية هى العمال والفلاحين . وعندما أجبر الاستعمار البريطانى على التخلي عن مقدار محدود من الاستقلال السياسى ، لم تكن البورجوازية الوطنية هى التى استلمت السلطة السياسية ، وانما العناصر الاقطاعية والكومبرادورية بصورة رئيسية .

وهذا تفسره حقيقة ان الامير عبدالرحمن أصبح أول رئيس للوزراء ، وان كل ولاية من الولايات التسع المتحدة قد ترأسها سلطان . والبورجوازية الوطنية معارضة للحكومة الحالية فى عدة مسائل . وهذا واضح من معارضة انضمام الملايو الى المشاريع الحربية لحلف جنوبى شرقى آسيا ، والتقييدات المفروضة على نمو الاقتصاد الوطنى .

ان الموقف يختلف فى البلدان العربية فى الشرق الاوسط . ففى مصر كانت البورجوازية الكبيرة هى التى قادت النضال فى الثورة الوطنية عام ١٩٥٢ ، مستميلة الى جانبها البورجوازية المتوسطة والصغيرة كقوى احتياطية مع كونها كبيرة عدديا . وفى النضال المحتد ضد الاستعمار ، اضطرت البورجوازية الكبيرة للالتجاء الى الاقطار

الامتراكية من أجل المعونة الاقتصادية ، وقد أصبح ذلك عاملا قويا
بعد سنة ١٩٥٢ ، في مقاومة الضغط الاستعماري .

وفي مصر ليست البورجوازية الوطنية وحدها قوية ، اذ أن هناك
عناصر بورجوازية احتكارية . وانه لمن المفيد أن نضع تحليلا أعمق لدور
البورجوازية الوطنية في مصر ، لانه يبدو لي بأن الدور السائد هو
للبورجوازية الاحتكارية ، وان (ناصر) هو ممثل مصالح الطغمة
الاحتكارية المصرية التي تمتلك في قبضتها كل الاقتصاد المصرى تقريبا ،
وتحاول فرض سيطرتها على تجارة القطن السورية ، وحتى على البنك
المركزي السوري .

وفي سورية ، تحتج البورجوازية الوطنية على نفوذ الرأسمال
المصرى على الاقتصاد السوري . وليس هناك أدنى شك في كون
البورجوازية الاحتكارية المصرية تسعى لجعل العراق تحت سيطرتها .

وفي افريقيا ، جنوب الصحراء الكبرى ، نجد ملامح محددة
للبورجوازية الوطنية . ففي افريقيا الغربية - حيث لا وجود لبورجوازية
أوربية مقيمة بصورة دائمية - تقود البورجوازية الوطنية الافريقية
معركة التحرر . ولكن ، في مقاطعات افريقية أخرى واقعة تحت
السيطرة البريطانية ، نجد ان معركة التحرر يقودها العمال والفلاحون
الافريقيون ، مع تأثير كبير تفرضه العناصر البورجوازية الصغيرة
والثقفون الوطنيون على قيادة المعركة .

ان البورجوازية الوطنية في افريقيا الغربية لا تشمل المشتغلين
في التجارة وحسب ، فهي تشمل أيضا مزارعي الكاكاو والاغنياء
والمقاولين والمشتغلين في النقل وحتى العاملين في مناجم الذهب .
ولكن البورجوازية الوطنية تحتل مركزا فريدا هو سر ميلها الى التعاون
مع الاستعمار في الشؤون الداخلية مع انها ، في أقسام أخرى من
افريقيا ، تتعاون مع الحركة المعادية للاستعمار . ومع ان غانا قد نالت
استقلالها السياسى عام ١٩٥٧ فان السيطرة الاقتصادية للاستعمار عليها
ما زالت على قوتها . ونيجريا ستنال استقلالها السياسى عام ١٩٦٠ ،
ولكن هناك أيضا ، نجد السيطرة الاقتصادية للاستعمار ما تزال على
قوتها . وحتى في نيجريا فان علاقات القوى الطبقية تختلف بين إقليم
 وآخر . ففي الشرق ، تقود البورجوازية الوطنية الحركة الوطنية ، وفي

العرب لدى العناصر الكوميرادورية مركز قوى ، واما فى الشمال فيوجد حكام عشائريون رجعيون وعناصر اقطاعية أخرى . واما فى افريقيا الغربية فتختلف المشكلة الزراعية تماما عما يوجد فى أى مكان من آسيا ، بما فيها الاقطار العربية فى الشرق الاوسط . فليست هناك ملكية خاصة للارض ولا طبقة ملاكين كبار ، وانما تستغل الارض بصورة مشاعة من قبل الطوائف العشائرية ، ولم ينقل الى الملكية الاوربية الخاصة الا ما يتم بالاتفاق . فمن الخطأ اذن تطبيق نفس الاساليب السياسية فى افريقيا الغربية باعتبار مشكلة الارض كما هى موجودة فى الاقطار الآسيوية .

ان الطابع البارز فى افريقيا الغربية هو ان الاستعمار البريطانى قد اضطر - فى وجه حركة القوى الصناعية - الى التسليم بالاستقلال السياسى ، ولكنه سيقاوم بشدة ، التحرر الاقتصادى لهذه الاقطار . والبورجوازية الوطنية قد قبلت شروط الاستقلال السياسى فى الاتفاق مع الاستعمار البريطانى ، وليس هناك أى دليل على انها ستقود نضالا قويا من أجل التحرر الاقتصادى وسوف تظفر أقطار افريقيا الغربية تلك بتحررها الاقتصادى كلما ازداد اقتراب الطبقة العاملة من قيادة الحركة الوطنية ، وكلما توثقت علاقات الحركة مع العالم الاشتراكى .

وفى بلدان شرقى ووسط افريقيا يختلف الموقف تماما . فحكم المقيمين الاوربيين - وخصوصا فى كينيا وروديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية - قد اعاق نمو بورجوازية افريقية وطنية . ان المقيمين الاوربيين هم الذين يؤلفون البورجوازية ، مع ان هناك نسبة أصغر من التجار الافريقيين الذين يمكن اعتبارهم الفئات الواطئة من البورجوازية .

ونظرا لعدم وجود بورجوازية وطنية ، فان الحركة الوطنية فى كينيا يقودها العمال والفلاحون بالاشتراك مع البورجوازية الصغيرة والمثقفين الوطنيين . وكذلك الحال أيضا فى روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند وتنجانيقا وأوكتندا .

وان الهدف الرئيسى للاستعمار البريطانى فى هذه الاقطار هو خلق بورجوازية افريقية على أمل ان تتعاون معه . وكذلك الحال فى افريقيا الجنوبية ، فان سيطرة المقيمين الاوربيين قد اعاقت نمو البورجوازية الوطنية يقودها العمال وصغار المزارعين والفلاحين والمثقفين الافريقيين ،

الذين تمكنوا من التعاون مع العناصر البورجوازية الصغيرة الاوربية *

وبينما نحن على اتفاق تام بشأن محاولة تحديد السمات العامة للبورجوازية الوطنية فى الاقطار المختلفة ، فأنا أعتقد بأننا نستطيع استخلاص ما يلى :

أولا : بينما تبرز البورجوازية الوطنية نفسها كقوة ايجابية قوية فى النضال من أجل الاستقلال السياسى ، ينبغى التأكيد على انه الى الحد الذى يصبح فيه العمال والفلاحون - يقودهم الحزب الشيوعى - فى قيادة الحركة ، يكون من الممكن نيل التحرر الاقتصادى ، وفى نفس الوقت ، تستطيع الحركة الوطنية الوصول الى أهدافها فقط اذا كانت الطبقة العاملة قادرة على التعاون مع الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والعناصر التقدمية من البورجوازية الوطنية فى (جبهة وطنية) للحصول على الحرية والاستقلال الناجزين *

وثانيا : نحتاج ان نعطى اهتماما أكبر لتأثير المعونة الاقتصادية الاشتراكية فى النضال من أجل التحرر الوطنى • فالمعونة الاقتصادية الاشتراكية تستطيع أن تساعد على تقوية مقاومة الجناح التقدمى من البورجوازية الوطنية ضد السيطرة الاستعمارية ولكنها تستطيع أيضا ان تخيف الجناح الاكثر رجعية من البورجوازية الوطنية نظرا لخوفه من الاعتماد على المعسكر الاشتراكى •

وثالثا : فنحن نحتاج الى تحليل أكثر دقة للوضع الخاص بكل قطر • فهناك فروق تلفت النظر فى كل وضع خاص ، وكل السمات المحددة ينبغى ادخالها فى الحسبان •

(٢) خصائص جديدة لحركة التحرر الوطنى

لقد كان التقدم السريع لحركة التحرر الوطنى منذ الحرب العالمية الثانية قوة هائلة عجلت بانهيار الكولونيالية • وعلى كل فيجب الا ننسى ان العامل الرئيسى الذى جعل ذلك ممكنا هو التطور الهائل للعالم الاشتراكى معززا ، بصورة خاصة ، بانتصار الشعب الصينى • اذ لولا ذلك لما تمكنت البورجوازية الوطنية فى عدد من الاقطار من انجاز الاستقلال السياسى فى بلدانها •

لقد جرت بعض المناقشات حول قرارات المؤتمر السادس للأمم المتحدة الشيوعية في عام ١٩٢٨ • ومما أود التأكيد عليه هو الحذر من أعمال الجوانب الايجابية في قرار المؤتمر السادس للأمم المتحدة الشيوعية الذي يوضع لنا أسس التقدم الكبير في حركة التحرر الوطني وفي المستعمرات • ومن وجهة نظرنا فإن المؤتمر السادس كان قد اقر بشكل حاسم ، ايضاً وافياً حول معارضة الاستعمار لتطور المستعمرات وقد فسح المجال منذ ذلك الحين امام الشيوعيين البريطانيين للمساهمة في خلق عمل موحد مع شعوب المستعمرات •

أود أن أعود الى الموضوع الرئيسى لمقالى الاول (١) • اننا نتفق جميعاً على ان العامل الجديد الاهم هو نمو العالم الاشتراكي وتقدم حركة التحرر الوطني على الصعيد العالمى • ولكن ما هى العوامل الجديدة في حركة التحرر الوطني ؟ هذا ما سأوضحه على النحو التالى :

١ - ان الاستقلال السياسى قد أنجز في عدة بلدان كانت مستعمرة سابقاً تحت قيادة البورجوازية الوطنية • وقد أصبح هذا ممكناً نظراً لنمو المعسكر الاشتراكي وخاصة انتصار الشعب الصينى •

٢ - ان القوة الرئيسية لحركة التحرر الوطنى هى ليست في المستعمرات الموجودة في عام ١٩٢٨ فقط ، وانما في المستعمرات الموجودة قبل ذلك التاريخ والتي حصلت على الاستقلال السياسى أيضاً • وهذا واضح بشكل دقيق من ناحية النضال ضد الاستعمار البريطانى • فعندما ستحصل نيجريا على استقلالها السياسى عام ١٩٦٠ ستترك (٣٠) مليون فقط في المستعمرات البريطانية ، مقابل (٥٦٠) مليون نسمة قبل استقلال الهند السياسى عام ١٩٤٧ • فهل يعنى هذا أن الـ (٥٣٠) مليون ، الذين كانوا في المستعمرات السابقة ليسوا هم الآن ضد الاستعمار ؟ كلا ، أنه ليس كذلك • انه يعنى ان النضال قد وصل مرحلة جديدة ، وحتى انه سيمر بمعركة حادة لانجاز الاستقلال الاقتصادى •

٣ - بإمكان البلدان التى حصلت على استقلالها السياسى ان تخدم قضية تعجيل تقدم الحركة التحررية في بقية المستعمرات • فمن المؤكد

(١) يعنى القسم الاول من هذا المقال المنشور على الصفحات السابقة من هذه المجلة •

ان استقلال غانا السياسى قد ساهم فى ايقاظ البلدان الافريقية
الآخرى • ان نيجريا تمثل أكثر من نصف سكان الامبراطورية البريطانية
الاستعمارية المتبقية ، ومن المؤكد انها عند انجاز استقلالها السياسى
عام ١٩٦٠ ستقدم حافزا عظيما لنمو الحركة التحررية لعموم افريقيا •

ولا شك بان البورجوازية الوطنية فى المستعمرات المتبقية ستلعب
دورا كبيرا ، وأكثر ايجابية فى الصراع القادم • ولكن فى الاقطار التى
حصلت توا على استقلالها السياسى تعمل البورجوازية الوطنية على كبح
جماح التقدم المضطرد للحركة التحررية • فقط عندما تتقدم
الپروليتاريا الى قيادة الحركة الوطنية سوف تنجز مهمات الثورة
البورجوازية الديمقراطية ، وستوضع اسس التقدم نحو الاشتراكية •

وقد اثبتت تجربة الهند والجمهورية العربية المتحدة ان البورجوازية
الوطنية ليست قادرة على حل المسألة الزراعية حلا جذريا • ليس بسبب
ان ذلك يؤدى بها الى خوض نضال طبقى حاد ضد العناصر الاقطاعية
فقط ، ولكن لان البورجوازية الوطنية تخشى النشاط المتزايد للعمال
والفلاحين ، القوتين الطبقيتين الوحيدتين اللتين تستطيعان الاستمرار
فى التحول • ولكن ، الا يشجع نزع ملكية الارض من الملاكين ،
الپروليتاريا على المطالبة بتأميم الصناعة ؟ ان الشيوعيين هم الى جانب
نزع ملكية الارض من أصحاب الاراضى الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين
الفقراء والمتوسطين •

وان المطلب الرئيسى الذى يعرضه الشيوعيين هو تأميم الشركات
الاجنبية الكبيرة •

ان تقدم הפרوليتاريا نحو مركز قيادى فى حركة التحرر الوطنى
هو شئ جوهري • ان الاستعمار لا يتخلى ابدا عن النضال • وهناك
أقطار قد حصلت على بعض الاستقلال السياسى ، ولكنها سرعان
ما فقدت مراكزها وخضعت للسيطرة الاستعمارية مرة أخرى • وهذا
ما يتضح فى الباكستان حيث عزلت البورجوازية الوطنية نفسها عن بقية
القوى ورفضت قيادة العمال والفلاحين للحركة الوطنية • وكانت النتيجة
ان نجح كبار الملاكين العقاريين والعناصر الاقطاعية ، بمساعدة
الاستعمار ، فى السلطة السياسية •

وعند تمييز الفوارق فى العلاقات الطبقيّة فى الاقطار المختلفة ،

والمراحل المختلفة فى تطور المعركة التحررية ، اوافق على وجوب استخلاص الملامح المشتركة للبورجوازية الوطنية فى الاقطار المختلفة . وسوف اخصها كما يلى :

١ - ان البورجوازية الوطنية ، على العموم ، لا تزال قوة ايجابية فى معركة التحرر الوطنى ، على النطاق العالمى .

٢ - ان دورها يختلف ليس لانها كبيرة أو صغيرة ، أو ما اذا كانت تجارية أو صناعية ، وانما فيما اذا كانت لها روابط سياسية أو اقتصادية ، أو لم تكن مع الاستعمار . وأظن ان هناك أيضا دليلا كافيا لتبين انه فى حالة حصول البورجوازية الوطنية على الاستقلال السياسى لاقطارها ، سوف تجهد عناصر منها كثيرا لكى تمنع تقدم العمال والفلاحين نحو السلطة السياسية . وان دور البورجوازية الوطنية يختلف أيضا بالنسبة لمرحلة التطور التاريخى وعلاقة القوى الطبقية . وهذا هو السبب فى تأكيدى على هذه العوامل الدقيقة فى افريقيا السوداء - بين افريقيا الغربية والشرقية - وحتى بين الاقاليم المختلفة فى نيجريا .

٣ - وحيثما تقود البورجوازية الوطنية الحركة الوطنية ، فان مهمة الشيوعيين هى الكفاح من أجل تقدم الطبقة العاملة نحو مركز قيادى فى النضال من أجل الاستقلال السياسى ، وعندما يتم ذلك ، فهى انجاز المهام الاقتصادية والديموقراطية للثورة الوطنية ، والعمل - خلال هذه العملية - على تقوية الجبهة الوطنية .

٤ - وعندما يتم الحصول على الاستقلال السياسى ، فان الخطوة التالية ستكون الحصول على الاستقلال الاقتصادى . ويجب ان يكون واضحا بأن النظام الاشتراكى العالمى يتطور بصورة أسرع من العالم الرأسمالى ، وانه بالاعتماد على المعونة الاقتصادية ، من الاقطار الاشتراكية ، فان المستعمرات السابقة تستطيع ان تعجل الانتقال من الاستقلال السياسى الى التحرر الاقتصادى .

ترجمة : فاضل ثامر عبدالله وسليم عبدالامير حمدان

قصة عراقية



عبد الملك نوري

غمزت زجاجة نافذة عالية في ارتعاشات سريعة ، والقت شيئا كالضباب الاصفر في جوف الدربونة . وامتدت وراءهم ثلاثة ظلال طويلة ، ترنحت متمطية متجرجرة على الجدران . ومجرى الاسفلت الضيق انسلخ جلده تحت أقدامهم ، وبعد اختناق طويل انعطف عند باب متداعٍ يستند بأحد اضلاعه على حائط بيت خرب . وعندما اشتد الاختناق ولهت الجدران ، بدا من بعيد رأس نخلة فريدة بارزا فوق السطوح . والبيوت المتلاحمة المتماسكة بشدة خوف العزلة والظلام ، أخذت تشدهم وتسحبهم خطوة خطوة على امتداد دربونة أخرى ، كانت النوافذ المتقابلة في اعاليها تنظر الى بعضها البعض في وجوم عميق . وفي لحظة مرتجة قصيرة ، تراءت النخلة كحلم اصفر بعيد المنال . وقال فريد في نفسه : انهم يجب أن يذهبوا الى هناك في الحال ! كان شيء كئثار النحاس يتساقط في اعماقه وأمام عينيه ، ودارت حول رأسه غمامة شفاقة صفراء ، فرفع يده وحاول ان ينتزعها ويلقي بها على الارض . ولكن حذاءه تلزج في بالوعة سيان وقدميه المتخلفتين عنه ، انتفخت أصابعهما حتى كادت تشق جلد الحذاء . وأحس بالتلزج في كل أنحاء جسده . وحل وتعب وعرق وغبار . ولماذا الى هناك بالذات وفي الحال ؟

كان مجرى الاسفلت يلهث تحت اقدامهم ، والجدران الكالحة تلهث في وجوهم ، وعندما انعطفوا مع الدربونة ، هبت نسمة ناعمة والصقت ثوبه المبلل بعموده الفقري ، واعتزته رجفة باردة ملساء . والآن كانت كتفها الجريحة على صدره ، ونصف جسدها يتكىء

عليه ، وخصلة شعرها الفاحمة تلزجت على جبينها الابيض . نجلة
نجلة نجلة ، قالها مرارا دون ان يفتح شفتيه . كانت مغمضة العينين
كمن يسير في حلم . وقد تركّز كل وعى جسدها الممتلئ في قدميها
الصغيرتين تنقلانها في خطوات قصيرة متجرجرة . . . الى اين ؟
لم يكن احد يدرى : الى اين ! والنخلة أيضا لم يعد لها وجود .

وفجأة تواردت من ناحية الشارع طربكة أقدام كثيرة . واصطفقت
بضعة أبواب في الدربونة وراءهم . والدماء نبضت نبضا موجعا في
صدغيه . وفي داخله انفتح فم ادرد يتلوى من الألم ، وانطبق على فراغ .
والعصارات سالت في اخاديد متيبسة . منذ ظهر الامس . وكان كل
شيء يبدو هادئا في الكلية . ومحمود أعد له صحن من « الجلاوى »
على لهيب الپريمز الصغير في الحانوت . ولم يأكل شيئا بعد ذاك . وقد
شرب استكان الشاي في الساحة الجرداء على مصطبة يغمرها فيء
الحانوت ، ونجلة ضحكت من ليلى ودعتها فأرة صغيرة . والجميع
ضحكوا : خليل ، احسان ، وعبدالجبار . والاخير اهتزت تلافيف بطنه
الضخم . ثم بدأ العالم يتغير في رمشة عين ، وارتج الشارع تحت
اقدامهم ، وبدأت الامور تأخذ طورا سريعا . يوم وبعض يوم مثل عمر
طويل حافل بالاحداث . لا يبدو انها ستنتهى عند حد . ومن يدرى
ماذا تخبىء لهم اللحظات القلائل القادمة !

نظر الى الجانب الآخر ، بدا بعيدا جدا في الضباب الاصفر
المترسب من فوق : حائط أغبر عديم الحياة ، وليلى الصغيرة الضئيلة
متعبة شاحبة أكثر من المعتاد ، تسلمت يد نجلة باحدى يديها ، وباليدي
الاخري حملت بعض الكتب المدرسية ، ولفّت العباءة على ذراعها .
ولم يكن بحاجة الى ان ينظر الى الخلف . كانت عيناها الصغيرتان مثل
نقطتي ضوء أصفر تتحركان بقلق . وقد بدت أسنانها الدقيقة البيضاء
في فجوة فمها الصغير . لقد لفتت رأسها الى الخلف لحظة طويلة ،
وبدأت قدميها تتعثران . كانت الطربكة ما تزال بعيدة ، وراء عطفة
الدربونة ، ولم يكن يبدو شيء بعد . لكن ما أهمية ذلك . وماذا يمكن
ان يكون بعد ! انهم مثلنا مثلنا مثلنا . والصوت انفجر في داخله بدوى
مرير « هاربون » . والهدير تصاعد نحو السماء . الوف الرؤوس تموج
في الشارع . الهدير في رأسه . وعيون حمراء تنضج بالدماء
ودمامات رهيبة . وخليل وقف على دكة مرتفعة « اننا قوم
مسالمون . لكن اذا أرادوها حربا . . . » . والنساء لففن

العباءات على الاذرع • يسقط ، يسقط ! أئداء مهتزة ووجوه محمرة
وشعور منفوشة • وخلييل لوّح بيده فوق الجميع « ان عدونا الرئيسى هو
الاستعمار ! » • والدمامات تدوى بقوة ، والجو ارتعش بصوت رهيب •
« اذا ارادوها حربا فسنحارب حتى بالاطفار والاسنان ... » • والشارع
يلهث تحت الاقدام ، وفى داخل السراويل والثياب لهاث محموم ،
والاجساد تعرق • وفى عينيه ابر ابر طويلة بيضاء ، والشعارات تسبح
عاليا كالأشرعة نفخها الهواء • واسراب الحجارة تطير من الايدي • والخوذ
الحديد تتشرد هنا وهناك • ومهدى يسقط أمام عينيه ، تختلج أعضاؤه
هينة ثم يهدم الى الابد • والشعار الابيض يرفرف عاليا « لا احلاف
استعمارية بعد اليوم » ، وصوت نسائي حاد من ورائه « الموت للخونة » •
والدمامات يبتعد دويها ، والجموع تهدر : ماذا تريدون • الموت
للاستعمار • ماذا تريدون • وجموع العمال تهزج « الشعب ما مات
يوما » • والشارع يعتصر الجموع ، يرسلها دفقة دفقة الى امام الى امام •
ونجلة تتشبث بذراعه « شفت ليلي ؟ » والهدير يشتد والشمس تغرز
ابرها الحامية فى عينيه ، فى رأسه ، فى جسده كله • « ان فاته اليوم
نصر ، ففى غد لن يفوتا » • والموجة تنبج فجأة من الخلف « ولكم
جو ، ولكم جو ! » والصفوف تشعث والخوذ الحديد تلمع فى
الشمس • والرشاشات تقذف حممها من أعالي البنايات •

وماذا ماذا يمكن ان يكون بعد الآن ! ولو فرضنا انهم شرطة •
لو فرضنا انهم ... عيناه تتخبطان فى ضباب أصفر • العصابة الصفراء
تدور وتدور حول رأسه باستمرار • قبة زرقاء محدودة تبدو من بعيد
فوق البيوت ، فى الدربونة الملتوية الطويلة ، والتلّزج فى كل انحاء
جسده • ونجلة لا تكاد تتحرك • ان جسدها يزداد ثقلا خطوة بعد
خطوة • وقد لا تمر لحظة حتى يسقط كلاهما على الارض • ولكن
لا لا لا ! ونظر الى ليلي • انه لا يستطيع ان ينظر الى الخلف •
الطريقة تملأ الزقاق • انهم قادمون كالكابوس • سيلحقون بهم بعد
لحظة ، بعد أقل من ثانية • ولن يجدى شىء بعد الآن • فليكن ما يكون !
ولكن ليلي الموت رقبته الى الامام ، وأغمضت عينيه وتنفست بارتياح •
وعندما فتحت عينيه كانوا قد ذهبوا ، وابتعدت الطريقة • قمصان
تلوح كالرايات الملونة • وسراويل مهلهلة ، وبعض الدفاتر والكتب
فى الايدي ، والاقدام تشدها موسيقى واحدة رتيبة متسارعة • انهم
محظوظون اذ يستطيعون ان يركضوا الآن ! هكذا فكر فريد عندما وجد

تفقه مع زميلتيه امام باب أحمر موارب ، ذى لون واحد مطرز بمسامير
غلاظ كأنصاف بيض أسود . وقد امتد من الشق صوت نسائي مرتعش
« تعالوا عيني . تعالوا خشوا بساع ! » . والتفاتة سريعة الى ليلي
ادهشته . كان شيء فيها يضطرب بقلق شديد وهى جامدة فى مكانها .
واستطاع ان يمد اليها يده الطليقة « ليلي ، جيبى العباية وروحي ! »
ولم تكده تفهم ، ولكنها اعطته عبايتها . « والكتب ؟ » . تلك كانت
كتب نجلة . « خليها عندج » وأوصاها ألا تمر على بيت نجلة . واخيرا
استطاعت ان تفهم انها يمكن ان تذهب ، وارتعشت اجفانها بسرعة ،
وازداد شحوبها فى ضوء المساء الاخير ، وبدت كأنها تريد ان تقول
شيئا ، ولكنها دارت وانفلتت بسرعة فى الدربونة الضيقة المتلوية .
وغاب شبحها الضئيل عن عالمه الضبابي . وفجأة احس بفراغ لم يكن
متوقعا ، فى صدره وعلى جسده وذراعيه . كانت المرأة ومعها رجل لم
يره من قبل قد أخذوا منه نجلة ، وسارا بها الى طرار مفروش على حافة
حوش صغير ، يتصاعد منه درج مجصص نحو سطح صغير ، تبدو على
جانبه غرفة وحيدة قاتمة . « عكد النجفى » قالها دون ان يفتح
شفتيه . ومن بعيد ، من الشارع ، انفجرت كرة ناررية حمراء
لم يرها ، وتبددت فى فرقعات مدبوية صاخبة . وقد لا يكون شيء من
ذلك . ولكنه كان يستطيع ان يفهم لغة الحديد والبار . أنابيب سوداء
تبصق الموت فى نفثات متقطعة محمومة . عالمه الآن يضج بهذه النفثات .
ومربع السماء فوق الحوش يبدو أحمر قاتما على عينيه ، على كل شيء .
ونجلة ممددة على اريكة خشبية ذات غطاء ملون متسخ ، وتحت رأسها
وسادة منتفخة كبيرة ، والثوب انحسر عن كتفها الدامية . والمرأة
والرجل يتحركان فى ضباب كثيف . انه تعب ، تعب الى درجة غير
محتملة . ولم يعد يستطيع ان يفتح عينيه . فى نصف اغماضة رأى
ردفي المرأة المترجحين وظهرها البدين وهى تتجه نحو المطبخ ، وسمعها
تقول بوضوح « نزول عليهم ، شوكت راح يبطلون عاد ! » وهبط ثقل
جسده كله فى تضاعيف شيء ناعم عميق بين ذراعى المقعد .

* * *

للمرة الثالثة أو الرابعة حاول ان يطلق ذراعيه ورجليه ، ولم
يستطع . شيء ثقيل يجثم على كتفيه . ايدٍ حديد تشده من خلف . وعلى
ذراعيه ورجليه آثار حمراء كآثار الهراوات . أراد ان يستنجد ولكن
صوته كان قد مات فى بلعومه . ولم يستطع حتى ان يهمس . اين هم ؟

اين رفاقه الآن ؟ الى اين ذهب الجميع ؟ لم يكن يدري . فجأة رأى قرصاً
أحمر كبيراً فى السماء ، وبدأ كل شىء قائماً كالدم . وعلى مقربة منه
سقطت نجلة ، وانفلع شق أحمر كبير فى كتفها البيضاء . كانت تصرخ
بشدة . وفى تلك اللحظة فقط وجد ذراعيه ورجليه مرة أخرى ، واستطاع
ان يتحرك ان يقاوم . وفى اللحظة التالية انغrust أسنانه فى لحم طرى .
وصاح الشرطى صيحة وحشية . ثم خلا الفضاء أمامه . ولم يبق شىء
سوى القرص الأحمر الكبير ، ومربع الحوش فوق رأسه ، والغرفة
الوحيدة القائمة فى السطح . ورأى كل ذلك تحت اجفانه . ولم يكن
يصدق انه نائم . لقد أراد بكل قواه ان يفتح عينيه . واستطاع ان
يفتحهما بعد جهد طويل . ولكنه لم ير شيئاً .

كان ظلام أسود يغمر كل شىء . وارتاع بشدة . وحاول من
جديد . حاول مراراً ان يرى ولم يستطع . أراد ان يرفع يده الى عينيه
ولم يستطع . أراد ان يتحرك ، ان يهب من مقعده ، ان يذهب الى
مكان ما ، ولم يستطع . والآن أخذ يصرخ ، يصرخ بكل قواه . ولكن
الصوت كان يعود دائماً الى داخله وينحبس فى الأعماق . ولم يسمعه
أحد من رفاقه الآخرين . لم يسمع احد صرخة استنجاده . وأخيراً كان
هو مهدى . لا يدري كيف صار كذلك . كان هو مهدى بالذات ، وقد
سقط على أرض الشارع ، واختلجت اعضاؤه اختلاجة أخيرة . وبصوت
هامس مبحوح ، استطاع ان يحشرج شيئاً فى لهات متسارع « ماى . .
اريد ماى . . اريد ماى . . » ورأى الاقدام تتراكم فوقه وتدوس
فى بطنه . وأراد ان يغور عميقاً عميقاً فى الأرض . ولكنه سمع
صريراً تحته ، وأحس فى غبش الوعي يدا كيد الام تهزه من كتفه :

« گوم عيني ، گوم . » وظن نفسه فى الشارع ، وفتح شفتيه
المتبيستين ببطء « أريد ماى ! » - « زين عيني ، زين » وذهبت المرأة
وجاءت بعد قليل ، وأخذ يدرك اين هو الآن ، ورفع نفسه قليلاً .
وانحنى المرأة فوقه واسندت رأسه من الخلف بيدها الاخرى ، وادنت
حافة كأس باردة من شفتيه .

* * *

نجلة تلوت على الارىكة وكتمت صرخة . المرأة كانت تعمل شيئاً
فى كتفها . والرجل وقف بالقرب من منضدة واطئة ، وضعت عليها
قدر صغيرة فيها ماء فائر . وفى يد المرأة بدت كمادة مشبعة بالدم ،

القتها بعيدا وأخذت واحدة أخرى نظيفة • وذكر فريد كل شيء بوضوح •
لا بد انهما امضيا هنا وقتا غير قصير • كانت الشمس قد ذهبت الى عالم
آخر ، والمصباح الابيض المدلى من سقف الطرار غمز في عينيه بقوة ،
وانداحت رقعة الضوء حتى مست فوهة البالوعة ، وسط الحوش ، وبقي
النصف الآخر منه فى ظلام •

ذلك كان بيتهما فى اللحظة الراهنة - هذا النصف المضاء من
الحوش ، وفى صميم « عكد النجفى » • وابتسم فى داخله لغرابة
الصدف • كان المفروض بعد شهرين أو ثلاثة عندما يتخرجان من
الكلية ، ان يقيما بيتهما الخاص هو ونجلة فى مكان ما من أرض
الوطن • ولكن الآن من يستطيع ان يعلم ماذا سيكون مصيرهما أو
مصيره هو بالذات بعد يوم أو يومين !

لقد ذهبت المرأة والرجل الى النصف المظلم من الحوش ، يحملان
الاولانى والكمادات المشبعة بالدم • وتحامل هو على رجليه ، وذهب الى
نجلة ، ووضع يده على شعرها الفاحم الجثل • ونجلة نظرت اليه بعينين
غائمتين « شوكت راح نروح ؟ » • كانت المرأة قد ضمدت جرحها ،
وبدت لفافة من القطن تحت الكمادة البيضاء مبقعة بالدم • وكان الدم
أيضا على ثوبها عند العنق والكف •

« هسه نروح • ارتاحى شويه ! »

« انت شلونك ؟ » ومدت له يدها الدافئة وامسكت بيده •

« زين ! » كان صداع خفيف فى رأسه ، ولكنه كان يستطيع
ان يفكر بوضوح ، وان يرى الامور على حقيقتها • وكان ذلك شيئا مهما
فى الوقت الحاضر • « أمي هسه يظل بالها علي ! » وكذلك امه ولكنه
لم يقل شيئا • ضغط على يد نجلة وجلس على حافة الارىكة ، مسندا
جانبا من وركه الى رجلها الدافئة ، وأحس بارتياح • فى مكان ما سيكون
له عالمه الصغير : بيته وزوجه وأطفاله وكتبه ، وسينزاح الكابوس
الاسود عن أرض الوطن ويسود السلام ، ويعيش الناس أخوة احباء •
ما زال هذا العام يناطح الاحداث • ولكنه بعد أشهر كالحظات القصار
سيصبح شيئا من الماضى • ويسقط فى مقبرة الزمن مخضبا بالدماء •
وبعده تنهاوى أعوام وأعوام • وكذلك السجون والسيارات المسلحة
وخوذ الحديد ولوريات الشرطة ، والهراوات والانابيب السوداء التى

تبصق الموت فى الناس • كلها ستصبح شيئا من الماضى البعيد • ومن
مجرى الدم الاحمر سيبرزغ عالم أبيض جديد ، كما يخرج الوليد الى
النور من رحم امه الدامى • وستتألم نجلة كثيرا • ولكن فرحتها ستكون
أعظم ، أعظم بكثير • وسيكون لهما أطفال ...

نظر بعجالة الى النصف المظلم من الحوش • كان نور خافت فى
المطبخ • والمرأة والرجل يهيئان شيئا ما وسمع طقطقة الاوانى • ثم
التفت الى نجلة ، واحتوى بيده حفنة من دفئها ، وزحف اليها • ولكنها
هزت رأسها وابتسمت له •

« لا لا مو هسه ! »

« بلى هسه هسه ! » وادنى وجهه من وجهها •

فهزت رأسها

« لا لا لا ، شدتسوى ؟ »

« ما دا سوى شى • » وحاول ان ينقض بفمه على شفتيها الممتلئتين •
وثارت ضجة الاوانى فى المطبخ •

« لا ، فريد ، لا ، لا ! »

وانتفضت على الارىكة فجأة ، وانطوى جسدها ، وأخذت تسعل
بشدة • وكان يعلم لماذا ؟ الناس والخجل والشعور بالاثم • كان الامر
دائما كذلك • ترسبات من الماضى العميق • ولم يكن باستطاعته ان
يزيلها طوال أربعة أعوام • وبعد ان هدأ السعال سألها كالمعتاد
« منشولة ؟ » وكالمعتاد هزت رأسها بالنفى ، وتضرج وجهها ، ولملمت
تنورتها حول ساقىها • « يله فريد خلى نروح عاد ! »

ونهض فريد وذهب الى مقعده ، وهبط بين ذراعيه • « زين ! » ،
ورأى عباءة ليلي مركومة على كرسى خيزران لصق الحائط • ومن الدربونة
كان يتسرب صمت أخرس الى الحوش • ولم يسمع سوى وشوشة الپريمز
الصغير ولغظ المرأة والرجل فى المطبخ •

لقد انتهى كل شىء حاليا • اجهاض آخر • والرفاق الآن قد
حشروا فى مراكز الشرطة • الپساطيل تنهال على اجسادهم • وربما
بعضهم قد علق من رجليه ، وربما آخرون يلفظون انفاسهم الاخيرة فى

المخابيء • وآخرون يخطفون من بيوتهم - وحتى الجرحى من المستشفيات . ويلقى بهم فى سجون بهجت العطية ونورى السعيد • وهو ؟ هو هنا منشغل باقتناص لحظة سعادة عابرة مرتبكة ، مفكرا بذاته فقط • ولم يأبه حتى بألم نجلة وبوضعها الشاذ فى هذا البيت الغريب القابع فى « عكد النجفى » • ترى ماذا ستقول نجلة لو عرفت الحقيقة ؟ وماذا سيقول لها ؟ ولكن ماذا ماذا يمكن ان يقال ؟ أكان هنالك اختيار ؟ كانت الطربكة من الخلف • ثم الوت ليلي رقبته ، واغمضت عينيها ، وعندما فتحتهما كانت القمصان تلوح كالرايات الملونة أمامهم ، والطلبة الصغار يتراكمون بكل قواهم • ثم واجهه الباب الاحمر المطرز بانصاف بيض أسود • وذهبت ليلي ، وكان ذلك كل ما كان • والآن يجب ان يذهب ، ولكن نجلة لم تعد تقول شيئا • وادهشه الصمت • نظر اليها كأنه يكتشفها من جديد ، ورأها تتألم فى تشنج عنيف كأن نصلا حادا انغرز فى جرحها العميق • وقد ازداد شحوبها فى ضوء المصباح الابيض • وتهاوى رأسها على الوسادة المنتفخة الكبيرة • وهرع اليها وامسك بيدها « نجلة ! » •

« هيج هيج ، ماكو شى ! » لم تكن تريد ان تصرخ •
« زين عيني ارتاحى شويه ! »

واومات برأسها ، واغمضت عينيها ، وأخذ العرق ينز ويتجمع فى قطرات على جبينها الابيض ، وأحس بيدها تقبض على يده بشدة لحظة صغيرة ، ثم تتراخى وتهبط الى جانبها « أمى خطيه هسه يظل بالها ... »

وفجأة سمع وشوشة الپريمز الصغير وراءه • كان العالم الآخر الغريب يزحف اليهما من الظلام • وبدت المرأة بوجهها المفرطح الخالى من المساحيق متهللة ، فرحة • ووضع الرجل الپريمز حذو الجدار ، ووضع فوقه قورى الشاى • وعلت ضجة الاوانى ، وأصوات زحزحة الموائد • ولم تفتح نجلة عينيها •

* * *

جلست المرأة تتحدث اليهما فترة طويلة • وضحكت مرارا ووجهت اليه اسئلة لم تنتظر جوابها ، وأحس هو بالشبع ، وصعدت الدماء الى رأسه • وعندما استرخى بين ذراعى المقعد ، رأى نجلة تتفحص المكان

بنظرة مستريبة • لقد رشفت رشفة صغيرة من استكان الشاي •
وقضمت طرف قطعة الصمون المحشوة بالجبن ، وتململت على الاركة بعدم
ارتياح • ومرارا قالت له عيناها الواسعتان : فلنذهب حالا ! ولكنه
طلب اليها ان تأكل لتستعيد قواها • والمرأة لم تتوقف لحظة عن
الكلام ، والرجل وقف مستندا الى تكمة فى الطرار يستمع الى حديث
المرأة باصغاء ملهوف ، وظل اليشماغ العتيق على وجهه المجذور يخفى
محجر عينه المعطوبة • والمرأة ضربت فخذهما براحة يدها • « تريدون
تصدغون ، تريدون ما تصدغون • لكن هذا الله يشهد على • ولك
رحومى صدك لو جذب ؟ » « باجي ، والله كل شى الى تگوليه
صدك ! » « شفتوا عينى • شا احچيلكم • القيامة قامت • وليش
ظلت وحده بالدربونة ما طلعت اليوم • من البارحة بالليل عرفنا كل
شى • وگلنا هذوله ولدنا ولازم نساعدهم ونروح وياهم للوحه • احنا
ميتين ميتين مو هاليوم باجر ، مو باجر عگب باجر • خو خلى الوحده
تكسب اجر وتموت على شى يسوه • احسن ما تموت بهالدربونه
الوصخه - حشه گدرکم - مثل الجلاب ••• » وذكرت كيف ماتت
جارتها صبرية فى يوم من أيام الشتاء • ولم تكن تملك شيئا سوى
ثلاث أسنان ذهبية • ففتحوا فمها قسرا وهى ميتة وانتزعوا الاسنان من
فكها الاعلى ، وبثمنها جهزوا الجنازة ، ومع ذلك لم تكن جنازة محترمة •
وكانت المرأة على وشك ان تبكى • ولكنها نفضت رأسها والذكرى
الاليمة معا ، واستمرت فى حديثها « ومن الصبح گبل الودان امتلت
الدربونة بالهوسات • وكل وحده لفت عبايتها على ايدها • وصرنا
طابور چير من راس الدربونة لچعبها ••• »

ونظرت اليه نجلة بصرامة ، لعلها تحققت الآن من واقع الحال !
ولكنه هز رأسه واخفض عينيه • وكان يحس عينيها عليه طوال الوقت ،
والمرأة استمرت : حتى « الباجيات » رغم كونهن عجائز يصبغن
رؤوسهن بالحناء ويضعن فى افواههن اسنانا اصطناعية ، لم يشأن ان
يقبعن فى البيت • لقد خرجن وراء « البنات » وكان منظرهن مثيرا
للضحك • وباجيتها خرجت منذ الصباح ولم تعد حتى الآن ، ولا تدري
هى شيئا عن مصيرها • ربما ضربها احدهم « دونكى » (وضحكت) ••
او لعلها ذهبت لزيارة اختها فى السنك • لقد نوهت بذلك قبل خروجها
من البيت •

وفى الشارع جلسن على الرصيف فى شمس الصباح ، واشترين

من الباعة كيمر وصمون واكلن بشرامة • لم يكن قد حضر احد بعد •
ولكن عند الضحى امتلأ الشارع بالناس • من كل فج عميق •
رؤوس ، رؤوس يتيه فيها البصر • والاعلام من كل لون ترفرف فوقها
وسارت المظاهرة وفرن معها ، واخذن بالهتاف « يسقط • • يسقط • • »
وكن فرحات جدا • لاول مرة يشتركن فى مظاهرة وطنية • ويشعرن
بانهن مثل سائر الناس لا يفرقهن عنهن شئ • ولم ينظر أحد اليهن
بازدراء • بل كن يقابلن دائما بحماس ، وبضحك خفيف أحيانا •

وكان يوما من العمر ، يوما لا يمكن ان تنساه ابدا • وعندما بدأت
المركة لوحن بالعباءات فى وجوه الشرطة • ولكن البنادق اطلقت
رصاصها فى الهواء • وكانت فى الشارع بناية لم تكمل ، اخذن منها
الحجارة وقذفن بها الشرطة • ثم بدأت الرشاشات • الظلام ولد الظلام •
وسقط بعض الشباب الحلو على أرض الشارع • وأخذ الشرطة يمسكون
الناس عامي شامى ، ويدفعونهم الى اللوريات • وقد كان من دواعى
سرورها ان تهشم رأس احدهم بفردة قبقابها - غالبيتها كانت تسير
بالقباقيب - ولكن النذل بن النذل دفع قبضته فى صدرها ، فسقطت
على الارض • وانهالت الشتائم البذيئة من فمها ، انهالت الآن - امامه
وامام نجلة • ولم يكن بالامكان ايقافها عند حد • وضج الرجل بضحك
هستيرى اعلن فجأة عن وجوده الذى كان منسيا حتى تلك اللحظة •
وبدا شئ فى الجو يندر بالخطر ، ونظرت نجلة حوالىها باشمئزاز • لقد
للمت نفسها وجلست على حافة الارىكة • ولم تعد تأكل شيئا ، وظلت
بقية من الشاى فى الاستكان الموضوع على مائدة صغيرة امامها • « يله
فريد خلى نروح عاد ! » وكان فى صوتها جفاف قاس • ونظرت المرأة
بهلع • كان يجب ان تتم حديثها مهما كلف الامر •

« لا عيني لا • والله ما يصير • هاى ياخذون عليها حشم • ولك
رحومى ! »

« نعم باجى • »

« روح اغسل الميوه وجيبها بساع • شكرو واكف هنا مثل
الدلك ؟ »

وذهب رحومى الى القسم المظلم من الحوش ، ودلف الى المطبخ
ونفض فريد ونهضت نجلة •

« عيني دگعدوا شويه • والله بعد وكت • بعد دنيا مغرب •
وصاحت • « رحومى ولك ساعه بيش هسه ؟ » « ساعه ثمانية وخمسه

باجى ! « صوت غليظ اجش خرج من المطبخ . ورأى فريد شبح الرجل يحمل شيئا فى يده ويعبر الى زاوية لا يستطيع ان يراها من موضعه ، وانتبه الى صوت المرأة وهى تضع يديها على ذراعيه وتدفعه نحو المقعد » بعد وكت عيني ، بعد دنيا مغرب . دگعدوا شويه وكل شى يصير على كيفكم . « ولكن نجلة ظلت واقفة وتناول هو عباءة ليلى من الكرسى الخيزران الملصق بالجدار ، وحاول ان يشكر المرأة بكلمات رقيقة . ولكن المرأة لم تكده تسمع غير صوتها الهادر « دگعدوا عيني ، دا اضحككم شويه ! « ولم يجلسا . وضحكت هى بصخب قبل ان تروى حكايتها ، واهتز ثدياها ، وظهرت سن ذهبية فى الجانب الخلفى من فكها الاعلى « اليوم شفت جبورى ابو كرش ! « ونظرت اليه بابتسامة ونجلة أيضا نظرت اليه - اليها ، وصرت بأسنانها . كان « جبورى » بعد ذكر الاوصاف هو نفسه عبد الجبار زميلهما فى الكلية . وحدثتهما المرأة كيف كان يسير فى المظاهرة متوهج الوجه ، يمسح العرق بمنديل كل لحظة ، وينفخ الهواء من منخريه كالحصان المتعب . وعندما رآته - وكانت تعرفه منذ سنين - كان يأتى اليها سكرانا ويبكى على صدرها ويقول لها « انت أمى ، انت أمى العزيزة ! « وكان يقول لها « آنى وحدى بهالدنيا ، وانت هم وحيدة مثلى . « ولم تكن تفهم ما يريد . واليوم بعد كل ذلك الغياب الطويل ، عندما رآته هو نفسه بلحمه ودمه يسير فى المظاهرة ، لم تتمالك نفسها ، فأخذت تلوح له بيدها . ولكن تظاهر بانه لم يرها . فما كان منها الا ان خرجت من بين « البنات » وذهبت اليه ، وسحبته من ذراعه « ولك عيني جبورى آنى أمك ، شبنساع نسيتنى ؟ « والولد ضجوا بالضحك ، وهى أيضا أخذت تضحك . وجبورى أخذ يمسح العرق الغزير عن رقبته الشخينة ، ولم يفه بكلمة ، والمظاهرة سارت فى طريقها . وبعد ذلك جاءت الشرطة . وكان ما كان

« احنا نشكرچ على كل حال . « قال فريد وسار مع نجلة نحو الباب . ولم يدر ما يضيف بعد الى كلماته الباردة .

« دگعدوا عيني ، اكلوا شويه ميوه ، ولك اعور الجلب ، وين صرت ؟ «

« جاى ، باجى ، جاى ! «

ولكنهما اصرا على الذهاب ، وخرجا من الباب الى الدربونة المظلمة ، وودعتهما المرأة بنظرة كسيرة « الله يحفظكم عيني ، الله يحفظكم

من كل شر . « وفكر فريد ان يشكرها مجددا بكلمات دافئة عطوفة هذه المرة . لكنه لم يقل شيئا . واحس انه قد لا يستطيع .

* * *

نشرت نجلة صمتا كثيفا ، امتد اليه واحس ثقله في نفسه . والدربونة امتدت امامهما ملتوية كشلو هامد من اشلاء اخطبوط اسود جريح . نقاط صفراء خافتة شعت في مصابيح متباعدة . ومن وراء عطفة قدم حارس يحمل بندقية . والابواب كانت جميعها مغلقة . وكان يجب ان يسرعا . لقد لملت المعركة اذيالها . ولم تخلف سوى الغبار ، ومجرى الدم على أرض بغداد ، على أرض الوطن كله . وكان المجرى يشق التربة منذ زمان يوما بعد يوم وعاما بعد عام ليبلغ « الغد » المحتوم . ولكن الآن يجب انقاذ ما يمكن انقاذه . يجب جمع فلول الرفاق من جديد ، واعادة التنظيم ، وهو سيذهب الى المخبأ ، ويتحسس طريقه من هناك . وغدا سيرى ماذا سيكون ! بل الليلة ، الليلة يجب ان يعرف كل شيء ، ويبدأ العمل . وربما استطاع ان يرى خليل في مخبئه - وممر الحارس دون ان يعترضهما ، وخفق قلبه بشدة - وربما لن يراه ، من يدري ، ربما لن يراه ابدا ! كانت الرؤوس تتمايل كأن ريحا حاصدة هبت عليها ، وابر الشمس الحامية انغرزت في عينيه ، وسقط مهدى امامه ، واختلج اختلاجة أخيرة . وبعد ذلك اختلط كل شيء : الهراوات ودوى الرصاص وخوذ الحديد ، ونجلة صرخت صرخة اليمه وبان الشارع الآن وراء مدخل الدربونة مضاء بصورة فاضحة .

« يواش ، شددعوه هالسرعة ؟ » صاحت نجلة بحدة . كانت متخلفة وراءه أكثر من خطوة . وعباءة ليلي بلغت ما تحت ركبتها بقليل . وأحس هو بالخجل . لقد نسيها ، نسي انها جريجة ، تحتاج الى رعايته . ولم يقم باى مبادرة لتبديد الصمت الكثيف المترسب بينهما . ومد لها يده ليأخذ بيدها ، ويتحسس بأصابعه المحبة راحتها الوردية المبطنة بالشحم الدافئ . ولكنها اشاحت عنه ، ونفرت مبتعدة . « لو ادري ليش جبتنى لهذا ؟ »

« الصدفة جابتنا . تدرين احنا ما چنا طالعين بنزهة ! »
« لو تاركنى بالشارع چان أحسن . لو خالنى أموت چان أحسن ! »
« لويش ؟ »

« انت تعرف ، لويش ! »

ونظر اليها باندهاش ، فطأطأت رأسها ، وسارا بصمت حتى بلغا الشارع ، واتجها نحو موقف الباص . أهكذا اذن ؟ أهذه حصيلة كل ذلك الحب ، كل تلك الاعوام ؟ وماذا فعل ، ماذا فعل ليستحق كل هذا ؟ والمرأة أيضا ما ذنبها ؟ لقد قدمت لهما كل حبها وحنانها . وكانت شريفة حقا ، اشرف من كثير غيرها من النساء اللواتي اصطلح المجتمع على تسميتهن « شريفات ! » وذكر « عكد النجفى » وجبورى ، والسن الذهبية فى فكها الاعلى ، والجزء المضاء من الحوش .

وأحس بيده المتقبضة تعرق بشدة ، ففتحتها وغرف بها الهواء وحاول ان يتكلم بهدوء « نجلة احنا مو صغار . واحنا نعرف بعضنا من زمان . . . » واستمر : أمن الممكن ان ترتاب فيه ، وبعد هذه الاعوام الاربعة التى امضيها معا ؟ وبعد معرفتها بكل ماضيه وبكل شطحات مراهقته . ان « جبورى » قد يكون هو نفسه عبد الجبار زميلهما فى الكلية وقد لا يكون . هناك مئات من الناس المتشابهين بالمظهر العام يحملون نفس الاسماء . وهو هل انكر يوما انه التقى بمثيلات لهذه المرأة ، عبرن حياتهم فى ومضات سريعة ، ولم يخلفن اثرا وراءهن . ولكن ما اهمية ذلك بالنسبة لهما ؟ أمن الممكن حقا الا تثق بحبه ؟ أمن الممكن ان ترتاب فيه ؟ وبعد كل تلك الاعوام التى امضيها معا . . . وبعد ان اقتربا من اليوم الذى يكاد يتحقق فيه حلمهما الرائع ؟ أهكذا اذن ؟

« لا لا موهيچي ! » صاحت نجلة ، « اوي ما ادرى شگول ؟ » وتهدج صوتها وتعثرت الكلمات ، وأحس انها تتعذب .

« زين ، لعد شنو ؟ »

« ما ادرى ما ادرى . هذاك الجو الجو الفظيع ! »

« اى جو ؟ »

« اوه يكفى تستنطقنى »

وبدا انها تصارع نفسها ، وصمت هو ، ووقفا ينتظران الباص . والشارع جرى امامهما مقفرا ، ولم يكن فيه ضوء كثير كما بدا له قبل حين . كانت الدكاكين مغلقة ، وحراس الليل والشرطة يقرعون الارض ببساطيلهم الثقيلة . وبعض الشحاذين تكوروا على انفسهم وناموا على الرصيف .

ونجلة عادت تتكلم الآن . انها لا تدري ما تقول . لا تستطيع ان

تصف احساسها فى « ذلك » البيت ، عندما افافت ووجدت نفسها لاول مرة - لا تدرى اين ! ثم ضمدت المرأة جرحها ، وارتاحت لوجوده هو معها ، وشعرت باطمئنان عميق . وبدا الجو اليفا ، وتناولت استكان الشاى ، حتى دهمتها الحقيقة فجأة ، وادركت انها فى بيت .. ماذا تقول ؟ .. فى بيت دعارة !

عندئذ احست بشيء كالقمل يسرى تحت ثيابها ، ونسيت الجرح ونسيت ألمها ونسيت أمها . تلك الاريكة التى تمددت فوقها ، كم من الرجال جلسوا عليها ينتظرون دورهم !! ولم ترد ان يكون هو أو احد الاصدقاء واحدا من هؤلاء . وفى اعماقها بدأت سورة غثيان ، واحست بالدنس ، وبالتقزز من كل شيء .. من جسدها ، من ثيابها ، من شعرها .. من ذراعيها . وكانت تريد ان تهرب ، ان تهرب بأى ثمن . وهى تدرك تماما انها قد تسيء الى المرأة بشعورها هذا ، وهى لم تتلق منها سوى العون والمودة . ولكنها لا تستطيع ، لا تستطيع ان تغالب شعورها ... لا تستطيع ان تبدو بوجه آخر . ومن ثم جاءت حكاية « جبورى » ، ولم تكن لها كل تلك الاهمية بالنسبة اليها . ولكنها فى الواقع حنقت عليه « هو » . حنقت عليه بشدة ، عندما تصورته بين اولئك الرجال الجالسين على الاريكة ينتظرون دورهم ! ولكن الآن انتهى ذلك الكابوس ، وأخذت تحس بارتياح ، والجرح أيضا لم يعد يؤلمها كثيرا ...

وابتسم فريد ، ولم يقل شيئا . لقد أخذ يدها بيده وضغطها بحنان . وامامهما تكونت بالتدرج بقعة صفراء اضاءتها عينا باص أحمر كبير ، كان يقترب من الرصيف . وسمعا شخير الرتيب . ورأى الجابى فى العلبة الزجاجية يرفع يده المتعبة ليدق الجرس .

« يله نجلة ، يله بساع ! »

ثم رأى الجابى يتريث قليلا ، وينظر اليهما - بنفاد صبر - من وراء الزجاج .

* * *

مرارا حدث ذلك من قبل . ومن اتخذ هذا الطريق يجب ان يمضى فيه دون انين وحسرات . ولطالما حرم من رؤيتها اشهرا طوالا ، وعانى فى المخبأ الوانا من الفزع والحрман . والآن أيضا يجب ان يمضى ، ان يمضى الى « هناك » .. الى رفاقه . يكفى انها تسير فى اللحظة الراهنة الى جواره ، وانه يستطيع ان يلمسها بيديه ، وان يشهد ضوء النجوم

فى عينيها الحبيبتين ، وان يحدثها بما يريد .
كان طريقها الى البيت تظللها الاشجار على الجانبين . وعندما نزلت
من الباص احست بوخز اليم فى كتفها الجريحة ، واتكأت عليه
وهمست باسمه :

« فريد ! »

« حبيبتي »

اخذت يده فى يدها واحتفظت بها طويلا

« فريد ، تتصل بى باجر ؟ »

« اشوف ! »

وصمتت .

« منو من الرفاق ... اليوم ؟ »

« شفت مهدى بس . لكن اعتقد اكو هوايه غيره ، »

وصمتت مرة اخرى .

« راح نكدر نشيعهم ؟ »

« يمكن الشرطة تدفنهم بالليل »

« لكن تشييع رمزى حتى الناس ما ينسون بالعجل »

« الشعب ما ينسى ! »

« فريد دير بالك » .. وتهدج صوتها فجأة ..

« دير بالك على نفسك » ورأى عينيها تلمعان فى ضوء النجوم

الراعشة . وأخذها بين ذراعيه ، واحس نشيجها المخنوق على صدره ،

وقبل خديها وشفتيها بشوق محموم . ثم ابعدها عنه برفق .

« لا .. فريد .. ! »

« لازم اروح هسه ! »

« فريد ! »

لم يلتفت . كان يجب ان يذهب . ان يمضى الى « هناك » ..

الى العمل الخلاق بين رفاقه الكثيرين .

وعندما ابتعد مسافة طويلة ، موغلا وحده فى اعماق الليل ، احس

مذاق الملح على شفتيه ، وانتفض الحنين فى قلبه بشدة . كانت تلك

دموعها العزيزة ، دموع نجلاه ..

ولم يكن احد يدرى متى سيلتقيان !

عبدالملك نورى

آراء ومناقشات

حول ترجمة كتاب :

الماركسية والشعر

قرأت في العدد ١١ من الثقافة الجديدة ملاحظات الاستاذ نجم الدين البزركان حول ترجمة الاستاذ خالد القشطيني لكتاب جورج تومسون (الماركسية والشعر) . واغتنم هذه المناسبة لتقديم بعض الملاحظات لاسباب قوية لدى منها اننى قرأت هذا الكتاب منذ سنوات كما اننى علمت بمحاولة ترجمته الى العربية فابدت رأى فى المسألة لاحد الاخوان منذ ترجمة هذا الكتاب . فالكتاب يبحث فى الشعر الانجليزى خصوصا والشعر الاوربى عموما وهو بعيد جدا عن الشعر العربى فى التفاصيل ولو اشترك كل الشعر بخصائص عامة كفن تعبيرى . والكتاب أيضا دراسة عالية مركزة . ان ترجمة مثل هذا الكتاب تتطلب عدة مستلزمات منها التضلع العميق فى الماركسية وفى الشعر الاوربى ، وأعتقد ان مهمة ترجمة مثل هذا الكتاب تقع خارج نطاق فرد واحد .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى فان الترجمة كجزء من النشاط الثقافى لا يصح فصلها عن الظروف الموضوعية والمرحلة الوطنية التى نمر بها . صحيح اننا احوج ما نكون الى ترجمة الثقافات الاجنبية الحية ولكن لابد من التمييز بين الجوانب المختلفة من هذه الثقافات . وتفضيل بعضها على بعض حسب الاحوال . لذلك فلا اعتقد ان حاجتنا الثقافية فى المرحلة الحاضرة تستدعى الاقدام على ترجمة مثل هذا الكتاب بينما هناك المواضيع الكثيرة التى تفيد فى اشباع حاجتنا الثقافية الملحة .

ان حركة الترجمة لا زالت ضعيفة عندنا . فتقييد الحريات ما قبل الثورة حددت كثيرا من النشاط الثقافي بما فيه الترجمة . كما ان امكانيات النشر لا زالت محدودة . وثمة نقطة مهمة أخرى هي الفردية في ميدان الترجمة وما يرافقها من قلة المسؤولية ، ان من حق الاديب والمثقف ان يمارس قابلياته في ميدان تذوقه وعلينا ان نشجع حرية العمل الادبي والفني والثقافة ، ولكن هذه الحرية تصبح فوضى وهوسا ان لم تكن موجهة الى هدف معين سام يتناسب وسمو الفن والثقافة ، وأى هدف اسمى من خدمة الانسانية عموما وخدمة شعبنا خصوصا ؟ ! . والخدمة يمكن ان تكون بتصرف فردي ، ولكنها اجدى واثمر عندما تكون منظمة موجهة مرسومة .

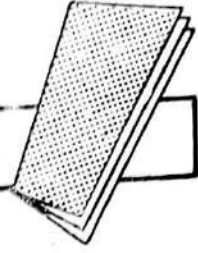
ان على اتحاد الادباء العراقيين مسؤولية المساهمة في التوجيه والتنظيم في الميدان الادبي بما فيه الترجمة . وكم يكون مفيدا لو استطاع الاتحاد تأليف لجنة فعالة للترجمة لها فروع حسب اللغات المترجم عنها لكي يكون هناك تعاون بين المترجمين وتنسيق في أعمالهم وتبادل في آرائهم .

انني كأحد المولعين بالترجمة ومن المبتدئين فيها يسرني ان أرى هذه الفكرة تتحقق وانني متأكد بان هناك عددا من الاخوان الذين يؤيدون ذلك ولاشك انهم سيبادرون يوما ما الى الالتقاء فعسى ان لا يكون ذلك اليوم بعيدا .

عبد الجبار عوض

الثقافة الجديدة : الذي نعرفه ، ان هناك لجنة خاصة للترجمة تألفت في اتحاد الادباء العراقيين ، تضم العديد من الادباء الذين يتقنون اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والايطالية وغيرها ، ولكن الصعوبات المالية حالت دون وضعها خطة ايجابية فعالة وتنفيذها .
اننا نأمل أن تظهر نتائج أعمال هذه اللجنة في المستقبل القريب حين تحل هذه المشكلة . ومع هذا كله ، فالكلمة الآن للجنة الترجمة في اتحاد الادباء العراقيين .

صدر حديثاً



« أضواء على ثورة ١٤ تموز ، تأليف الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم
٩٩ صفحة ، مطبعة الرابطة ، أيلول ١٩٥٩ » •

ان مؤلف هذا الكتاب القيم غنى عن التعريف لقراء « الثقافة الجديدة » خاصة ، ولأبناء الحركة الديمقراطية عامة ؛ بوصفه من أبرز المؤلفين العراقيين في ميادين الاجتماع والسياسة ، فهو مؤلف (على طريق الهند) ، و (دراسات في الاجتماع) ، و (رأى في القومية) ، و (حول مستقبل الثقافة في العراق) ، وهذه من الكتب التي أثرت تأثيراً كبيراً في توجيه الجيل الصاعد ؛ وبوصفه من الشخصيات السياسية الوطنية والديمقراطية المرموقة •

يهدف الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم في كتابه الجديد (معنى الثورة) الى بلورة ايدولوجية الثورة العراقية في ضوء مبادئ نظرية الثورة وتجارب العالم المتطور ، واستعراض مشكلات ومراحل ثورة الرابع عشر من تموز المختلفة ، محفزا المفكرين العراقيين على الاستفاضة في بحث جوانبها المختلفة بغية تخطيط السياسة الوطنية تخطيطاً ينبثق من واقع المجتمع العراقي ، ويفضي الى تحقيق أهداف الثورة بأفضل السبل واقصرها •

وعلى الرغم من نفاذ الطبعة الاولى من هذا الكتاب القيم في بضعة أيام ، فانه لم ينل كل ما يستحقه من دراسة ومناقشة على صفحات المجلات والصحف الوطنية ، فلم تتعرض حتى الى التعريف به أو نقده عدد من الصحف الوطنية ، كجريدة (الاهالي) مثلاً • والنقد والمناقشة للانتاج الفكري من الشروط الاساسية لتطور الافكار ونضوجها ، على ان يكون موضوعاً ايجابياً ، لا ذاتياً تخريبياً •

يميز الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم فى القسم الاول من كتابه بين « الانقلاب » ، و « الفتنة » ، و « التمرد أو العصيان » من جهة ، « والثورة » من جهة أخرى ، ويؤكد على :

« ان الثورة تبدل عام وشامل فى جميع قواعد الحياة العامة ومقوماتها . انها ليست تبديلا سياسيا شكليا وانما هى فى الاساس تحول سلطة الحكم تحولا كليا الى جمهور الثورة . انها تحول جذرى فى الاقتصاد . . . من خدمة أغراض أصحاب السلطة فى العهد الزائل وتحقيق مصالحهم الى خدمة جمهور الثورة وتحقيق مصلحة الشعب ؛ وهى تنطوى بالضرورة على تبدل أساسى فى المعايير الاخلاقية والاجتماعية ومدلولاتها ، وفى تفسير الظواهر الاجتماعية وتعليلها ، بل وتنعكس فى تحويل اجمالى فى مقاييس الادب والفنون والتعبير والذوق وغيرها ، بما يساير العهد الجديد » ، ص ٧ - ٨ .

هذه هى النظرة العلمية الى الثورة ، ويزيدها الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم تأكيداً حيث يعتبر التناقض بين الطبقة المستغلة الحاكمة والطبقات المستغلة المحكومة هو « فى الواقع القوة المحركة الفعالة للتطور الاجتماعى فى كل المجتمعات الطبقيّة » .

ثم يتطرق الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم الى تحديد أنصار الثورة بجميع الطبقات المستغلة المحكومة وأعداء الثورة بجميع الطبقات المحلية والاجنبية التى قامت الثورة ضدها ، ويؤكد الاستاذ المؤلف على وجود فئات وسطية مائعة قد تقف على « الحياد » بادىء ذى بدء الثورة ، ثم تنقسم على نفسها عند الازمات فتتحاز الى جانب أنصار الثورة أو الى اعدائها . ويرى المؤلف « ان من أخطر ما تتعرض له الثورة فى الازمات ، ما ينطوى عليه جهاز الدولة من عناصر الفساد فى صفوف الموظفين وقوى الامن التى قد لا تجد فى الثورة ما كانت تتمتع به فى العهد الزائل من موارد الرشوة وسوء التصرف بالمصالح العامة ، وما يتوافر لها من مظاهر السلطة فى مجتمع فرضت فيه على الناس الذلة والمسكنة . . . » ، ص ١٦ .

ويشيد الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم بدور « المد الشعبى » الذى يلزم الثورات أثناء فترة الانتقال . ويؤكد فى الوقت ذاته على أهمية التنظيم والضبط للاستفادة القصوى من القوى الخلاقة التى تنبثق عن هذا المد الجماهيرى .

ثم ينتقل الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم فى القسم الثانى من كتابه الى استعراض أكثر تفصيلا لاهداف ثورة الرابع عشر من تموز مقتظفا

الاسانيد من خطب قائد الثورة الزعيم عبدالكريم قاسم . وخلاصة رأى الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم ان الثورة العراقية ثورة وطنية تحريرية ضد الاستعمار ، وثورة تقدمية ضد الاقطاع والرجعية ، وثورة شعبية « تخدم مجموع الشعب » عن طريق الديمقراطية والقومية المتحررة . ويجمل الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم الطريق السليم لتحقيق هذه الاهداف حيث يقول :

« ان ثورة الرابع عشر من تموز لا يمكن ان تحقق اهدافها بأن تفرض حكم الطبقة الوسطى ، وهى . . . ليست الطبقة التى تستطيع ان تواجه الاستعمار منفردة ، أو ان تعتمد فى ميدان المعركة من غير ان تخشى الهزيمة وتميل الى المساومة وهى تشعر ان مصالحها فى الميزان . ولا يمكن ان تحقق ثورة الرابع عشر من تموز خدمة مجموع الشعب بقيادة الطبقة الوسطى منفردة ، وهذه الطبقة تساورها المخاوف من اطلاق الحريات للشعب ، وهى تخشى ان تفقد سلطانها وتطغى عليها الطبقات الاخرى ، وانما ثورة الرابع عشر من تموز تكون ثورة شعبية تخدم مجموع الشعب باعتبار ان خطوط الالتقاء بين مصالح الطبقات التى يتكون منها تغلب على ما بين هذه الطبقات من تناقض المصالح ؛ وباعتبار ان هذه الحقيقة بعينها تجعل فى الامكان تحقيق حكومة شعبية تخدم مجموع الشعب وعلى أساس تحالف الطبقات التى تؤيد الثورة وتعاونها ومن ثم اشتراكها فى الحكم على أساس الديمقراطية والقومية المتحررة ؛ وباعتبار ان الديمقراطية والقومية المتحررة هما السبيل الوحيدة التى تستطيع به ثورة الرابع عشر من تموز ان تضمن وحدة الصف الوطنى بين طبقات الشعب وقومياته فى معركتها الصادقة والحاسمة . ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية » ، ص ٧١ .

هذا ما يراه الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم فى نظرية ثورة الرابع عشر من تموز . اما فيما يخص خط سيرها الصحيح فيوجز المؤلف موقفه مستندا الى تاريخ وواقع الحركة الوطنية كما يلى :

« لقد كشف تاريخ الحركة الوطنية فى مدى الثلاثين سنة الماضية عن العناصر التى كافحت باخلاص وتصميم وعناد ، فى سبيل تحقيق هذه المبادئ ، فحق لها بذلك ان تكون عماد الجبهة الوطنية المتحدة التى تقضى الضرورة الوطنية بقيامها ، واعنى بها العناصر التقدمية من الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين ، معتدلين ويساريين . وفى رأى ان مما ييسر تحقيق وحدة الصف الوطنى ومن ثم قيام الجبهة الوطنية ،

توحيد جميع الوطنيين الديمقراطيين - المعتدلين واليساريين - في كيان واحد ؛ فذلك اجدى في الواقع واسلم عاقبة من انشقاقهم في جماعات متعارضة تبعثر قواهم وتؤول الى جعل تحقيق الجبهة الوطنية أكثر عسرا . فان اجتماع الوطنيين الديمقراطيين - معتدلين ويساريين - في كيان واحد لا يزيدهم قوة ومناعة ويعزز ثقتهم بانفسهم وثقة الشعب بهم ويزيد في قدرتهم على القيام بواجبهم الوطني فحسب ، وانما يسهل في الوقت عينه سبيل التفاهم بينهم وبين الشيوعيين ، ومهما كان رأى فريق من الوطنيين الديمقراطيين ، فمما لا ريب فيه ، ان وحدة الصف الوطني واقامة جبهة وطنية متحدة فعالة ، وبالتالي تيسير تحقيق أهداف الثورة ، لا يمكن ان تتم الا اذا تضافرت جهود الوطنيين الديمقراطيين والشيوعيين . وفي رأى ان تحقيق التفاهم والتضامن بين هذين الطرفين الوطنيين هو من العناصر الاساسية في تحقيق وحدة الصف ومن ثم تحقيق الجبهة الوطنية المتحدة ، بل هو أعظم ضمان لتوطيد اسس الديمقراطية والحرية ومن ثم تحقيق أهداف الثورة . وانه يترتب على جميع الوطنيين الديمقراطيين ان يقدرُوا ما ينطوى عليه هذا الامر من خطورة ، اذا قيس بالمشاكل الثانوية والخلافات غير الجوهرية التي تقوم الآن في سبيل تجمعهم في كيان واحد من جهة ، وفي سبيل تحقيق التفاهم والتعاون والتضامن بينهم وبين الشيوعيين »

ص ٧٩ - ٨٠ .

وبعد هذا الاستعراض الوجيز لبعض اوجه كتاب الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم ، لابد لنا من تسجيل بعض الملاحظات التي تتعلق قسم منها بطريقة عرض هذا الكتاب القيم ، وينصب القسم الآخر على صلب موضوعه ووجهة نظره . وفي هذه العجالة لا يمكن الا ان تكون ملاحظتنا مقتضبة :

١ - ان أسلوب الكتاب واضح ومتين في الوقت نفسه . ولكن انقسامه الى قسمين : معنى الثورة واضواء على ثورة ١٤ تموز سبب بعض التكرار غير الضروري . فكان من الاوفق دمج القسمين ، خاصة وان القسم الاول هو « بمثابة المقدمة » للقسم الثاني ، ولاقتصر البحث على مبادئ الثورات التحررية في الشرق ، وخاصة الثورة العراقية ، كما هو واقع الكتاب ؛ ولأمكن التمييز بين التناقض في المجتمع الطبقي ، والتناقض في المجتمع اللا طبقي ، ومن ثم طبيعة التغيرات في المجتمعين .

٢ - ومما يؤخذ على المؤلف (ص ٤٩) اهماله أهمية الرأسمال التجاري الاجنبي والسوق العراقية بالنسبة للاستعمار قبل ثورة الرابع عشر من تموز . لقد كان هذا الجانب هو الاهم اقتصاديا قبل بدء انتاج النفط في عام ١٩٣٤ . ان هذه النظرة تؤدي الى اهمال العامل التاريخي في التغلغل الاستعماري في العراق .

٣ - ويلاحظ ان الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم يعتقد ان ليس للاقطاع جذور تاريخية عميقة في حياة المجتمع العراقي (ص - ٢٥) . وهذه النظرة لا تستند الى استقراء التاريخ الاقتصادي الحديث في العراق حيث يبدأ نشوء النظام الشبه الاقطاعي جنبا الى جنب مع التغلغل الاستعماري في التجارة والملاحة العراقية منذ فتح قنال السويس ، حيث كان الاحتلال البريطاني للعراق ذروة هذا التطور التاريخي ، الذي تعزز وتوسع نطاق النظام شبه - الاقطاعي ، لاسيما في فترة ما بعد الاحتلال البريطاني .

٤ - وقد لا يأخذ البعض برأى الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم فيما يخص ضرورة أو امكانية توحيد جميع الوطنيين الديمقراطيين - المعتدلين واليساريين - في كيان واحد بوصفه شرطا من شروط قيام الجبهة الوطنية المتحدة ، وذلك لان انهيار الطبقة الكومبرودورية - البورجوازية المتعاونة مع الاستعمار - ، قد خلق فراغا قد تحتله بعض أجزاء الطبقة الوسطى ، ولان الثورة ساعدت على توسع عدد وقوة البورجوازية الصغيرة ، وقد يختلف هذان القسمان من البورجوازية الوطنية ، أثناء عملية التطور ، فيما يخص مسألة التعاون مع الشيوعيين .

ان هذه الملاحظات السريعة وغيرها تزيد من اهمية كتاب الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم ولا تنتقص منه ؛ انه كتاب حري بالدراسة والمناقشة ، انه حري باستكمال بعض الامور التي لم يتطرق اليها المؤلف كمسألة الاحزاب الوطنية ودورها ، هذه المسألة التي تعالجها (الثقافة الجديدة) في مكان آخر من تضاعيف هذا العدد ، ومسألة خصائص الدستور الديمقراطي الذي لابد من بحثه في ضوء الخبرة العالمية وخصائص الجمهورية العراقية الواقعية ، ومسألة القومية العربية المتحررة ووسائل التضامن العربي ، وجبهة الاتحاد الوطني ، وغير هذه من القضايا الهامة التي يثيرها الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم .

« الثقافة الجديدة »

استدراك وتنبيه

- ★ جاء في الصحيفة (٤) السطر (٩) - المقال الافتتاحي للعدد الماضي - كلمة (احاطة) في حين أن الصحيح هو (اطاحة) .
- ★ يقرأ السطر (٢٥) والذي يليه من الصحيفة (٤١) كما يلي : (ان هذه العوامل تحدّد طبيعة البورجوازية الوطنية المعادية للاستعمار والاقطاع والكومبرادورية وتحدّد معارضتها لجهاز الدولة الذي يقوده الاقطاعيون والكومبرادوريون) .
- ★ جاء في الصحيفة (٤٢) السطر (٣١) (الكتل المعارضة) والصحيح هو (الجماهير المضطهدة Masses) وتقرأ هكذا أينما وردت في مقال (البورجوازية الوطنية) .
- ★ يقرأ السطر الاول والذي يليه من الصحيفة (٤٣) كما يلي : (هذه البورجوازية على كل حال تبدأ بالتذبذب في وجه الحركة الجماهيرية العنيفة حين تظهر الطبقة العاملة علائم استمالة كل الشعب الذي بدونها لا تستطيع البورجوازية الفوز بالسلطة أو الحفاظ عليها) .
- ★ جاء في الصحيفة (٤٥) السطر (٣٠) (في الحقيقة كل من يناهض) والصحيح هو (في حقيقة كل من يناهض) .
- ★ نظرا لازدحام مواد هذا العدد فقد أرجأنا نشر القسم الثاني من مقال (تاريخنا في ضوء المادية التاريخية) للدكتور صلاح خالص والفصل الثاني من كتاب الثقافة الجديدة المتسلسل (القيمة والرأسمالية) لهنري دني وترجمة أبو سعد الى العدد القادم فنلفت أنظار القراء الى ذلك .



دفاع المناضل الوطنى الدكتور فؤاد مرسى أمام « محكمة أمن الدولة » فى الاسكندرية

بين الذين جرت محاكمتهم أمام « محكمة أمن الدولة » العسكرية برئاسة اللواء هلال عبدالله اطباء ومحامون ومهندسون وعمال نقابيون وصحفيون ورجال فكر وعلم وثقافة . والتهمة التى وجهت الى هؤلاء الوطنيين هى القيام بتنظيم وإدارة الحزب الشيوعى المصرى والانتماء اليه والعمل على نشر مبادئه بين الشعب . وقد فضح المعتقلون أمام المحكمة بصلابة وجراءة الاهداف الخطرة الكامنة وراء اعتقالهم ومحاكمتهم لا لشيء الا بسبب نضالهم الوطنى الصامد وصلابتهم فى وجه الاستعمار والرجعية . وقد القى الدكتور فؤاد مرسى أستاذ علم الاقتصاد فى جامعة الاسكندرية وأحد الذين جرت محاكمتهم ، مطالعة قيّمة مطولة امتازت بالعمق والموضوعية ، عرّى فيها طبيعة نظام حكم عبدالناصر الارهابى الدكتاتورى ، وأظهر زيف الادعاءات التى يتشدد بها دعاة القومية العربية المزيفون :

لا شك فى ان هذه القضية قضية سياسية ، وقضية سياسية كبرى ، بل لعلها ان تكون أخطر القضايا السياسية التى شهدتها بلادنا فى السنوات السبع الماضية ، وفى الساعات الاولى من فجر هذا العام اهتز العالم لانباء الاعتقالات الواسعة التى اسفرت اليوم عن هذه المحاكمة . ومن حق العالم ان يهتم ببلادنا التى كانت فى السنوات الاخيرة ، علما خفاقا على الكفاح ضد الاستعمار وقدوة مرموقة لحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا . ومنذ أول يناير التفت قلوب الملايين حولنا ، ولقيت قضيتنا العطف المتزايد لدى جميع الشعوب . ان رأى العام فى كل مكان من العالم . فى الدول الاستعمارية ، فى البلدان الاشتراكية فى آسيا وافريقيا ، فى الوطن العربى ، يرقب محاكمتنا باهتمام بالغ واننا جميعا قضية ومتهمين مسؤولون أمام هذا رأى العام . اما مسؤوليتكم فجسيمة ، لان الحكم الذى تصدرونه انما هو حكم على بلادنا . واما مسؤوليتى فانى أرى من واجبى ان اتكلم ، فلست انا المتهم ، وانما انا الذى اتهم .

وبعد ان يشير الدكتور فؤاد مرسى الى انه لا يشاهد الرجعيين فى
قفس الاتهام وانما وطنيين بارزين مكافحين ضد الاستعمار ، يقول :

ليست محاكمتنا هذه على غرابتها هى اغرب ما يجرى فى بلادنا
فكل ما فيها اليوم غريب ، غريب على بلادنا . . غريب على احتياجات
بلادنا ومصالحها . سياسة الحياد الايجابى ، وسياسة القومية العربية ،
وسياسة الوحدة الوطنية ، تلك السياسات التى ارسيت قواعدها فى
السنوات الاخيرة بجهود مضيئة ، وتضحيات غالية قد فقدت اليوم
معناها ، وانقلبت الى اضدادها . اذ ماذا أصبح الحياد الايجابى اليوم ؟
ان الحياد الايجابى وهو سياسة صون الاستقلال الوطنى مع الدفاع
الايجابى عن السلام العالمى سياسة نعداى من يعادينا ونصادق من
يصادقنا ، سياسة تصفية الاستعمار ومقاومة الاحلاف العسكرية ،
ومحاربة تسرب رؤوس الاموال الاستعمارية ، سياسة الصداقة مع
البلدان الاشتراكية وتوثيق التعاون الاقتصادى والثقافى معها ، سياسة
الحياد الايجابى هذه قد اصبحت بانقلاب . لقد أخذنا نصادق من يعادينا
ونعداى من يصادقنا !! اميركا زعيمة العالم الاستعمارى تتكالب الحكومة
على خطب صداقتها ! وتعقد معها اتفاقيتين للنقطة الرابعة ، وتسمح
للهيئة الاميركية بالعودة الى ريفنا . وتدع البنك الدولى التابع لاميركا
يرمى بأحابيله حول بلادنا . ويتحول يوجين بلاك من ديليسيس الى
يوجين بلاك من جديد(*) !! اميركا صانعة اسرائيل وعاصمة الصهيونية
العالمية وحليفة بريطانيا علينا ، وحليفة فرنسا ضد الجزائر وزعيمة
جميع الاحلاف المعادية للعرب والمحرك الحقيقى للعدوان الثلاثى ،
وصاحبة مشروع ايزنهاور ، والمذبذبة لعدوان تركيا على سوريا ،
والمعتدية على استقلال لبنان ، ووريثة حلف بغداد باتفاقياتها مع تركيا
وايران وباكستان والكامنة وراء كل مؤامرة استعمارية أو صهيونية
أو رجعية ضد بلادنا ، اميركا هذه يرى الرئيس عبدالناصر فى حديثه
مع الصحفى الهندى كارانجيا انها لا سياسة لها ازاءنا ويسعى فى
تصريحاته فى مجلة لايف لطلب صداقتها . اما الاتحاد السوفياتى
صديقنا فى الشدة والرخاء على السواء ، قد اكتشفت الاوساط الحاكمة
اخيرا انه ليس سوى دولة كبرى ، كاي دولة كبرى . بل انه استعمار

(*) سبق لعبدالنصر ان وصف « يوجين بلاك » - مدير البنك الدولى - « بدليسيس »
ايام الاعتداء الاتيم على الشعب المصرى الشقيق (المجلة) .

شيوعي ، واستعمار أحمر ، يسيطر على البلاد الصغيرة بسحر الشيوعية ،
ويناور لاقتسام مناطق النفوذ ، ويهدد السلام فى العالم . حملة مسمومة
من الحقد والكراهية ، لم تسيء الى الاتحاد السوفياتى بقدر ما اساءت
الىنا . الاتحاد السوفياتى صديق ثورتنا سنة ١٩١٩ ، ونصيرنا فى
مجلس الامن سنة ١٩٤٧ ، وسندنا فى تسليح جيشنا القوى ، وصاحب
انذار بولغانين ، وعوننا بالقروض والمساعدات ، والبلد الوحيد الذى
مكننا من تصنيع بلادنا وممول السد العالى ومخرجه الى حيز التنفيذ ،
وظهير العرب بلا تحفظ فى كفاحهم العادل ضد الاستعمار والرجعية .
الاتحاد السوفياتى هذا يطعن بايدينا ونسمح بان تكون بلادنا مسرحا
للنيل منه . ونعرض علاقتنا الهامة معه لاوخم مصير يتمناه أعداء
بلادنا . ولقد اعترف الرئيس عبدالناصر بان هذه العلاقات قد اصابها
ازمة ثم خيم عليها الفتور . ذلك هو مصير حيادنا الايجابى . بدأنا
نصادق اميركا ونعادى الاتحاد السوفياتى ونصادق الدول الاستعمارية ،
ونعادى البلدان الاشتراكية !!

وماذا أصبحت القومية العربية ؟ ان القومية العربية هى سياسة
وحدة الوطنيين العرب فى الكفاح ضد الاستعمار من أجل التحرر
الوطنى فى كل قطر عربى ومن أجل التوحيد القومى لكل الامة
العربية . القومية العربية هى وحدة الوطنيين العرب ضد الاستعمار
الاجنبى والرجعية العربية . ونواة القومية العربية هى وحدة البلاد
العربية المستقلة والمتحررة . سياسة القومية العربية ، اصبحت هى
الآخرى بانقلاب . أصبحت القومية العربية هى تجميع العرب بلا تمييز
بين الوطنيين والخونة ، لا لمكافحة الاستعمار ، ولكن لمحاربة الحكم
الوطنى بالعراق ! لم تعد البلدان المتحررة هى التى تتحد ضد الحكومات
الخائنة لاسقاطها ، وانما أصبحت هذه الحكومات تتحد لاسقاط
الحكومات المتحررة - وهنا يبين كيف اتجهت سياسة الجمهورية العربية
المتحدة نحو الاتفاق مع سعود وحسين وبورقيبة مع استمرارها فى التآمر
على العراق . ثم يتابع : الجمهورية العربية المتحدة قد تفككت الوحدة
بين شطريها ، والاتحاد مع اليمن قد تراخت أوأصره ، وفقدت الجمهورية
العربية المتحدة مكانها الرفيع فى الوطن العربى . لم تعد قلعة لقيادة
حركة التحرر العربى ، بل مركزا لتجميع الرجعية العربية وقاعدة لتدبير
المؤامرات ضد العراق ، وتفرقت البلاد العربية ، وتمزقت الحركة الوطنية
العربية ، وتوقفت حركة التوحيد القومى ، واصيبت القومية العربية

بانتكاس رهيب . ذلك هو المصير الذى تنتهى اليه قضيتنا العربية .
نصادق الرجعيين العرب ، ونعادى الوطنيين العرب . نصادق الحكومات
التابعة للاستعمار ، ونعادى الحكومات المتحررة المعادية للاستعمار !!

ان الوحدة الوطنية تعنى التقاء الوطنيين من جميع الطبقات ضد
الاستعمار الاجنبى والرجعية الداخلية لصون الاستقلال الحديث واعادة
البناء الداخلى لمصلحة جميع الطبقات الوطنية بلا استثناء . ونتيجة
لذلك تفترض الوحدة الوطنية قدرا من الحريات الديمقراطية لجميع
الوطنيين . الوحدة الوطنية هذه قد اصبحت بانقلاب خطير متخلف ،
لقد حلت الفرقة بين الوطنيين محل الوحدة الوطنية . لقد تراكمت
الخلافات بدون حل حتى اصبحت الخلافات فيما بين الوطنيين مقدمة على
الخلافات مع الاستعمار والرجعية . وبدلا من ازدياد فرص الحرية
والديمقراطية اتخذت التدابير لتشديد القمع والارهاب . وغطيت العملية
كلها بحملة مرسومة ضد الشيوعية والشيوعيين العرب .

فى خريف ١٩٥٨ ، اعلن الرئيس عبدالناصر عن وجود
اروستقراطية رأسمالية مترفة . ولقد توعدنا بالعقاب لانصرافها
لتكديس الارباح بينما تنهار معيشة الطبقات الشعبية . ولكن لم يكد
الشتاء يبدأ حتى فوجئنا بالعقاب يحل بأبناء الشعب . وفتحت السجون
والمعتقلات المختلفة لاستقبال المئات منهم ! لقد بدأت حملة رهيبه لمطاردة
الشعب . حملة معادية للديمقراطية ، وأصبحت الاحكام العرفية اسلوبا
دائما للحكم ولم تعد اجراء طارئا لمواجهة حالة من الطوارئ . وخرجت
الرجعية من جحورها المظلمة وعادت تحتل مراكز الصدارة التى اقصاها
الشعب عنها . خالد محي الدين يعزل من صحيفة المساء ، بينما يولى
صلاح سالم شؤون الصحافة . صلاح سالم بطل محادثات سرسك مع
نورى السعيد حيث سلم بوجود حلف بغداد وسعى لربطه بالحلف العربى
المقترح عندئذ بين مصر وسوريا والسعودية ! وقدمت الشيوعية على
مذبح الرجعية والاستعمار وانطلقت حملة من الاكاذيب والمفتريات
اصابت الشيوعيين العرب والاتحاد السوفياتى والصين الشعبية والبلدان
الاشتراكية ، حملة دمرت أغلب نفوذنا وسمعتنا فى البلاد العربية ، وفى
البلاد الآسيوية والافريقية ، حملة تسمى الى الشيوعية والشيوعيين بقدر
ما أساءت الى مدبريها . لقد انشغل الوطنيون بحرب وهمية ضد
الشيوعية والشيوعيين . لقد حقق الرئيس عبدالناصر المعجزة التى عجز
عنها الاستعمار من قبل ؟ معجزة تمزيق الحركة الوطنية ! لقد حقق

الرئيس عبدالناصر ما عجز عنه مشروع ايزنهاور . الرئيس عبدالناصر
الذى حارب مشروع ايزنهاور بهدف تصفية الاستعمار يحقق اليوم ضد
الشعب أهم ما رمى اليه مشروع ايزنهاور .

هذا هو مصير حركتنا الوطنية . انقسم الوطنيون على انفسهم
بينما الاستعمار يتربص وينتظر ، والرجعية تتسلل من جحورها !
تمزقت القوات الوطنية وفتح الطريق أمام الاعداء .

هكذا تبدو بلادنا اليوم غريبة عما كانت عليه على الاقل منذ تسعة
شهور . سياسة بلادنا اليوم هى السعى لصداقة الدول الاستعمارية
وخاصة امريكا ، وتجميع الرجعية العربية فى الوطن العربى كله . ان
انقلاب سياستنا فى الحياد الايجابى ، والقومية العربية ، والوحدة الوطنية
أمر مذهل ولا بد ان يلح بكل وطأته على تفكير جميع الوطنيين . فماذا
جرى لثورتنا الكبرى ؟ اين هى ثورتنا الوطنية الديمقراطية التى
تعهدنا على السير فيها حتى نهايتها ، لماذا أصاب قوات الثورة الانقسام ؟
كيف فى الحقيقة نفسر ما يجرى فى بلادنا ؟ هل تعثرت الثورة وفشلت ؟
أم هل خانها أصحابها فارتدوا على اعقابهم ؟ أم هل انتهت ثورتنا بان
انجزت مهامها الثورية ؟ ولمصلحة من يتم كل هذا ؟

ليس الرد على هذه الأسئلة بالشئ السهل . انه يتطلب تمحيصا
دقيقا لثورتنا المصرية ، وهى كما نعلم جميعا جزء من الثورة العربية ،
تمحيصا دقيقا لقواتها وأعدائها وأهدافها . تمحيصا دقيقا لما انجزته
اليوم وما يجب ان تنجزه فى المستقبل ، تمحيصا دقيقا للاطار الذى
تسير فيه ضمانا لنجاح الثورة وانتصارها النهائى .

حضرات الضباط العظام :

لا أعتقد ان أحدا ينازع اليوم فى ان بلادنا تجتاز مرحلة ثورية ،
هى مرحلة الثورة الوطنية . ثورة جميع الوطنيين على اختلاف طبقاتهم
الاجتماعية من الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الى الرأسماليين . هذه
الثورة المعادية للاستعمار الاجنبى والرجعية المحلية الضالعة مع
الاستعمار ، من اقطاعيين وحكاريين . هذه الثورة الرامية لاستكمال
التحرر الوطنى وتحقيق الوحدة الوطنية واقامة حياة ديمقراطية واعادة
البناء الداخلى لمصلحة جميع الطبقات الوطنية .

هل بدأت هذه الثورة الوطنية ؟ نعم ... لقد بدأت ولقد انجزت

مهاما أساسية تحت قيادة الرئيس عبدالناصر ، وبتأييد جميع القوى الوطنية لتحقيق الاستقلال السياسى . وخرجت جميع قوات الاحتلال ، هزم العدوان الاستعمارى ، أممت أغلب المشروعات - التابعة للاستعمار ، قلّمت أظافر كبار الاقطاعيين وفرضت قيود على الاحتكاريين الرأسماليين ، وبدأت عملية تحويل بلادنا من اقتصاد زراعى متخلف الى اقتصاد صناعى حديث .

ولكن هل انتهت الثورة الوطنية ؟ كلا . . . فان ثورتنا التى بدأت لم تنته بعد . اذ لم تنجز كل مهامها الثورية . ان الثورة الوطنية لا تقف عند مجرد الحصول على الاستقلال الوطنى . انها تتجاوز ذلك بكثير . قد ترى الاوساط الحاكمة فى الاستقلال الوطنى تحقيقا لاهم أهدافها ، وهو تحقيق سيطرتها المنفردة على دولة مستقلة ذات سيادة ، غير اننا نعتبر الاستقلال الوطنى مجرد مرحلة ضرورية لاحداث تغييرات جذرية تسمح بمواصلة التطور . ان مرحلة الثورة الوطنية تتعدى مجرد الحصول على الاستقلال السياسى وتشمل الاستقلال الاقتصادى والحياة الديمقراطية واعادة البناء الداخلى . لقد انجزت الثورة مهامها الوطنية فى جوهرها ولكن بقيت مهام وطنية لم تنجز . بل نشأت مهام وطنية جديدة . لقد كسبنا الاستقلال فأصبح علينا ان نحمل هذا الاستقلال . وتلك مهمة وطنية جديدة . ان القضية الوطنية لم تلغ من مكانها الاول فى جدول أعمال الثورة . ولذلك يخطئ كل من ينسى خطر الاستعمار أو يتغافل عنه أو يضعه فى مؤخرة مهام الثورة . اذ هل صفينا الاستعمار تماما من الجمهورية العربية المتحدة ؟ هل قضينا على محاولة الاحتكارات الامريكية للحلول محل الاحتكارات الاستعمارية القديمة ؟ هل تحررت كل أجزاء الوطن العربى من قبضة الاستعمار ؟ هل زال خطر اسرائيل وهى القاعدة الاستعمارية الاساسية المفروضة فى قلب الوطن العربى ؟ ليس بعيدا عنا حادث الباخرة « انجه تفت » ولا تقرير همرشولد لتصفية فلسطين ، ولا صيحات الحرب اليايسة التى يطلقها موسى ديان وموسى شاريت . وكل هذا انما يؤكد حقيقة ان قضيتنا لم تنجز ، وان ما بيننا وبين الاستعمار لم ينته ، وان الاستعمار العالمى كان وما يزال عدونا الاول ، وان خطر الاستعمار لم ينته ولن يكف حتى يصفى من الوطن العربى . فما زالت أمامنا مهام وطنية كبرى ، أهمها صون الاستقلال الوليد وبناء الاستقلال الاقتصادى ومساندة الحركات

الوطنية العربية ، واستكمال وحدة الأمة العربية والدفاع الايجابي عن السلام العالمى .

وبعد ان يتحدث عن استمرار الثورة الوطنية والمشاكل الملحة التى يجب ان تحلها ، يتناول موضوع الجبهة الوطنية فيقول :

ان الجبهة الوطنية اذن هى تحالف حول أهداف الثورة الوطنية فيما يخص جميع الطبقات الوطنية المعادية للسيطرة الاستعمارية والساعية لتحقيق الاستقلال الوطنى وحمايته . ومن ثم فهى تحالف شريف يحقق مصالح كل الطبقات المشتركة فيها . ولذلك تفترض الجبهة أولا : التقاء جميع الطبقات الوطنية بارادتها عند برنامج الثورة الوطنية . ثانيا : الاستقلال الذاتى لكل طبقة فى الدفاع عن مصالحها الخاصة ازاء الطبقات الاخرى . ثالثا : التعايش فيما بين جميع الطبقات الوطنية . رابعا : عدم انفراد أى طبقة وطنية بالجبهة أو بمكاسب الثورة أو خسائرها . وبعبارة أخرى ليست الجبهة الوطنية مطية ولا وسيلة لاستيلاء احدى الطبقات على الحكم وانفرادها به .

لقد كنا نعتقد انه لا بد ان يثوفر مزيد من الاهتمام بالمطالب الديمقراطية خلال الكفاح من أجل تحرير الوطن الذى يتطلب وحدة القوى المعادية للاستعمار ، غير ان تدابير سافرة اتخذت لقمع الحرية وارهاب الشعب . من العسير علينا ان نفهم كيف كانت وحدة مصر وسوريا مناسبة لانتكاس ديمقراطى فى البلدين . . مناسبة لاعادة فترة الانتقال من جديد لاجل غير معلوم . . مناسبة لالغاء دستورى البلدين حل برلمانى البلدين ، وتعطيل الحياة السياسية والحزبية فى سوريا !! .

ان التحرر الوطنى لا يكتمل من غير ديمقراطية ، فالديمقراطية تدعمه وتحميه فى الخارج والداخل على السواء . ان الديمقراطية هى الحرية لجميع الطبقات الوطنية فى تنظيم نفسها بنفسها وفى التعبير عن نفسها بنفسها . حرية جميع الوطنيين فى التجمع والاجتماع والرأى والصحافة والخطابة والانتخاب والتظاهر والاحتجاج والاضراب . الديمقراطية معناها حرية الديمقراطية فى النقد . وما احوج بلادنا لهذه الحرية المتواضعة !

ان النيابة العامة تزعم انى احاول قلب نظام الحكم ، وفى الحقيقة أنا لا أريد ولا أحاول قلب نظام الحكم ، وانما أريد وأحاول نقد نظام

الحكم وأسلوب الحكم ورجال الحكم . وليس لي هدف من وراء هذا النقد سوى حماية هذا النظام من الانهيار الذي يترصده . اني لاتساءل مخلصا كيف واين يستطيع مواطن شريف ان يعرض الآراء التي اتاحت لي هنا فرصة طرحها للمناقشة ؟! . لا يمكن لبلادنا ان تعيش في الاحكام العرفية سبعة سنوات متواصلة هي عمر هذه الثورة ! لا يمكن ان تظل بلادنا بحاجة الى حياة ديمقراطية . . حياة دستورية نيابية تكفل الحريات السياسية للمواطنين والحريات النقابية للعاملين ، والحريات الجامعية للجامعيين أساتذة وطلبة . نعم . . . فانه تكفيننا خمس سنوات من اللوائح الجامعية تكفلت بازهاق روح الجامعة . ان جامعتنا ستظل في عزلة عن مجتمعنا ولن تصبح جزءا من وطننا قبل ان تتمتع باستقلالها الكامل في تنظيم أمورها . قبل ان نتمتع أساتذة وطلابا بحرية الرأي وحرية البحث وحرية العلم . ان الاوساط الحاكمة لا تغير هذه المطالب جميعا من ديمقراطية واقتصادية اى اهتمام وتقابلها على العكس بالمزيد من القمع والارهاب . وتطرد هذه الاوضاع المعادية لاتجاه ثورتنا التي قامت أساسا على اكتاف الشعب وتصبح معاداة الشعب سياسة مرسومة تغتال حريته وتهدد حياته . سياسة « ليستفيد من يستفيد » ! فيستفيد الجناح الرجعي المعادى للديمقراطية من بين الرأسماليين . تلك القلة التي تخاف الشعب أكثر مما تخاف من الاستعمار . نعم . . . ان سياسة معاداة الشعب لابد ان تعرض القضية الوطنية ذاتها للخطر . فمن الصعب تماما ان يكون المرء معاديا للشعب وان يبقى في نفس الوقت وطنيا معاديا للاستعمار !

ان الثورة الوطنية لا يمكن ان تتم بعيدا عن الشعب ، ولا في الكفاح ضد الشعب . وان الانتصارات الوطنية التي نعتز بها انما انجزت بفضل التضحيات الغالية التي استرخصها الشعب .

ان قمع الاضرابات العمالية ومقاومة حركات الفلاحين واضطهاد التنظيمات الشعبية . . ان تجاهل مطالب الشعب الاقتصادية والديمقراطية لابد ان يوقف من اندفاع الثورة . لابد ان يفرض على الاوساط الحاكمة اتباع سياسة تهدئة مع الاستعمار المتربص والرجعية الكامنة . ان بعض الاوساط تعرض استقلالنا الاقتصادي للضياع . انها اليوم تحد من سعيها لاستقلال اقتصادي حقيقي . ان سياسة تجاهل مطالب الشعب ، سياسة تجاهل العالم الاشتراكي الصديق ، سياسة اللعب على التناقض بين الاستعماريين هي أبعد ما تكون عن تحقيق

الاستقلال الاقتصادى وانما تؤدى بشكل حتمى الى فقدان الاستقلال
السياسى نفسه .

الم يعلن الرئيس عبدالناصر فى تصريحاته مع حسين هيكل ان
حادث الباخرة « انجه توفت » كان مناورة للاعتداء على استقلالنا والنيل
من اقتصادنا ؟ ألم يعلن ان اسرائيل استغلت ظرفين غير مواتين ، هما
تلبد الغيوم فى الجو العربى وفتور علاقاتنا بالاتحاد السوفياتى ؟
واسرائيل لا تتحرك بغير سادتها الاستعماريين وخاصة الاميركان .
فلمصلحة من مواصلة هذه السياسة ان لم تكن لمصلحة الاستعمار ؟ هل
هى فى مصلحة الجيش أو الصناعة ؟ هل يستفيد منها رجال الصناعة
والتجار والزراع وسائر الرأسماليين الوطنيين ؟ هل يستفيد منها
القطاع العام من اقتصادنا الوطنى ؟

من الواضح ان سياسة معاداة الشعب لا تفيد سائر الرأسماليين
الوطنيين أصحاب المصلحة فى تصفية الاستعمار واعادة بناء اقتصادنا
الوطنى ولكنها فى مصلحة قلة من الرجعيين يخافون الشعب أكثر مما
يخافون الاستعمار .

ان هذا الجناح الرجعى من الرأسماليين وهو الذى يفرض سياسة
معاداة الشعب ينتهى بان يمتنع عن كبج جماح القوى الرجعية الداخلية
والقوى الاستعمارية الاجنبية ومن ثم يتيح الفرصة للفئات الاشد رجعية
لانتزاع السلطة والاطاحة بالحكم الحالى وتصفية الثورة الوطنية . فالى
سياسة مدمرة تنساق وراءها حكومة عبدالناصر ؟ سياسة تنطلق منها
لترتد اليها ! انها الاسلحة الفاسدة فى ميدان السياسة ولكن ضحيتها
هو الوطن كله . انها سياسة فاسدة وسياسة فاشلة .

تلك هى حقيقة الازمة التى تفجرت فى الجمهورية العربية المتحدة
والتي هزت كل أرجاء الوطن العربى . والمسؤول عن هذه الازمة هو
السياسة الرجعية المعادية للشعب لدى الاوساط الحاكمة . وعبثا تحاول
الحكومة تغطية سياستها والتنصل من مسؤوليتها باتهام الشيوعيين
واعلان الحرب على الشيوعيين فهى حرب وهمية لا تقنع أحدا .

هل صحيح ان الشيوعيين العرب هم المسؤولون عن الازمة
الحالية ؟ ان هذا السؤال يعيد الى الازهان قصة الذئب مع الحمل ولكن
فى اخراج ردىء فلا معنى لان يكون الشيوعيون هم المسؤولون عن الازمة

الا ان يكون الشعب هو المسؤول عنها . فلا يمكن فصل الشيوعيين عن الشعب . وليس للشيوعيين مصالح مستقلة عن مصالح الشعب .

وتدل التجارب التاريخية في البلاد المستعمرة والبلاد المستقلة حديثا على ان قوانين موضوعية تحكم تطورها الوطني . ففي كل بلد منها قوى وطنية وقوى رجعية . وتتمثل القوى الوطنية في الطبقات ذات المصلحة في الاستقلال والتحرر الوطني وهي عادة طبقة الرأسماليين الوطنيين وطبقة الفلاحين والطبقة العاملة . اما القوى الرجعية فتضم عادة الاقطاعيين والرأسماليين المرتبطين بالاستعمار . وبينما تحاول القوى الرجعية ، بتحريض من المستعمرين غالبا ، مقاومة الاستقلال الوطني ، والتقدم الاجتماعي ، تسعى القوى الوطنية عامة نحو التحرر الوطني ، وتسعى الطبقة العاملة والفلاحون خاصة للتقدم الاجتماعي . ويقف الشيوعيون على رأس الطبقة العاملة معبرين عن آمال الشعب كله . لهذا يمثل الحزب الشيوعي في بلادنا الجناح اليساري في الحركة الوطنية . هذا الجناح الذي يعادى الاستعمار عداوة أصيلة وكاملة . وبهذه الصفة لا يوجد هناك من هم أشد من الشيوعيين عزما وأكثر إخلاصا في الكفاح ضد الاستعمار . وتاريخ الامة العربية حافل بهذا الكفاح الذي يشرف صحيفة الشيوعيين العرب ، وبخاصة الشيوعيين السوريين والعراقيين والمصريين . ولذلك لا يمكن الا ان نستنكر جميع المحاولات التي بذلت وتبذل لتشويه الكفاح الوطني للأحزاب الشيوعية العربية والشيوعيين العرب . فليس الشيوعيون هم الذين يمكن ان يلتقوا معه في أي طريق . واذن فلماذا تعتبرهم الحكومة مسؤولين عن الازمة الحالية ؟ - السبب واضح وهو ان الشيوعيين هم طلائع القوى الوطنية طلائع الشعب المكافح من أجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي . وعندما تضع الحكومة في التطبيق سياسة معاداة الشعب ، فلا بد ان تصطدم هذه السياسة فورا بطلائع الشعب الامامية . ولهذا شهرت الحكومة اتهامها للشيوعيين مشفوعا بأجراً حملة تشهير ، ودوى النذير يحذر من الشيوعيين الطامعين في الاستيلاء على الحكم ، وأصبحت الشيوعية أخطر من الاستعمار !!! - ولكن يجب ان يعلم الممثلون الحقيقيون للنظام القائم ، انهم ليسوا مهددين بالخطر الشيوعي المزعوم ولكنهم مهددون بالرجعية المحلية والاستعمار الاجنبي الذي يتربص بنا جميعا . ان المغرضين وحدهم هم الذين يتجاهلون ان الثورة الحالية ثورة ذات طبيعة رأسمالية اصيلة ، وان هذه الثورة الرأسمالية لم

تنجز بعد ، وان الطريق للاشتراكية ليس سوى هذه الثورة الوطنية ذات الطبيعة الرأسمالية ، هذه الثورة التي يشترك فيها الشيوعيون ويشترك فيها الشعب بكل حماس وإخلاص . ليعلم الممثلون الحقيقيون للنظام القائم - ان كانوا يجهلون - ان اضطهاد الشيوعيين اجراء رجعى لم يقصد به وجه الوطن ولا مصلحة الوطنيين . فلا يمكن لوطنى ان يقبل وهو مرتاح الضمير اجراء يمزق القوى الوطنية ويضعف جهود الامة فى الكفاح ضد الاستعمار ويفتح الطريق أمام قوات الرجعية والاستعمار بلا مقاومة .

وليس هناك حل لازمتنا ، وليس هناك اطار لتقدم ثورتنا ، سوى الجبهة الوطنية المتحدة . وليس هناك بديل لهذه الجبهة . فالاتحاد القومى مثلا ليس جبهة وطنية . وفى آخر تصريح للرئيس عبدالناصر ان الاتحاد القومى ليس جبهة - وهذا صحيح . فهو ليس التقاء اختياريا بين جميع ممثلى الطبقات الوطنية حول برنامج يضمن الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . ولكنه تنظيم حزبى - فالاتحاد القومى حزب للاوساط الحاكمة . فهو حزب للحكومة ، لا بل هو جهاز حكومى اعدته الحكومة لمراقبة الشعب . لقد نفى الرئيس عبدالناصر ان يكون الاتحاد القومى حزبا بديل انتخابات قاعدته - وبغض النظر عن مهزلة انتخابات الاتحاد القومى فانها لا تنفى صفة الحزب عنه . فقد تكون حزب الوفد من قبل بتوكيلات شعبية كانت بلا شك اصدق وأقوى دلالة من انتخابات الاتحاد القومى فانها لا تنفى صفة الحزب عنه . فقد تكون حزب الوفد من قبل فكيف يكون ممثلا للعمال وهو لا يضم سوى ٣٨٤ عاملا ، أى أقل مما يضم من تلاميذ . وبينما لا يوجد فيه فلاح اجير واحد يضم حوالى ١١ الف مزارع وأكثر من خمسة آلاف من العمدة والمشايخ . فهل بعد هذا يعتبر الاتحاد القومى ، جهازا بديلا عن الجبهة الوطنية ؟ جهازا لتوحيد طبقات الامة أم لتفريقها - جهازا لتوحيد طبقات الامة ، أم لتغليب بعضها على بعض بالقوة !!؟

ان ثورتنا لن تصنع فى معمل أو مكتب ، مهما تكن براءة المسؤولين ومهما يكن اخلاصهم لبلادهم . ولكنها تصنع بأيدى الملايين من ابناء الشعب ، بتأييدهم الواسع الذى يسحق الاعداء ، وطاقتهم الحماسية التى تخلق المعجزات ، والاطار الوحيد لاندفاع هذه الملايين هو الجبهة الوطنية .

الدكتور فؤاد مرسى

نص رسالة الزعيم عبدالكريم قاسم الى الرفيق خروشفوف بمناسبة الذكرى ال ٤٢ لثورة اكتوبر العظمى

سيادة نيكيتا خروشفوف المحترم رئيس مجلس وزراء اتحاد
الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية - موسكو :

سيادة الرئيس

يسرني جدا ان انتهز فرصة زيارة الوفد العراقي لبلادكم العظيمة
للتهنئة بمناسبة الذكرى الثانية والاربعين لثورة اكتوبر الاشتراكية
لأبعث بتحياتي الخالصة ولأنقل اليكم أطيب تمنيات الشعب العراقي
واعجابه بما حققته شعوب الاتحاد السوفياتي من تقدم هائل في ميادين
العلم والفن والثقافة وتقديره العميق للمواقف النبيلة التي وقفها الاتحاد
السوفياتي حيال قضايا الشعوب المناضلة من أجل الحرية والاستقلال
عامة والقضايا العربية خاصة وكذلك جهوده المستمر من أجل احلال
السلم والطمأنينة في العالم . وانه ليسرني أيضا ان تصادف ذكرى
ثورة اكتوبر لهذا العام في فترة من الزمن تكملت فيها جهود المخلصين
من الرجال بنجاح ملحوظ في التخفيف من حدة التوتر الدولي وفي
ادراك ضرورة ايقاف الاندفاع في سياسة الحرب الباردة وتكاثف عدد
العاملين على اتباع مبادئ التعايش السلمي بين الشعوب على اختلافها .

ان ثورة اكتوبر الخالدة التي مثلت بصورة أكيدة مرحلة جديدة
حاسمة في تاريخ الشعوب السوفياتية وكونت لها نقطة انطلاق نحو
التقدم والتطور من أجل بناء مجتمع جديد تتحقق فيه مستويات مادية
وثقافية رفيعة أخذت ثمراتها تنتشر في أرجاء العالم وتعم فوائدها جميع
الشعوب . ولهذا فان الكثير من شعوب العالم اليوم ينظر الى الاتحاد
السوفياتي لا نظرة اعجاب وتقدير وحسب بل نظرة المشوق الى جعل
تلك المنجزات العظيمة التي تحققت في حقول العلم والفن في جملة
مقومات كيانها وتتخذ منها اسسا من أجل اقامة مجتمعات نامية
مرفهة .

ان هذه الشعوب التي شاهدت الاتحاد السوفياتي يسير أشواطا

بعيدة فى فترة قصيرة من الزمن بطريق تحرير الشعب السوفياتى من القيود المادية والروحية تقدر بحق تلك المنجزات وتترى فيها من القواعد والاسس ما تستوحى منه بعض خططها فى مكافحة الفقر والجهل والمرض والسير فى طريق النمو السريع . وانى لوائق يا سيادة الرئيس بان السياسة البناءة التى سار عليها الاتحاد السوفياتى فى اقامة هذا الكيان الجبار وتكوين القوة الكبيرة التى انبثقت عنه سوف يكون دعامة رصينة من دعائم السلم والتقدم فى العالم ومحركا اساسيا فى سبيل تطوير الحضارة والحفاظ عليها .

وأخيرا أرجو ان اؤكد لسيادتكم بان الشعب العراقى الذى تحرر من قوى الظلم والعدوان يقف اليوم فى صفوف الشعوب المحبة للحرية والسلم كافة ويقدر باخلاص المواقف المشرفة التى وقفها الاتحاد السوفياتى تجاهه منذ ثورته الوطنية فى ١٤ تموز ١٩٥٨ وله وطيد الامل بانه اذا ما تضافرت الجهود فسيعم العالم عهد حرية وسلام كامل .
وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير .

عبدالكريم قاسم

رئيس وزراء الجمهورية العراقية

سيادة العقيد المهداوى يحى ثورة اكتوبر الاشتراكية

« فى الذكرى الثانية والاربعين لثورة اكتوبر العظمى اقامت السفارة السوفيتية احتفالا كبيرا فى دار السفارة حضره عدد كبير من الشخصيات الرسمية ورجال السلك الدبلوماسى والمواطنين على اختلاف طبقاتهم وقد القى سيادة العقيد فاضل عباس المهداوى رئيس محكمة الشعب كلمة بهذه المناسبة حيا فيها الثورة الاشتراكية العظمى وشعوب الاتحاد السوفياتى الصديق الصديق لجمهوريتنا وللعرب كافة » وفيما يل نص كلمة سيادة المهداوى :

سيادة السفير السوفيتى المحترم

اخوانى وبنى وطنى الاعزاء

انى اذ جئت هذه اللحظة دار السفارة السوفيتية فى بغداد انما جئت لأعبر عن شعورى وشعور المواطنين العراقيين الشرفاء كافة عن

فرحهم بهذا اليوم المجيد يوم ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التي حررت لا الشعب السوفيتي وحده من الحكم القيصري البغيض والحكم الاقطاعي المقيت بل حررت شعوب العالم اجمع لانها مهدت طريق النضال الانساني في سبيل التحرر المطلق من قيود الاستعمار والرجعية والاقطاع وقضت على آفات الشر قضاء نهائيا مما جعل الشعوب في الكرة الارضية تفتفي اثار هذه الثورة المجيدة وتجعلها نبراسا لها في نضالها الشريف ضد قوى الشر في العالم اجمع وضد الحروب وفي سبيل توطيد السلم العالمي وتعزيز اواصر الصداقة بين شعوب العالم في الارض قاطبة .

ومضى المهداوي قائلا : اننا لن ننسى معونة الاتحاد السوفياتي لشعوب العالم والشعوب العربية بصورة خاصة في كفاحها ضد الاستعمار وضد الفاشية والاقطاع والاحتكار الرأسمالي .

واننا اذ نهنيء اصدقاءنا الاعزاء السوفيت في بغداد وفي الاتحاد السوفيتي العظيم باكماله بل وفي العالم كله انما نعبر عن شعورنا الصادق ووفائنا الحقيقي تجاه حكومة الاتحاد السوفيتي الصديقة لنا الصلوة للعرب اجمع وللانسانية في الكرة الارضية قاطبة .

لذلك انني اكرر التهاني الصادقة لسيادة السفير المحترم ولزملائه موظفي السفارة السوفيتية في دار السلام ، كما انني اعبر في هذه اللحظة عن فرحي واغتنباطي وسروري بما اشاهده من معالم الزينة في العاصمة الخالدة في الجمهورية الخالدة استعدادا للاحتفال الذي سيظهره شعبنا العظيم شعب ١٤ تموز البطل في مسيرته الكبرى ، هذه المسيرة الشعبية التي اراد شعبنا ، وارادته فوق كل ارادة ، ان يعبر فيها عن سروره العظيم بنجاة زعيمه العظيم من حادث الاعتداء الاثيم اللئيم الزنيم الذي قامت به زمرة باغية وعصابة مجرمة وعملاء بيد المستعمرين والطامعين والاقطاعيين والرجعيين الذين لنا معهم موعد في محكماتكم محكمة الشعب ، كما انني انني سأتشرف وأشارك الشعب في هذه المسيرة . نعم انني سأشارك في هذه المسيرة فانني كأبناء الشعب العراقي وعلى راسه زعيمه العظيم .

واخيرا اسمحوا لي يا سيادة السفير بان اكرر شكري الجزيل لكم ولحكومتكم الموقرة على تفضلكم بالحفاوة البالغة التي لقيناها في بلادكم عندما كنا على رأس وفد شعبي لجمهوريتنا الخالدة مر ببلادكم العظيمة

الى الصين الشعبية لمشاركة شعبها العظيم في احتفالاته بمناسبة مرور
عشر سنوات على تأسيس جمهوريته الشعبية العظمى جمهورية ماوتسى
تونغ .

ولقد سررت مع اخوانى العراقيين قاطبة فى بكين لمشاهدة زعيمكم
العظيم بطل السلم العالمى الرفيق خروشوف .

واننى كمواطن فى هذه الجمهورية العراقية الحرة المستقلة المحايدة
المسألة التى لا تعتدى على احد بل تصد الاعتداء مهما كان واينما كان
بضراوة هى معروفة عن العراقيين الصيد الاشاوس الذين حطموا
الاستعمار والنظام الملكى الفاسد والاقطاع والرجعية فى بضع ساعات
بقيادة قائد جيشنا المظفر وابن شعبنا البار عبدالكريم قاسم .

اخوانى المواطنين العراقيين الابطال .

أرجو ان يسود بينكم الاتحاد الوطنى الشعبى الحقيقى الذى
لا يتمكن من ان ينفذ من أية ثغرة يريد الاستعمار ايجادها فيه أو
الطامعون وذلك بغية تقويض كيان جمهوريتكم الفتية الغالية التى ابيضت
عيونكم الى ان شاهدتموها وانها ثمرة من نضال آبائنا وأجدادنا منذ
قرون عديدة فى سبيل الحرية الحقيقية والاستقلال التام والتحرر الصحيح
من شوائب الاستعمار والرجعية والاقطاع .

لذلك أكرر رجائى لكم بان تكونوا يدا واحدة وكتلة واحدة
صخرية فولاذية تهشم رؤوس أعدائكم المجرمين من الخونة وأذئاب العهد
المباد الذين يريدون السوء بكم ولكنكم فليكن شعاركم الذى ناديت به
قبل لحظة أقوى من الموت .

« بشعور عميق بالارتياح ، أبعث اليكم بالاعجاب الذى يكثفه
الشعب التركى للشعب الروسى ، ذلك الشعب الذى لم يقنع بتحطيم
اغلاله ، وانما قام خلال عامين بصراع مرير من أجل تحرير العالم ،
وتحمل ، فى حماس بالغ ، عذابا لم يسبق له مثيل ، وذلك فى سبيل
أن يختفى الاضطهاد من وجه الارض » .

من رسالة بعث بها أتاتورك الى قوميسير
الشعب للشؤون الخارجية فى الحكومة
السوفياتية فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٢٠

خطاب سفير الاتحاد السوفيتى زايئسيف فى اجتماع جمعية الصداقة العراقية السوفيتية المكرّس للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية والاربعين لثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى

ايها الاصدقاء الاعزاء

اسمحوا لى ان اعرب عن امتنانى العميق بمناسبة هذا الاجتماع الذى عقدتموه فى هذه الصالة للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية والاربعين المجيدة ، ذكرى ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، وتمكينكم اياي من التكلم فى اجتماعكم الحافل .

لقد كانت ثورة اكتوبر نقطة انعطاف فى تطور حركة التحرر العالمية ، وقد امدت هذه الثورة كادحي جميع البلدان بقوى جديدة وايمان بانتصارهم النهائى ، وسببت نهضة منقطعة النظر فى الحركة الوطنية التحررية فى المستعمرات والبلدان التابعة ، ودشنت عصرا جديدا فى تطور البشرية كلها .

وقد أخذ يسير اليوم فى الطريق الذى فتحته ثورة اكتوبر ، شعب الصين العظيم وشعوب جملة من البلدان الاخرى فى اوروبا وآسيا ، تؤلف بمجموعها الآن ما ينيف عن مليار نسمة ، أو ما يزيد عن ثلث سكان الكرة الارضية كلهم . وبنتيجة ذلك ، تكونت الاسرة الكبيرة ، اسرة البلدان الاشتراكية فى اوروبا وآسيا ، وتكون النظام الاشتراكى العالمى .

ان ثورة اكتوبر قد فتحت امام الشعب السوفيتى وجميع الكادحين السائرين فى طريق الاشتراكية ، آفاقا عظيمة للعمل الابداعى الخلائق ، والمتحرر من الاستغلال ، ورفعت الاتحاد السوفيتى الى مستوى عال من التطور الاقتصادى والتكنيكى والثقافى ، لم يشهد له مثيل .

لقد تحول الاتحاد السوفيتى خلال أربعين سنة ونيف منذ وجوده ، من بلاد زراعية متخلفة الى دولة صناعية جبارة ، ذات زراعة آلية . فخلال هذه الحقبة من الزمن ، زاد الاتحاد السوفيتى انتاجه

للمنتجات الصناعية ستة وثلاثين ضعفا ، وقضى على الامية نهائيا ، وهو اليوم يخرج من المهندسين ما يزيد ثلاثة اضعاف تقريبا عما تخرجه الولايات المتحدة الامريكية . ولا شك في ان شعبنا كان قد انجز أكثر مما انجز وعاش أحسن مما هو عليه ، لو أنه لم يضع زهاء نصف هذه الاربعين سنة ، على الحروب التي فرضت عليه فرضا ، وعلى ترميم الاقتصاد الوطنى فيما بعد الحرب .

واحسب انكم تعرفون ان الغزاة الالمان الفاشيست قد دمروا واحرقوا فى زمن الحرب فى الاتحاد السوفييتى الفا وسبعمائة وعشرة (١٧١٠) مدن وبلدان وأكثر من (٧٠) سبعين الف قرية ، وان ما يقرب من (٢٥) خمسة وعشرين مليون شخص بقوا بدون مأوى . لقد فقد الشعب السوفييتى خلال هذه الحرب ملايين عديدة من الناس ، وتكبد من الخسائر المادية ما يقدر بحوالى خمسمائة مليار دولار . ولولا هذا الدمار الفظيع والخسائر الهائلة ، لكان الاتحاد السوفييتى اليوم قد لحق بالولايات المتحدة الامريكية سواء فى حجم الانتاج أو فى مستوى معيشة السكان .

ان شعبنا منصرف الآن لتنفيذ مشروع السنوات السبع : وفى بحر هذه السنوات السبع سيضاعف الاتحاد السوفييتى انتاج المنتجات ضعفين ، وفى سنة ١٩٦٥ سينتج ٨٦ الى ٩١ مليون طن من انقولاذ ، و ٦٥ الى ٧٠ مليون طن من الحديد الصب ، ومثل هذه الكمية من القضبان . وفى غضون هذه الفترة سيوظف الاتحاد السوفييتى فى الاقتصاد الوطنى سبعمائة وخمسين مليار دولار ، وسيبنى خمسة عشر مليون شقة للسكن فى المدن وسبعة ملايين دارا فى الارياف ، ومعنى هذا انه ستظهر حوالى خمسين مدينة جديدة ، كل منها بحجم سان فرانسيسكو .

ان لينين العظيم قد علم الكادحين الخيال والجرأة ، الخيال وفقا للواقع ، والجرأة الثورية . وكما ترون ، فان خيالات لينين قد أصبحت حقيقة واقعة . وكان لابد ان يكون الامر كذلك . ان العمل الابداعى الخلائق هو الذى جعل من الانسان انسانا استطاع فيما بعد ان يزين الارض لما فيه خيره هو وسعادة الاجيال القادمة . ان كل ما هو رائع ومعقول ودائم على الارض ، وكل ما نفخر به ونعتز ، قد اوجدته يد الانسان الكدود الماهرة ونبوغه المتطلع دائما وأبدا .

ومن العقل ولد عند الانسان الخيال ، فأصبح له على الدوام النجم الهادى . وهذا الخيال النير المحلق ، قد قاد الناس فى خضم العواصف والزوابع الهوجاء وعبر آلام العبودية وأهوال الحروب الطاحنة ، نحو الحياة المشرقة . والخيال قد دفع الانسان نحو النجوم فى العوالم المجهولة الغامضة . ان الشعب السوفييتى الذى حقق فى سنة ١٩١٧ ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى تحت قيادة الحزب الشيوعى ليوقف اليوم فى الطليعة ، سواء من حيث تحقيقه حلم القضاء على استغلال الانسان للانسان ، أو حلم تمهيد الطريق نحو الكواكب الاخرى .

ومما يشهد بجلاء على منجزات واحلام السوفيتين ، دوران المحطة الاتوماتيكية الكونية حول القمر والارض وتصوير الجانب الآخر من القمر من قبل المختبر الكونى عن بعد خمسة وستين ألف كيلومتر ، ونقل الصور الى الارض من اعماق الفضاء الكونى . ان كل واحدة من هذه المنجزات هى ماثرة علمية منقطعة النظير . اما كون السوفيتين هم الذين توصلوا الى ذلك ، فظاهرة طبيعية تماما . فهو يشهد بالمنجزات الفريدة فى بابها ، التى احرزها علماء الرياضيات والميكانيك والفيزياء والراديو الكترون والكيمياء ، وبالمنجزات التى توصل اليها خبراء المعادن والفلكيون السوفييتيون ورجال العلوم الاخرى ، وكذلك مهندسينا والتكنيكيون والعمال ، الذين جسدوا الحسابات النظرية فى التركيبات التكنيكية ، التى هى أكليل منجزات النبوغ البشرى فى عصرنا . وهو يحكى عن الجبروت الصناعى الفائق لبلادنا ، التى استطاعت ان تنشئ الاجهزة والادوات والمواد الضرورية لتحقيق هذه الافكار العظيمة . وهو يشير بما لا يدع مجالا للجدل الى افضلية النظام الاشتراكى السوفييتى .

ان الاتحاد السوفييتى قد احرز عن جدارة شهرته كأشد الدول حبا للسلام . ان ملايين الامهات والزوجات يتطلعن الى الاتحاد السوفييتى بأمل وايمان بالمستقبل النير . وهذا أمر طبيعى . اذ من الذى لا يعرف مقدار الجهود والمساعى التى بذلتها الحكومة السوفييتية لاذابة ثلوج « الحرب الباردة » التى غطت الارض فى السنين الاخيرة .

عندما ذهب خروشوف الى امريكا ، خاطبه جميع الناس الشرفاء هاتفين من اعماق قلوبهم : « ليكن التوفيق حليفك ، ايها الرفيق العزيز ، والمناضل الدؤوب من أجل السلام » . وقد اصغى العالم كله منصتا الى

الخطاب الحكيم الصريح الذى القاه الرفيق خروشوف فى هيئة الامم المتحدة . وقد صفق له العالم كله ، صفق للانسان الذى اعرب من على المنصة السامية عن أفكار وآمال جميع الشعوب .

ستمر سنوات وعشرات السنين ، بيد ان الخطاب التاريخى الذى القاه الرفيق خروشوف فى هيئة الامم المتحدة ، سيبقى فى ذاكرة الانسانية . وكيف لا يكون الامر كذلك !؟ . فعندما يتحقق المشروع السوفياتى بشأن نزع السلاح العام نزعا تاما تتخلص البشرية الى الابد من الحرب كأداة لحل التناقضات بين البلدان . ونزع السلاح هذا سيفتح عهدا جديدا فى تاريخ العلاقات الدولية .

ان نزع السلاح سيفتح عصرا جديدا فى تاريخ اقتصاد البلدان المتخلفة . وذلك أمر طبيعى ، فالنفقات العامة التى تنفقها جميع البلدان على الاسلحة والقوات المسلحة تبلغ اليوم حوالى مائة مليار دولار فى السنة ، فى حين ان الامر يحتاج ثلاثين الى خمسين مليار دولار ، حسب تقدير الاقتصاديين ، لرفع مستوى حياة ربع البشرية الذى يعيش فى الوقت الحاضر فى ظروف شاقة ويعانى الجوع من المهد الى اللحد .

ايها الاصدقاء الاعزاء

ان نتائج زيارة الرفيق خروشوف للولايات المتحدة الامريكية ، تشهد بانتصار السياسة السلمية التى سلكها الاتحاد السوفيتى المناضل بدأب من أجل وقف « الحرب الباردة » وتخفيف التوتر الدولى ونزع السلاح ، والتعايش السلمى بين النظامين ، ومن أجل حل الخلافات الدولية عن طريق المفاوضات .

والمسألة الآن هى اما التعايش السلمى واما الحرب ، وما يترتب من كوارث . وهذه المسألة تقلق البشرية كلها ، وليس لها سوى حل واحد ، هو التعايش السلمى بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية . ولا يمكن لمن يفقد الاتزان ان يفكر تفكيرا آخر . ولذلك قابل جميع الناس الشرفاء بمنتهى الارتياح مقترحات الحكومة السوفيتية حول برنامج نزع السلاح العام لجميع الدول .

ان الاتحاد السوفيتى ، الامين لسياسته ، سياسة السلام والصداقة بين الشعوب يوسع ويعزز بكل الوسائل تعاونه مع البلدان الاخرى . ويبدل معونته الصداقة النزيهة فى تطوير اقتصاد البلدان الضعيفة التطور .

ان ثورة الرابع عشر من تموز التي تحققت تحت قيادة عبدالكريم المناضل دون كلل فى سبيل قضية تحرير الشعب العراقى قد فتحت آفاقا رحبة من أجل ازدهار الجمهورية العراقية . كما انها انشأت الظروف لتطوير العلاقات الودية بين بلدينا .

لقد عقدت خلال السنة المنصرمة بين بلدينا جملة من الاتفاقيات الهامة ، التي وضعت اسسا وطيدة لتعاون وثيق الشعبين السوفييتى والعراقى . ان من المهم ان نشير الى ان الاتفاقيات المعقودة تنفذ بنجاح .

ان الجانب السوفييتى يبذل الآن جميع جهوده لكيما ينجز فى المستقبل القريب الاعمال التخطيطية ، وينتقل الى بناء المعامل والمصانع وغيرها من المنشآت المنصوص عليها فى اتفاقية التعاون الاقتصادى والفنى وبموجب اتفاقية التعاون الثقافى يوفد ثلاثمائة طالب عراقى الى الاتحاد السوفييتى ، وعدا ذلك سيبعث الى الاتحاد السوفييتى فى اقرب وقت ، فريق كبير من الاشخاص الآخرين ممن سيتدربون فى الاتحاد السوفييتى على ادارة المشاريع التي تقام فى الجمهورية العراقية بمساعدة الاتحاد السوفييتى .

ايها الاصدقاء الاعزاء

اسمحوا لى ان اعرب عن ثقتي بأن النشاط النبيل الذى تقوم به جمعية الصداقة العراقية السوفييتية ، سيساعد كل المساعدة على تطوير العلاقات الودية بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العراقية لما فيه صالح شعبى بلدينا وتعزيز السلام فى الشرقين الادنى والوسط .

« اننا نعمل كل ما بامكاننا لكي تتوطد الجمهورية العراقية التي ولدت حديثا . اما كيف سيكون النظام الاجتماعى فيها ، فهذا شأن شعب العراق وحده . ويتمنى الاتحاد السوفييتى شيئا واحدا ، هو ان تكون الجمهورية العراقية مستقلة وان تتوطد ويتطور استقلالها وازدهارها » .

خروشوف

جريدة الپرافدا السوفيتية

٢٥ تموز ١٩٥٨

تصدير أجهزة استخراج النفط فى

جمهورية رومانيا الشعبية

بما ان استخراج النفط الخام فى رومانيا بازدياد مستمر لذلك فان انتاج الاجهزة الصناعية النفطية يجب ان ينمو بحيث يساير تلك الزيادة . لقد اقتضت فعاليات مصانع انتاج الاجهزة النفطية اثناء الحرب العالمية على أعمال التصليح وانتاج بعض الاقسام الصغيرة ، اما بعد عام ١٩٤٨ فقد تطور الانتاج بصورة ملحوظة .

ان التقدم فى طاقة الانتاج والتخصص فى بعض الاعمال جعل من الممكن لصناعة انتاج الاجهزة النفطية فى رومانيا ان تنتج بصورة مستمرة دورية ما تحتاج اليه أعمال الحفر والاستخراج والتكرير فى رومانيا ، تاركة مع ذلك نسبة معينة للتصدير .

ان رومانيا تصدر آلات الحفر التالية :

- نوع (٥ د) و (٤ ل د) للحفر بعمق ٣٢٠٠ م .
 - نوع (ب يو - ٤٠) و (٣ د) للحفر بعمق ١٢٠٠ م ، ٢٠٠٠ م .
 - نوع (أ ف ب - ٣ - ١٠٠) أدوات قابلة للنقل وللحفر بعمق ١٠٠ م .
- وبالإضافة الى أدوات الحفر هناك أقسام معدة للتصدير كالبومات الثابتة والمتنقلة والمحاور والمناضد الدوارة ومضخات الاوخال وعدد الصيد والحفر والانابيب وأدوات الثقب والتوربينات . الخ . وجميع تلك الادوات تنتج بأصناف متعددة وحجوم مختلفة .

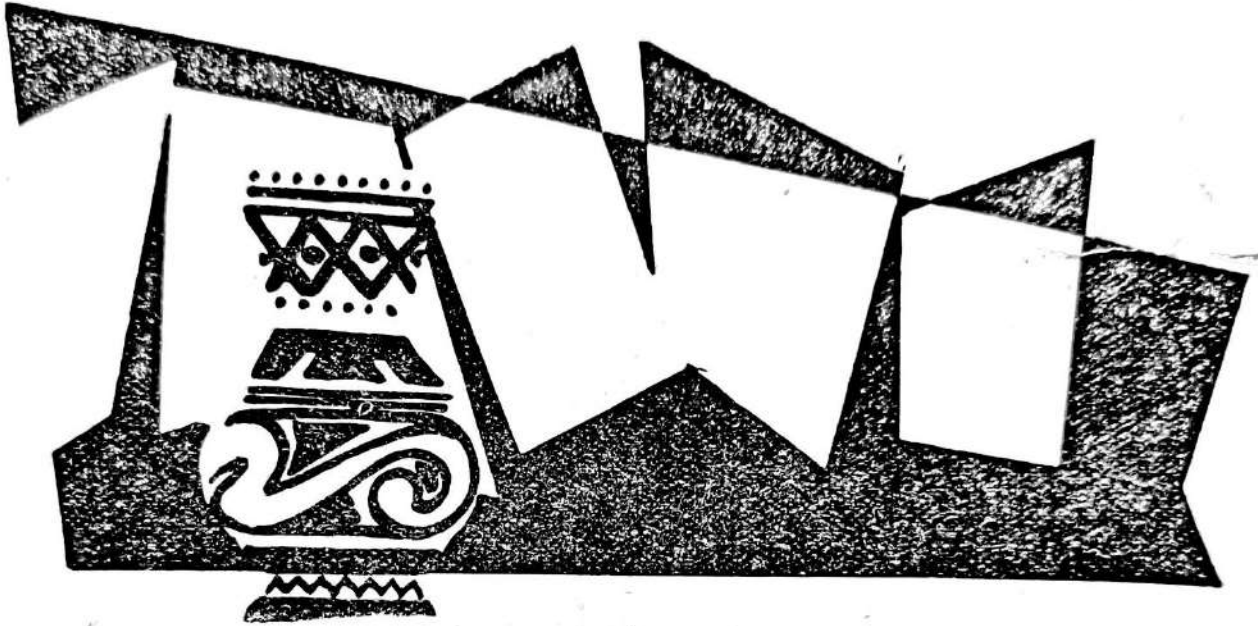
تتمتع الاجهزة النفطية الرومانية بشهرة عظيمة ويدل على ذلك زيادة المقدار المصدر منها وتزايد الطلب عليها من الخارج .

لقد صدر فى العام الماضى الى جمهورية الصين الشعبية وحدها أكثر من ١٢٠ آلة حفر وعدد كبير من الاقسام الاحتياطية كذلك صدر عدد كبير من الاجهزة والاقسام الى جمهورية ألمانيا الديمقراطية وجمهورية كوريا الشعبية والاتحاد السوفياتى والبايما ويوغسلافيا والهند . وعقدت حديثا اتفاقات بشأن تجهيز فرنسا والارجنتين بكميات وافرة من اجهزة الاستخراج وبجهاز كامل لتصفية النفط الى الهند .

ان مستوردى اجهزة النفط الرومانية لا ينتفعون من نوعيتها العالية فحسب بل من قصر مدة التجهيز والشحن أيضا والتي تقل عن مدة أى قطر آخر .

ان فى وسع رومانيا ان تهيا المساعدة الفنية أيضا بارسالها المهندسين والفنيين المختصين اذا ما رغبت الاقطار المشترية بذلك .

Cartimex



- مصنوعات يدوية رومانية ؛
 - سجاد مختلف الاصناف ؛
 - سلع منسوجة باليد ومطرزة من صوف وحرير وقطن ؛
 - سلع خزفية ومن احجار كريمة ومن مواد نباتية ؛
 - كتب ادبية وعلمية وتكنيكية وللاطفال ؛
 - كتب قديمة نادرة والبومات فنية ؛
 - صحف ومنشورات ؛
 - مجموعات طوابع بريدية ؛
 - اسطوانات وتسجيلات موسيقية ؛
- تصدرها الى جميع انحاء الدنيا
كارتيمكس - بخارست - شارع ارنستايد برياند ١٤ - ١٨ - صندوق البريد
١٣٤ ، ١٣٥

زوروا المعرض الاقتصادي لجمهورية رومانيا الشعبية
١٢ تشرين الثاني - ٢ كانون الاول ١٩٥٩
شارع السعدون رقم ٢٩/٩ البتاويين - بغداد
- ١٣٢ -

مراج التصدير

الصادرات الصناعية لجمهورية رومانيا الشعبية

EXPORT PROGRAMME

INDUSTRIAL EXPORT

DESIGNING, DELIVERY AND MOUNTING OF
COMPLETE PLANTS AND FACTORIES

- for the building material industry
(cement mills, brick and tile factories, etc.)
- for the chemical industry
(oil refineries, industrial plants for carbon black, nitric acid, ammonia, sulphuric acid, fertilizers, soda, dyestuffs, synthetic resins, glues, abrasives, inks, etc.)
- for the pharmaceutical industry
(acetylsalicylic and antibiotics factories)
- for the food industry
(ice and bread factories; milling equipment)
- for the iron and steel and metallurgical industries (blast furnaces up to 100 cu.m.; open-hearth furnaces up to 250 tons; sheet metal and tube rolling mills; pig iron and steel foundries; railway cars, locomotive boilers, farming machines, works, etc.)

POWER EQUIPMENT

- Steam turbines
- Hydraulic turbines
- Steam boilers
- Turbogenerators
- Turboblenders
- Complete thermic and hydraulic power plants
- Explosion proof power transformers
- Measuring transformers
- Electric motors.
 - usual design
 - enclosed, protected or explosion proof design
- Low and high tension electric equipment

ELECTROTECHNICAL

EQUIPMENT

- Power transformers
- Generating sets
- Welding converters and transformers

OIL-FIELD EQUIPMENT

DRILLING OUTFITS

- Complete Diesel-powered drilling outfits for depths up to 3500 m
- Complete portable outfits for geological drilling and transportable outfits for depths up to 1200 m
- Parts of outfits such as: crownblocks, travelling blocks, hooks, swivels, etc.
- Duplex and Triplex transmission slush pumps
- Drilling and fishing tools
- Roller bits
- Piping tool joints, etc.
- Cementing units

PRODUCTION EQUIPMENT

- Truck-mounted oil-well servicing units
- Pumping units
- Deep well pumps
- Production tools

OVERLAND AND AIR TRANSPORT

1. ROLLING STOCK

LOCOMOTIVES

- steam locomotives
- Diesel mine locomotives
- electric mine locomotives

RAILWAY CARS

- covered and uncovered freight cars
- dumping cars
- tank cars
- self-discharging freight cars
- passenger cars

MINE TRUCKS

MOTOR COACHES

2. MOTOR VEHICLES

- Motor trucks
- Tipping trucks
- Trailers
- Tipping trailers

3. AIRPLANES AND GLIDERS

- Utility airplanes
- Gliders
 - trick flying
 - training
 - performance flights

SEA-GOING AND RIVER VESSELS

- Cargo boats up to 10,000 tdw
- Coasters of 500—1000—15000 tons
- Oil barges up to 2000 tons
- Sea-going tug boats up to 1500 HP
- Self-propelled and non-propelled river vessels of every type
- Fishing vessels
- Dredgers
- Sea launches
- Repair of vessels of every type and size

TRACTORS AND AGRICULTURAL IMPLEMENTS

- Tractors
- Tractor-drawn and mounted ploughs
- Cultivators

- Threshing machines
- Rollers
- Rollers
- Combines

ENGINES, PUMPS AND COMPRESSORS

- Diesel engines
- Semi-Diesel engines
- Electrically driven irrigation pumps
- Motor-driven irrigation pumps
- Electrically driven centrifugal pumps
- Fire engines
- Refrigerating compressors (NH₃)

MACHINE TOOLS

- Lathes
- Shaping machines
- Circular and hack saws
- Drilling machines
- Pneumatic power hammers
- Milling machines
- Woodworking machines

BUILDING MACHINES

- Road rollers
- Crushers
- Bulldozers
- Scrapers
- Excavators
- Concrete mixers
- Travelling cranes and hoists

MISCELLANEOUS

- Radiators
- Cast iron pipes
- Water meters
- Oxy-acetylene cutting and welding outfits
- Various household articles
- Machines for the food industry

زوروا :

**المعرض الاقتصادي لجمهورية رومانيا الشعبية
يفتح اعتبارا من ١٣ تشرين الثاني - ٢ كانون
الاول ١٩٥٩ .
شارع السعدون رقم ٢٩/٩ البتاوين - بغداد**

الثقافة الجديدة (١٢)

١٥ ، ٢٥ ، ١٩٥٩

دار بغداد

تدعو القارئ العراقي الكريم الى الاشتراك في الصحف والمجلات السوفيتية

- اتريد ان تعرف كل شيء عن الاتحاد السوفيتي بلد الاشتراكية الاول ؟
- اتريد ان تعرف اسلوب الحياة في الاتحاد السوفيتي ؟
- اتريد ان تطلع على الآداب والفنون الجميلة في الاتحاد السوفيتي ؟

إذا بادر الى الاشتراك في احدى المجلات السوفيتية العربية أو الانكليزية . مع العلم اننا نقدم هدية ثمينة جدا لكل مشترك وهي مجموعة طوابع نادرة وفريدة في نوعها . وكل من يجمع خمسة اشتراكات يحصل على مجموعة اضافية من الطوابع . وهناك تخفيض خاص للذين يشتركون لمدة سنتين قدره ٢٥٪ واليكم قائمة الاشتراكات فاختاروا ما تشاؤون :

اسم المجلة	الاشتراك لمدة سنة	الاشتراك لسنتين دون تخفيض	الاشتراك لسنتين بعد التخفيض
١ - الاتحاد السوفيتي (عربي)	٥٠٠ فلس	١/٠٠٠ دينار	٧٥٠ فلسا
٢ - الفلم السوفيتي (عربي)	٥٠٠ فلس	١/٠٠٠ دينار	٧٥٠ فلسا
٣ - المرأة السوفيتية (انكليزي)	٥٠٠ فلس	١/٠٠٠ دينار	٧٥٠ فلسا
٤ - الشؤون الدولية (انكليزي)	٧٠٠ فلس	١/٤٠٠ دينار	١/٠٥٠ دينار
٥ - الازمنة الحديثة (انكليزي)	٧٠٠ فلس	١/٤٠٠ دينار	١/٠٥٠ دينار
٦ - الأدب السوفيتي (انكليزي)	٦٢٥ فلس	١/٢٥٠ دينار	٩٣٦ فلسا
٧ - الثقافة والحياة (انكليزي)	٥٠٠ فلس	١/٠٠٠ دينار	٧٥٠ فلسا
٨ - انباء موسكو « موسكو نيوز » (انكليزي)	٦٠٠ فلس	١/٢٠٠ دينار	٩٠٠ فلسا

• ولغرض الاشتراك في المجلات والجرائد الاخرى اسأل عن قائمة الجرائد والمجلات لسنة ١٩٦٠ واختر المجلة أو الجريدة التي ترغب فيها .

• في الآلوية والمدن الاخرى يتم الاشتراك عن طريق وكلائنا فيها .

• لا تدع هذه الفرصة الثمينة تفوت ويجب ان لا تخسر الطوابع النادرة التي تصلك بعد الاشتراك .

• آخر موعد لقبول الاشتراكات هو يوم ١-١٢-١٩٥٩ .

دار بغداد

الثقافة الجديدة (١٢) ت ١ وت ٢ ، ١٩٥٩

اعلان رقم (٦١) لسنة ١٩٥٩

لقد تقرر اطلاق اجازات استيراد السكر الاجنبى من قيد شراء النسبة المقررة (١٥٪) من السكر الموصلى فعلى مستوردى السكر ملاحظة ذلك عند تقديم طلباتهم فى المستقبل .

عبدالواحد القيسى

و . مدير الاستيراد والتصدير العام

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

نعلن بهذا وجود مناقصة سرية لتعهد انشاء مجزرة عصرية فى قرية الحرية (خان زاد) التابعة لقضاء المحمودية بموجب استمارة الكشف والخارطة التى يمكن الحصول عليها لقاء دينارا واحدا غير قابل للرد .

فعلى الراغبين تقديم عطاءاتهم الى مجلس ادارة اللواء فى أو قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء المصادف ١٨-١١-٩٥٩ مرفقة بتأميناتهم النظامية مع شهادة الانتساب لغرفة التجارة ووثيقة مديرية ضريبة الدخل العامة . وكل عطاء غير متوفر الشروط لا يلتفت اليه .

أمير اللواء الركن

طارق سعيد فهمي

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

نعلن بهذا للمرة الثالثة تمديد المناقصة السرية لتجهيز لجنة ماء وكهرباء سلمان باك بالمواد الاحتياطية للماكنة من نوع بترفلدنك قوة (٨٠) حصان بموجب الشروط والمواصفات التى يمكن الحصول عليها من شعبة بلديات اللواء لقاء مبلغ نصف دينار غير قابل للرد .

فعلى الراغبين تقديم عطاءاتهم الى مجلس ادارة اللواء فى أو قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء الموافق ١٨-١١-٩٥٩ مرفقة بتأمينات أولية قدرها ثلاثون دينارا مع شهادة الانتساب لغرفة التجارة ووثيقة مديرية ضريبة الدخل العامة . وكل عطاء غير متوفر الشروط المذكورة أعلاه يهمل .

أمير اللواء الركن

طارق سعيد فهمي

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان رقم (٦٠) لسنة ١٩٥٩

جاء فى الفقرة الثانية من اعلاننا رقم (٥٨) لسنة ١٩٥٩ عن قبول طلبات استيراد بعض المواد من اليابان اسم (مواعين الفرفورى) سهوا والصحيح هو (مواعين الشاى) فقط فعلى المستوردين ملاحظة ذلك عند تقديم طلباتهم .

عبدالواحد القيسى

و . مدير الاستيراد والتصدير العام

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

سيم التزام الكرد المسمى بكرد على النده ومحمد المحيسن البالغة مساحته ٢٣٠ دونم لمدة ثلاث سنوات من ١-٩-١٩٥٨ لغاية ٣١-٨-١٩٦١ بمبلغ (١٠٢/-) دينارا فمن له رغبة فى الزيادة عليه مراجعة هذه المديرية خلال عشرين يوما من تاريخه مستصحبا معه التأمينات النظامية وقدرها ٢٠٪ من بدل الضم وان الاحالة ستجرى يوم الاثنين الموافق ٣٠-١١-١٩٥٩ فى مركز هذه المديرية .

نورى القاضى

مدير أوقاف منطقة بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان رقم (٣٩) لسنة ١٩٥٩

بتعديل نظام جمعية تعاونية

بناء على القرار الذى اتخذته الهيئة العامة لجمعية تأمين الاراضى وبناء المساكن التعاونية للموظفين والمستخدمين فى تكريت المحدودة فى اجتماعها المنعقد بتاريخ ٢٨-٨-١٩٥٩ القاضى بتعديل نظامها الداخلى وبناء على ما نصت عليه المادة (١١) من قانون الجمعيات التعاونية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٩ فقد وافقت على اجراء التعديل المذكور وصادقت عليه واحتفظت بنسخة منه لدى .

كتب ببغداد فى اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٧٩ هجرية الموافق لليوم التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٩ ميلادية .

ع . وزير الشؤون الاجتماعية

خزعل صالح شكر

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان رقم (٤٠) لسنة ١٩٥٩

بتعديل نظام جمعية تعاونية

بناء على القرار الذي اتخذته الهيئة العامة للجمعية التعاونية لتأمين الاراضى وبناء المساكن لموظفى ومستخدمى وزارة العدل ببغداد المحدودة فى اجتماعها المنعقد بتاريخ ١٠-٩-١٩٥٩ القاضى بتعديل نظامها الداخلى وبناء على ما نصت عليه المادة (١١) من قانون الجمعيات التعاونية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٩ فقد وافقت على اجراء التعديل المذكور وصادقت عليه واحتفظت بنسخة منه لدى .

كتب ببغداد فى اليوم الخامس من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧٩ هجرية الموافق لليوم الخامس من شهر تشرين الثانى سنة ١٩٥٩ ميلادية .

خزعل صالح شكر

ع . وزير الشؤون الاجتماعية

الثقافة الجديدة (١٢)

تنبيه ورجاء الى المؤلفين والمترجمين ودور النشر

ابتداءً من العدد القادم ، ستقوم مجلة الثقافة الجديدة بالاشارة الى المطبوعات العراقية التى تصدر خلال شهر فى باب (مطبوعات صدرت هذا الشهر) . فنرجو من حضرات المؤلفين والمترجمين ودور النشر ارسال نسخة واحدة من المطبوع الذى يصدرونه الى ادارة المجلة . علماً بأننا سنشير (فى العدد القادم فقط) الى المطبوعات التى صدرت منذ الثورة الى تاريخ صدور العدد وسنستمر بعد ذلك فى الاشارة الى المطبوعات التى تصدر فى كل شهر ، استكمالاً للفائدة المتوخاة من استحداث هذا الباب الجديد .

فى الاسبوع القادم مع الباعة فى كل مكان :

عباس افندى

وقصص أخرى

آخر مجموعة قصصية لم تنشر حتى الآن للمناضل الوطنى

عبدالرزاق الشيخ على

من منشورات الثقافة الجديدة

تحت الطبع

سمر حيانى

* آنى أمك يا شاكر

* أكبادنا

تأليف

يوسف العانى

سكرتير فرقة المسرح الحديث

من منشورات الثقافة الجديدة

اعلان

فقد من المحامي كمال صادق أيوب الوكيل العام عن ورثة محمد صادق أيوب الوصولات المدرجة تفصيلها أدناه عن التلفون المرقم ٢٥٧٠ لذا فان هذه الادارة ستعيد المبلغ المذكور أدناه اليه ان لم يراجع شخص آخر خلال مدة عشرة أيام من تاريخ النشر .

المبلغ	رقم الوصل	تاريخه
٢/٠٠٠	قائمة قديمة	
١/٠٠٠	٣٢٨٦ »	١٩٥٠/٧/٢٢
	٩٥٠/٦/١١	
١/٠٠٠	٢٣٨١ »	١٩٥١/١/١٤
	٩٥٠/١٢/٩	
٤/٠٠٠	٤٢٢٠ »	١٩٥١/٥/٢٤
	١٩٥١/٤/٢٨	

و مدير البريد والبرق العام
واغب رشيد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

سيتم التزام الاملاك الوقفية المدونة أنواعها ومواقعها ومدة ايجارها أدناه فعلى الراغبين في الزيادة مراجعة هذه الدائرة خلال عشرين يوما وستجرى الاحالة في الساعة الثانية عشر من يوم الاثنين المصادف ٩٥٠-١١-٣٠ مستصحبين معهم التأمينات القانونية وان أجور المنادى والاعلان على الملتمزم .

مأمور أوقاف الكاظمية
محمد سعيد شهاب الآلوسي

نوع الملك	رقم الملك	موقعه	مدة الايجار	من	الى
بقعة في الكرد	١٣	مزرقة	٣	٩٥٩-٤-١	٩٦٢-٣-٣١

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

فقد من مخازن التجهيزات البريطانية العمومية الوصولات المدونة
تفاصيلها أدناه عن تأمينات تلفونها المرقم ٨٨٣٦٣ لذا فان هذه الادارة
ستعيد المبلغ المذكور أدناه اليهم ان لم يراجع شخص آخر مدة عشرة
أيام من تاريخ النشر .

المبلغ	رقم الوصل	تاريخه
٢/٠٠٠	١٧٩٣٣٢/٩	١٩٥٥/٩/١٥
٣/٠٠٠	١٨٤٢٤٧/٩٥	١٩٥٦/٥/ ٩
١٧/٠٠٠	١٩٥٣٣١/٥٩	١٩٥٦/٩/١٥
٢٩/٠٠٠	٢٠٣٢٣١/٣٤	١٩٥٧/٣/٢٤

و . مدير البريد والبرق العام

راغب رشيد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

تعلن متصرفية لواء بغداد (البلديات) وجود مناقصة سرية لبناء
غرفتين وجدار خلفي ومرفقات صحية وسلم لمخزن بلدية قضاء تكريت
بموجب الكشف الذي يمكن الحصول عليه لقاء مبلغ دينارين غير
قابل للرد .

فعلى الراغبين من المقاولين المسجلين في غرفة التجارة ولديهم شهادة
ضريبة الدخل العامة لهذا العام تقديم عطاءاتهم الى مجلس ادارة اللواء في
أو قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء الموافق ١٨/١١/٩٥٩ .
وكل عطاء غير متوفر الشروط المذكورة أعلاه لا يلتفت اليه .

امير اللواء الركن

طارق سعيد فهمي

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

تعلن متصرفية لواء بغداد (البلديات) وجود مناقصة سرية لتعهد
بناء ست حوانيت ومخزينين مجاورين للحوانيت المنشأة سابقا بجوار
سراى الحكومة فى قضاء تكويت العائدة للبلدية . بموجب الكشف
الذى يمكن الحصول عليه لقاء مبلغ دينارين غير قابل للرد .

فعلى الراغبين بهذه المسجلين فى غرفة التجارة ولديهم شهادة
ضريبة الدخل العامة بته قهرها بديم عطاءاتهم الى مجلس ادارة اللواء فى
أو قبل الساعة العاشرة من صباح يوم الاربعاء الموافق ١٨/١١/١٩٥٩ .
وكل عطاء غير متوفر الشروط المذكورة أعلاه لا يلتفت اليه .

امير اللواء الركن
طارق سعيد فهمي
متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان رقم (٤٤) لسنة ١٩٥٩

بتعديل نظام جمعية بار لمدة سنة واحدة اعتبارا
من تاريخ
بناء على القرار الذى اتخذه راجعة مجلس ادارة اللواء أو مأمورية
الاستهلاكية المحدودة فى مزرعة الن القانونية .
٢٨-١٠-١٩٥٩ القاضى بتعديدا
المادة (١١) من قانون الجمعية
وافقت على اجراء التعديل المذكور
منه لدى

١٠. بيع المرتبات فى كلية العلوم .
كتب ببغداد فى اليوم التاسع من شهر جمادى الاول سنة ١٣٨٠ هـ
هجرية الموافق لليوم التاسع من شهر تشرين الثانى سنة ١٩٥٩ ميلادية .
عن . وزير الشؤون الاجتماعية
خزعل صالح شكر

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

بناء على موافقة مديرية الاوقاف العامة بكتابها المرقم ٢١٦٢٤ والمؤرخ في ٣-١١-١٩٥٩ على فسخ قرار احالة ثمرة نخيل ونبق بستان الطلمبة .

لقد تقرر الاعلان مجددا لمدة ثلاث سنوات اعتبارا من ١-١-٩٦٠ لغاية ٣١-١٠-٩٦٠ بمبلغ ١٨٠/- دينارا فمن له رغبة في الزيادة عليه مراجعة هذه المديرية خلال عشرين يوما من تاريخه مستصحباً معه التأمينات النظامية وقدرها ٣٠٪ من بدل الضم وان الاحالة ستجرى في الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين الموافق ٣٠-١١-١٩٥٩ في مركز هذه المديرية .

نورى القاضي

مدير أوقاف منطقة بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

بناء على حصول راغب لايجار محل بيع المرطبات في مديرية الضمان الاجتماعي العامة .

فقد تقرر وضعه بالمزايدة العلنية للايجار لمدة سنة واحدة اعتبارا من تاريخ سحب الاحالة وان مدة المزايدة عشرة أيام اعتبارا من تاريخ صدور الاعلان فعلى الراغبين للايجار مراجعة مجلس ادارة اللواء أو مأمورية املاك اللواء مستصحبين التأمينات القانونية .

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

بناء على حصول راغب لايجار محل بيع المرطبات في كلية العلوم .
فقد تقرر وضعه بالمزايدة العلنية للايجار لمدة سنة واحدة اعتبارا من تاريخ الاحالة وان مدة المزايدة عشرة أيام اعتبارا من تاريخ صدور الاعلان فعلى الراغبين للايجار مراجعة مجلس ادارة اللواء أو مأمورية املاك اللواء مستصحبين التأمينات القانونية .

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

ستباع بالمزاد العلني بصورة قطعية سيارة مستهلكة رقم ١٩/ع
من نوع جيب فعلى الراغبين للشراء الحضور في كراج مديرية التسوية
العامة وذلك في الساعة -/١١ من صباح يوم الثلاثاء الموافق ١١-١١-٥٩
وان المشن والاجور والدلاية تدفع جميعها . ~~من قبل المشتري~~ عند
البيع .

طارف سعيد فهمي
متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان رقم (٤١) لسنة ١٩٥٩ بتعديل نظام جمعية تعاونية

بناء على القرار الذي اتخذته الهيئة العامة لجمعية تأمين الاراضي
وبناء المساكن التعاونية المحدودة في اجتماعها المنعقد بتاريخ ١٦-١٠-١٩٥٩
والقاضي بتعديل نظامها الداخلي وبناء على ما نصت عليه الحادية عشرة من
قانون الجمعيات التعاونية رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٩ فقد وافقت على اجراء
التعديل المذكور وصادقت عليه واحتفظت بنسخة منه لدى .
كتب ببغداد في اليوم الثامن من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٧٩
هجرية الموافق لليوم الثامن من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٥٩ ميلادية .
ع . وزير الشؤون الاجتماعية
خزعل صالح شكر

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

بناء على حصول راغب لايجار محل بيع المرطبات في ثانوية
الكاظمية للبنات .
فقد تقرر وضعه بالمزايدة العلنية للايجار لمدة سنة واحدة اعتبارا
من تاريخ الاحالة وان مدة المزايدة عشرة ايام اعتبارا من تاريخ صدور
الاعلان فعلى الراغبين للايجار مراجعة مجلس ادارة اللواء أو مأمورية
أملك اللواء مستصحبين التأمينات القانونية .

متصرف لواء بغداد

الثقافة الجديدة (١٢)

اعلان

سيتم التزام اراضى الاملاك الوقفية المدونة أنواعها ومواقعها ومدة
ايجارها أدناه فعلى الراغبين فى الزيادة مراجعة هذه الدائرة خلال عشرين
يوما وستجرى الاحالة فى الساعة الثانية عشر من يوم الاثنين المصادف
٣٠-١١-٩٥٩ مستصحبين معهم التأمينات القانونية وان أجور المناهى
والاعلان على الملتمزم .

مأمور أوقاف الكاظمية
محمد سعيد شهاب الآلوسى

نوع الملك	رقم الملك	سنة	مدة الايجار
اعقار البهلوان	قطعة مقاطعة ٤٢ ١٢	٣	من ١/٤/٩٥٩ الى ٣١/٣/٩٦٢

الثقافة الجديدة (١٢)

شاهدوا

المعرض الاقتصادى

لجمهورية رومانيا الشعبية

١٢ تشرين الثانى - ٢ كانون الاول ١٩٥٩

شارع السعدون - البتاوين

بغداد

صدر حديثاً

- ١ - عشرون قصيدة من برلين . . . الشاعر عبدالوهاب البياتي
- ٢ - ٥١ قصيدة . . . الشاعر سعدى يوسف
- ٣ - المجموعة . . . ناظم حكمت
- ٤ - يا حياة المنفى من مهنة شاقة . . . ناظم حكمت
- ٥ - لتفتح الازهار . . . لوتينغ - يى
- ٦ - حياة قاسية (قصص) . . . الدكتور شاكر خصباك

« من منشورات الثقافة الجديدة »

الثقافة الجديدة

مجلة شهرية ثقافية غات

مدير الادارة والتحرير : عدنان الحافظ
المحاسب : الفريد سمعان

العنوان :

عمارة شاشا - شارع المتنبي - بغداد - العراق
تلفون - ٨٨٢٦٠ * مسجلة في دائرة البريد برقم (٧٠)

المراسلات :

تعنون باسم مدير الادارة والتحرير
الاشتراك السنوي (بالبريد العادي) :

داخل العراق : دينار واحد
خارج العراق : دينار ونصف (أو ما يعادلها)
« يخفض ٢٥٪ من بدل الاشتراك للعمال والطلبة » .

الاعلانات :

للصحيفة الكاملة : خمسة دنانير
لنصف الصحيفة : ثلاثة دنانير

ثمن النسخة الواحدة :

١٠٠ فلس أو ما يعادلها

متعهد التوزيع :

دار الاهالي للطبع والنشر - بغداد - تلفون ٤٣٦٩

طبعت بمطبعة العاني - بغداد